

الحركة اللغوية في الاندلس  
منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف

تأليف

البيير حبيب مطلق

رسالة قدمت لنيل درجة استاذ في الآداب

الى دائرة اللغة العربية

الجامعة الاميركية في بيروت

ايار ١٩٦٥

## ملخص

### الحركة اللغوية في الاندلس

منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف

جعلت دراستي هذه في مقدمة وخمسة فصول . المقدمة والفصل الاول في كتاب ، والفصلان الثاني والثالث في كتاب ، والفصلان الرابع والخامس في كتاب .

عالجت في المقدمة شؤون المجتمع واللغة في العهد القوطي ، واقتصرت في ذلك على ما للمجتمع من اثر في حياة اللغة . وتحدثت عن الاجناس المختلفة في الاندلس بعد الفتح العربي . وتلك الاجناس هي ١- العرب ، وقد وصلوا الاندلس على موجات كل واحدة منها تسمى " طالعة " . وكان منهم القيسية واليعانية مما ادى الى نشوب نزاع عبي كالأذى كان في بلاد المشرق . ٢- البربر ، وكانت الجماعة الاولى منهم قد دخلت الاندلس مع حملة طارق بن زياد . ٣- السود ، وكانوا قلة ينتظمون في سلك الجنديّة . ٤- اليهود ، وقد كان لهم أثر فعال في استقبال المؤشرات النحوية العربية وطبع النحو العبرى بها . ٥- الموالي ، ممن ارتبط بالولاء مع البيت الاموي ، وبعض البربر ، وبعض من دخل في ولاء بني امية من أهل الاندلس . ٦- السكان الاصليون ، عجم الاندلس .

ثم صورت حال اللغة بين هذه الاجناس وطبيعة الاختلاط الذي نشأ من احتكاك اللغات المختلفة . وتعرضت بعدها الى توضيح مقام اللغة عند الاندلسيين ، وبينت اهتمام أهل هذه البلاد باللغة وشدة عنايتهم بتدريسها . ثم أجملت العوامل الفعالة في تطور العناية باللغة في الاندلس .

وفي الفصل الأول تحدثت عن بواكير الحركة اللغوية في الاندلس، وقسمت هذا الفصل الى ثماني نقاط رئيسية، اولا: نشوء طبقة المؤدبين اللغويين المذيين اتخذوا من المساجد مكانا لتدريس اللغة \* ثانيا: الرحلة ولقاء العلماء المشاركة، وقد دفع العلماء الى الرحلة انهم كانوا يشعرون بحاجتهم الثقافية الى علماء المشرق فارتحلوا اليهم وأخذوا عنهم وتوزعوا في مختلف البلاد الشرقية، وكثيرون اخذوا عن اكثر من عالم في اكثر من بلد \* ثالثا: رحلة لغويين مشاركة الى الاندلس، ممن قصد تلك البلاد بقصد او باخر \* رابعا: هجرة الكتب الشرقية الى الاندلس، التي كانت تصل مع العائدين او مع المرتحلين من المشاركة \* خامسا: النشاط الشفوي في ميدان اللغة، المتمثل بالمناظرات والمناقشات \* سادسا: حركة التأليف اللغوي حتى اواخر القرن الثالث، ولم يكن للتأليف اللغوي شخصية المستقلة بعد وتميز باتصاله بعلم الحديث \* سابعا: أشهر المدرسين وتلامذتهم، وقد قمت بعمل ثلاثة جداول بينت فيها أشهر مجالس التدريس، وخلصت الى ان الطالب لم يكن يكتفي بمدرس واحد، وان بعض هؤلاء الطلبة صاروا في ما بعد علماء انذاا \* ثامنا: لم يكن هذا النشاط اللغوي النحوي وقفا على العناصر العربية \*

اما الكتاب الثاني فهو يعالج الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الرابع

الهجري، وهو يتألف من فصلين: الثاني والثالث \*

اما الفصل الثاني فيعالج عوامل النهضة اللغوية ومظاهرها في هذا القرن \*

وهي عوامل جديدة وقديمة \*

أولا - العوامل الجديدة وهي :

- أ - استتباب الدولة وعضائها .
  - ب - جهود الحكم في النهضة اللغوية ، وتتضمن في :
    - ١- انشاء مكتبة عامة تابعة للقصر .
    - ٢- حفز المهتم الى التأليف واغداق العطاء على المؤلفين .
    - ٣- التدقيق العلمي في الأصول اللغوية .
    - ٤- الترجمة .
  - ٥- استخدام العلماء للعمل في قرطبة ، واشهرهم وابعدهم أثرا ابو علي القالي .
- ج - المنصور بن ابي عامر وأثره في النهضة اللغوية . وقد حاول المنصور ان يقلد الحكم ، فاستقدم صاعدا من بغداد ، ولكن صاعدا لم يستطع ان يعحو اثر القالي ولا ان يحقق مثل نتائجه .

ثانيا - وأما العوامل التقليدية فهي :

- أ - الرحلة الى المشرق ، التي استمرت في هذا القرن ، ولكن ليس بنفس القوة والاندفاع اللذين عرفتهما في القرن المنصرم .
- ب - ظل المؤدب يعثل دوره ، ولكن دخل الصورة علماء كبار من أمثال الزبيدي .

ثالثا - المظاهر الكبرى التي تميز بها هذا القرن ، وهي :

- أ - ظهور الدارس اللغوي المتخصص ، من امثال ابن سييد .
- ب - المناظرات اللغوية النشيطة على مثال المناظرات التي عرفها المشاركة .
- ج - حركة التأليف واتساعها ، وقد قدمت ثبثا باسماء المؤلفين وعددت ستة



وثلاثين مؤلفاً لهم وخلصت إلى عدد من النتائج .

وأبما - انصافُ الاندلس في الميدان اللغوي : وقد عالجت فيها رد ابن حزم الاندلسي على ابن الريب القيرواني ، حين رد ابن حزم داحضا حجة ابن الريب ومبيناً طول باع الاندلسيين في العلم .

وأما الفصل الثالث فقد خصصته لدراسة ثلاثة من أشهر اللغويين الاندلسيين في القرن الرابع ، هم الزبيدي وابن القوطية والقالي . وقد عالجت حيوات هؤلاء المؤلفين ، وذكرت مؤلفاتهم جميعها ، وفصلت القول في أهم هذه المؤلفات . فمما فصلت القول فيه الابي بكر الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، والاستدراك على سيبويه ، ولحن العامة ، ولاي بكر بن القوطية كتابه في الافعال ، ولاي علي القالي كتابه البارع والامالي .

وقد اتبعت الفصل الثالث بتذييل اوردت فيه شيئا من أخبار اربعة وثلاثين عالما هم فتيق من المشتغلين بالعلوم اللغوية ممن يعتبر نتاجا لهذا العصر بما فيه من مؤثرات وما تركه علماء الكبار من آثار .

وأما الكتاب الثالث والاخير : الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الخامس الهجري ، فانه هو الآخر يقع في فصلين : الرابع والخامس . ويتعلق الفصل الرابع بالعوامل المؤثرة في توجيه الحركة اللغوية في هذا القرن . وقد عالجت فيه خمس نقاط رئيسة :

اولا : اعطيت صورة موجزة للاحوال السياسية في هذا العصر ، واوزت السوان التغير الذي أصاب الجهاز السياسي وأثر هذا التغير في الدراسات اللغوية .

ثانياً : العوامل الجديدة التي اثرت في الحركة اللغوية ، وهي مما يمكن اجمالاً في ما يلي :

- أ- الخصب اللغوي الذي اوجده القالي وتلامذته .
- ب- تعدد المراكز الثقافية على أصول الانقسام السياسي ، بحيث أصبحت كل عاصمة دولة من دول الطوائف مركزاً من مراكز الأدب والعلم .
- ج- الاهتمام بإنشاء المكتبات ، فقد تعدى هذا الاهتمام نطاق الملوك والأمراء الى الوجهاء من الناس والى افراد الشعب أحياناً .
- د- التسامح النسبي الذي ظهر في عصر ملوك الطوائف بالنسبة لدراسة العلوم القديمة .

ثالثاً : الظاهرة النظرية في حياة اللغة ، وهي تتمثل :

- أ- في البحث في أصل اللغة ، وهل هي توقيف ام اصطلاح .
- ب- مشكلة الاشتقاق .
- ج- بطلان العلل النحوية .
- د- الصلة بين اللغة والشريعة .

وقد عالجت في هذه الظاهرة آراء ابن حزم الظاهري العذهب وآراء ابن السيد البطليوسي .

رابعاً : بحث في صلة اللغة بالواقع العملي ، ورأيها تتمثل في نواحي ثلاث :

- أ- وضع معلم اللغة ، وقد بينت الوضع الجديد للمعلم ، والخطر الذي صار

يتهدد مكانته ، ومثلت لذلك بهجوم ابن شهيد على ابن شهيد على ابن شهيد  
الافليبي .

ب- وضع اللغة بين العلوم ، وبينت كيف ان دراسة اللغة ، نتيجة للظروف التي  
جدت ، قد اخذت تتلقى بعض الضربات .

ج- صلة اللغة بالحياة العملية ، وتسرب اللحن والخطأ الى السنة بعض المقرئين  
والمؤدين ، وارتفاع شأن العامية ارتفاعا كبيرا . ثم قيام حركة مضادة  
مترتبة تعتبر ثمرة لجهود القالي وصحبه في القرن السابق .

خامسا : العوامل التقليدية واثرها في الحركة اللغوية ، وهي العوامل التي سبق  
ان عالجتها والتي كان لا يزال تأثيرها فاعلا في الحركة اللغوية :

أ- الهجرة الى الاندلس ، وقد كان للهجرة اليها اسباب جديدة نشأت عن الوضع  
السياسي القلق في بلاد العرب الاخرى . وكان اشهر الراحلين ابو الفتح ثابت  
بن محمد الجرجاني .

ب- الهجرة من الاندلس ، وقد قل شأنها كثيرا عما كان عليه الامر في  
المراحل السابقة ، وقد اهتم الكثيرون من الراحلين بمؤلفات ابي العلاء المعري .

ج- التدريس واشهر المدرسين ، ومن هؤلاء ابن الافليبي والاعلم الشنتمرى .

وأما الفصل الخامس والأخير فقد خصته لأمة المؤلفين في هذا القرن الخامس  
ولمؤلفاتهم . وقد استعملت باحساء للمؤلفين بحامسة ولمؤلفاتهم ، وعددت ستة وخمسين  
مؤلفا لخمس عشرة مؤلفا ، وخلصت من دراسة ذلك الى ان التأليف يمثل اتجاهين كبيرين ،

أ - اتجاه شرح الكتب التي أصبحت عدة داري النحو واللغة ، وهي ثلاثة  
أنواع ، ١ - شرح لدواوين شعوية ، كديوان المتبي وديوان العمري ، ٢ - شرح  
لمجاميع ، كديوان الحماسة والأشعار الستة ، ٣ - شرح " للمقررات "   
النحوية واللغوية مثل الجمل للزجاجي والنوادر للقيالي وأدب الكتاب  
والغريب المصنف واصلاح المنطق .

ب - اما الاتجاه الثاني ، فهو في التأليف المعجمي . وقد فصلت القول في مثلين  
للاتجاه الأول وفي مؤلفاتهما هما : ابو عبيد البكري ، وكتابه فصل  
المقال والسلاكي ، وابن السيد البطليوسي وكتابه شرح السقط والاقتضاب .  
كما فصلت القول في ابن سيده ، ممثلا للاتجاه المعجمي ، وفي معجمه  
المخصص والمحكم .

وبعد فلقد كانت تلك دراسة للحياة اللغوية الاندلسية ، في حقبة تزيد على  
اربعمائة عام مفعمة بالسوان من النشاط الدائب . وأعتقد انني حققت امرين رئيسيين  
مهمين :

فأولا ، كانت هذه الرسالة بناء جديدا ، لم يتوكأ على بناء سابق ، فجاء حركة  
رائدة ، له ما للريادة من فضل التقدم والاستكشاف . وان تكن هذه الريادة قد اعطت  
البحث قيمة ، فانها قد زادت عليه صعوبة . فالى جانب عظم الفترة التي تغطيها  
دراستي فان جودة البحث قد كانت عاملا شاقا يتطلب التقيب الطويل في المصادر ويجعل  
تصور الموضوع غاية في الصعوبة . والواقع لم استطع ان احيط بالمصادر وان اتصور  
البحث على صورته الحالية الا بعد اطلاع واسع وبحث دائب وعمل جاد امين ، لفترة  
طويلة من الزمن .

والأمر الثاني الذي اعتقد ان له هو الآخر أهمية بالغة ، انني بهذا البحث قد اسهمت في تصور جزء من تراثنا اللغوي ، وقدمت بحثا عن تاريخ اللغة في الاندلس ارجو ان يفيد منه الدارسون . ولعلني لا أبالغ اذا قلت ان اللغة في الاندلس جديرة أعظم الجدارة بالدراسة والوصف والتحليل والبناء . واذا كنت اقدم مثل هذا المجهود فانما ارد شيئا من الحق الحق الى اصحابه .

ولأول مرة في ما اعتقد - يتكامل بحث واحد ليعين دور المؤديين في حياة اللغة بالاندلس ، وبأخذ بعين الجد والاستقصاء جهود المهاجرين من المشاركة والكتب المهاجرة من المشرق والرحلة في طلب اللغة ويتمسك نواحي النظرية اللغوية بالاندلس ، ويفصل القول في المؤلفات اللغوية الهامة واصحابها ويعطي للاندلس في الجانب اللغوي ما تستحقه من اهتمام وتقدير .

ولست أقول ان هذا هو جهد العقل ، فكل عمل علمي انما هو جهد العقل . وانني لأرجو ان اكون قد اسهمت في ابراز حقبة غامضة من تاريخ حياتنا اللغوية ، وأضفت الى مكتبتنا العربية ما يصدق ولو نرافا بسيطا . فذلك على ضالة شأنه - يمنحني الرضى ، ويميزني بشجرة علمية متواضعة .

—

## تمهيد

تعالج هذه الرسالة تاريخ الحركة اللغوية في الاندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف (٩٢ - حوالي ٧١١ / ٥٠٠ - حوالي ١١٠٦) . وهي فترة طويلة من الزمن استطاعت الاندلس خلالها ان تشارك في النهضة اللغوية ، وان يكون لها نصيب واضح في الجهود اللغوية عامة . فبرز من علمائها جماعة من وقت مؤلفاتهم على قدم المساواة مع المؤلفات المشرقية ، ومن هؤلاء الزبيدي وابن القوطية وابن سيده وآخرون من وقت عندهم وعينت لهم أمكنتهم في تاريخنا اللغوي . وطبعي ان هذه القمم قد سبقتها محاولات كثيرة درجت بها الاندلس من طور التكون والبناء الذي استمر حتى نهاية القرن الثالث الهجري الى طور الشباب والنضج في القرن الرابع ثم أخيرا طور الكهولة في القرن الخامس .

وتعد نهاية هذه الفترة معلما سياسيا وثقافيا فارقا في حياة الاندلس ، ذلك ان سيادة الاندلسيين انفسهم قد تضاءلت عندما انتهت هذه الفترة واصبحت الاندلس ولاية تابعة للعدوة المغربية - ان صح التعبير - واصبحت الكوارث التي تحل بالاندلس تباعا شاذة عن التفرغ الذي يهيئ للانتاج الأصيل . وليس في هذا انكار للاسهامات الاندلسية بعد هذه الفترة ، ولكنه سبب وجيه جدا بي الى اثار هذه الوقفة عند نهاية العصر الذي يدعى في التاريخ الاندلسي " عصر ملوك الطوائف " .

والحياة اللغوية في الاندلس بعد هذه الفترة تمثل فصلا جديدا

بخصائصه - قوية كانت او ضعيفة - وربما تمكنت في المستقبل من رصد هذه الحركة حتى نهاية الحكم العربي في تلك البلاد . فهي على الرغم مما دهم الاندلس قد انجبت علماء أفذاذ من امثال ابن مضاء القرطبي وصاحب نظرية العوامل . وقد يلحظ قارىء هذه الرسالة كيف ان الحياة اللغوية في الاندلس قد تأخرت في نشأتها - بحكم الوضع الطبيعي للفتح والاستيطان - عن الحياة اللغوية في المشرق ، ولذا كانت بواكيرها تعتمد على المشرق اعتمادا كلياً ، ولكن المنهج الذي رأته اسلم المناهج في تناول البحث ، لم يبيح لي التصدي للحياة اللغوية في المشرق على نحو منفصل لا في نشأتها ولا في تطورها ، فاللغة في المشرق وحركتها المتطورة قد تدخلت في بناء هذا البحث على النحو المتدرج الذي حققته في واقعها العملي . ولذلك وجدت من المناسب ان أرصد المؤثرات المشرقية حسب التطور الزمني دون ان افردتها بالبحث والنظر في فصل مستقل بذلك . ثم ان تأريخ اللغة في المشرق قد حظي بالعناية وكتب فيه بعض أفذاذ الدارسين ، فهناك كتاب " العربية " للاستاذ يوهان فوك ، وكتاب " اللغة والنحو " للدكتور حسن عون ، فالوقوف عند تأريخ طويل للغة في المشرق لا يعدو في مثل هذا البحث ان يكون تلخيصاً لجهود الآخرين ، وقد أغناني عن ذلك ان كنت ، كلما وجدت ذلك ممكناً ، أشير الى العلاقات بين المشرق والمغرب ، والى أثر اللغويين المشاركة في اللغويين الاندلسيين ، وأبين طبيعة هذه العلاقات من تتبع وتلخيص ومعاوضة ودراسة وتعلمذ . واني لأعتقد انني قد أعطيت صورة واضحة لأثر المشرق في الدراسات اللغوية الاندلسية ، ولم أغضط المشرق حقّه في ما قدمه للاندرلس من خدمات ، تتفشل في العلماء المهاجرين والكتب المهاجرة ورحلات الطلاب الاندلسيين الى المشرق ، وكذلك لم أحاول



أن أعطي للاندلس في ميدان اللغة أكثر مما تستحقه من تقدير .

ولا بد لي - وأنا في معرض الحديث عن اعداد هذا البحث - ان اذكر الصعوبة التي لاقتها في بناء بحثي متدرجا متاسكا . فقد حاولت جهدي ان أجعله صورة لوحدة عضوية نامية ، وكان اشق ما عانيته كون هذا البحث في بناء العام جديدا أحاول رصف لبناته لأول مرة . فان انشغالي بالبناء قد استغرق من جهدي الشيء الكثير الذي كان يمكن ان يصرفني لولاه الى التعمق في تصور التيارات الكبرى ، واذن لتكثرت من أن أجلسو بعض الجوانب جلاءً يبعث على مزيد من الرضى والاقناع . ولكنني لست نادما أن كان هذا البحث وسادة في المجهول او شبه المجهول، اذ انني اليوم، بعد ان عشت مع هذه الرسالة أكثر من ثلاث سنوات مفعمة بالجهد الدائب والعمل المتواصل ، أحس بأنني قد أقمت بناءً سليما في جملته . وهذا لا يعني انني توصلت الى الكمال - فما بعد ذلك من جهود بني الانسان - بل انني لأرحب بكل توجيه يسدد خطواتي في هذه السبيل الشاقة .

وقد كانت قصتي مع المصادر قصة طويلة مضية ، فان المادة مبثوثة في كتب التراجم والتاريخ والفقہ . وقد زاد في هذه الصعوبة انني لم أجد من المعالم ما يهديني الى الجادة ، اعني انه لم تكن هناك دراسة موجهة تعينني على تتبع المصادر المفيدة . وكمن مرة حسبتني أفوز بشيء ينير لي الطريق وكنت اخرج من القراءة صفر اليدين كما بدأت . وليس هذا تعبيراً عن الاسف وانما هو تعبير حقيقي عما يصادفه المرء في بحثه من ضآء ومشقة .

ويتصل بحثي هذا بكتب ما تزال مخطوطة . وقد واجهتني صعوبة  
بالغة في الحصول على المخطوطات التي يمكن ان تفيدني ، رغم اني حاولت  
جهدي للحصول عليها . واني لأعدني سييء الحظ ان بعض جوانب  
هذا البحث ظلت معتمة لعدم الحصول على المخطوطات اللازمة ، وان كنت  
استدركت جانبها كبيرا منها . وهذه الصعوبة بالذات تجرني الى الشكوى من  
القصور الشديد الذي تعانيه مكنتاتنا في ما يتعلق بالمصادر القديمة ذات  
الأهمية والخطر .

وقد حاولت جهدي ان تتصل هذه الدراسة اتصالا وثيقا بالمصادر  
الأصيلة ، لكي تكون اشد الامانا بالمنهج العلمي . ولم اعتمد من  
المراجع الا الموثوقة التي اتخذت سبيلها لتكون معتمد الدارسين والباحثين .  
واقترنت من هذه المراجع على عدد ضئيل ككتاب فجر الاندلس للدكتور حسين  
مونس ، والمعجم العربي للدكتور حسين نصار ، وما كتبه بروفنسال وببيرا  
وغيرهما من الباحثين الثقات .

وكان يمكن لهذا البحث ان يستوعب دراسة خطيرة ، هي دراسة  
العامة الاندلسية . ولكن منعي من ذلك أمران هامان ، اولهما ان مثل  
هذه الدراسة يمكن ان يفرد لها بحث خاص ، وثانيهما ، وهو الأهم ، ان  
العامة الاندلسية قد تأثرت بالاسبانية القديمة تأثرا واضحا مما يجعل حديثي  
عنها ، وأنا اجهد الاسبانية القديمة ، امرا لاحقا بالمستحيل . واود لو  
ارى من تيسرت له سبل هذا البحث ومقوماته ان يقوم به خدمة لتراثنا  
وحياتنا اللغوية بخاصة .

وأود ان أشير هنا الى منهجي في الدراسة انني قد اخترت هذا المنهج بمد تأمل وتعمق شديدتين في طبيعة الحياة اللغوية عبر قرون أربعة . ولقد حاولت ان اظهر بوضوح اتجاهات هذه الحركة اللغوية وتطورها خطوة خطوة . واعتقد ان هذه الخطة قد سمحت بتبيان التيارات العامة من جهة وسمحت بابرار التطور الذي واجهته الحركة منذ بدايتها ، مع دخول العرب الى الاندلس ، حتى الفترة التي جعلتها حدا لنهاية دراستي .

وقد حاولت ان تكون هذه الدراسة متكاملة ليس فيها فجوات ولا تشويش ولا خروج عن الموضوع مما لا يفيد في اثراء العمل العلمي . ولهذا تراني لم أحفل كثيراً بالمقدمات الطويلة التي أراها معتقد الدارسين في هذه الايام ، فمثلا لم اتحدث عن السياسة الا في المواطن الضرورية للغاية ، وحيث كانت السياسة ذات أثر فعال في توجيه الحياة اللغوية ، وعندئذ كنت اوجز اكثر مما يمكن الايجاز . وأخيرا كلمة مودة وامتنان وتقدير لاستاذي الكرم الدكتور احسان عباس ، لما حباني به من عطف صادق ، ورعاية اخوية مخلصه ، ولما قدم لي من وقته وعلمه وخبرته . ولقد كان لدقته العلمية البالغة ولمنهجه الصارم في البحث ولإياديه البيضاء الأخرى التي لا تحصى أبلغ الأثر في هذه الرسالة ، وفي حياتي العلمية بعامة .

كما انني اتوجه بالشكر العميق للاخوة والاخوات الذين ساعدوني في اخراج دراستي هذه ، وأخص بالذكر منهم الاوانس سلس صمورى وسلوى صايغ وسميرة خورى والسيدتين ادوار مطلق ورفيق مطلق .

وأرجو ان أكون قد أسهمت في ابرار حقبة غامضة من تاريخ

حياتها اللغوية ، وأضفت الى مكتبتنا العربية ما يسدّ فراغا ولو بسيطا .  
فذلك - على ضالة شأنه - يمنحني الرضى ، ويميزني بشرة علمية  
متواضعة .

## الكتاب الاول

الحركة اللغوية بالاندلس  
حتى اواخر القرن الثالث الهجرى

## مقدمة

- ١ - حالة المجتمع واللغة في العهد القوطي
- ٢ - الاجناس المختلفة في الاندلس بعد الفتح العربي
- ٣ - حال اللغة بين هذه الاجناس المختلفة
- ٤ - مقام اللغة عند الاندلسيين
- ٥ - عوامل فعالة في تطور العناية باللغة في الاندلس

## ١ - حالة المجتمع واللغة في العهد القوطي :

كانت اسبانيا قبل الفتح العربي تحت حكم القوط الغربيين Visigoths وهم من القبائل التوتونية التي اجتاحت الامبراطورية الرومانية في اواخر القرن الرابع الميلادي ، واستطاعوا عند سقوط الدولة الرومانية الاستقلال بحكم اسبانيا ( ومعها أجزاء من فرنسا ) في القرن الخامس تحت زعامة " يوريك " ( ٤٦٧ ) متخذين مدينة طليطلة عاصمة لهم . وكان القوط أقلية لا يتجاوز عددها ٢٠٠ الف نسمة في بلاد يبلغ سكانها ٩ ملايين (١) . وكانوا يختلفون عن السكان المحكومين من ناحيتين ، (١) أنهم يدينون ببدعة آريوس أي لايعتقدون بألوهية المسيح ولا يجعلون للعدراء مكانا ممتازا في العقيدة . (٢) أنهم يتكلمون لغة جرمانية بينما يستعمل السكان لغة رومانية او لاتينية عامية . ولذلك فانهم من الناحية الدينية وجدوا بعد فترة من الزمن ان لا بد لهم من التخلي عن الآريوسية واعتناق الكثرة ، وهذا اصبحت الكاثوليكية مذهبها رسميا في اسبانيا منذ عهد الملك ويكاردو عام ٥٨٧ (٢) ، وبعد هذا التحول اعتبرت اللغة اللاتينية لغة رسمية في البلاد ، واصبح ولاء القوط للبابوية شديدا ، واصبحت طليطلة مركزا لاسقفية كبيرة يقيم فيها اسقف كبير يمثل البابا ونفوذ (٣) . وقد كان المنتظر بعد هذا التحول - في اللغة والمذهب - ان تنصهر الفروق القائمة في المجتمع الاسباني حينئذ ، وتقرب اسبانيا من الوحدة الثقافية والاجتماعية ، ولكن عوامل أخرى كانت تعمل عملها في المجتمع فتجعل الانصهار مستحيلا ، من ذلك (١) اقرار الفوارق الاجتماعية بين الطبقات ، فقد تكونت من

(١) Henri Terrasse, Islam d'Espagne p. 3.

ويشار اليه فيما بعد باسم " تراس "

(٢) فجر الاندلس : ١ وتراس : ٥

(٣) المصدر نفسه : ١

العائلات القوطية وكبار رجال الدين واشراف العهد الروماني طبقة ارسنقراطية تتمتع بامتيازات لا حصر لها . (٢) اقرّ الفوارق بين الاجناس والاديان ولذلك اضهد اليهود - مثلا - بشدة ، حتى انهم لشدة ما لحقهم من اضهاد دبروا القيام بشورة عامة قبل سبعة عشر عاما من الفتح العربي (١) . (٣) نظام الاقطاع الذي جعل قسما كبيرا من الناس وقيق أرض أو عبيد يعملون لاسعاد الاقلية الغنية (٢) .

ويرسم دوزى صورة قاتمة لحال اسبانيا في أيام القوط ، ويعارضه مؤرخون آخرون فيؤكدون ان اسبانيا تحت حكم القوط كانت تتمتع بالرخاء والرفاهية (٣) . ويحمل دوزى على رجال الدين لانهم كانوا ضالعين مع السلطة الحاكمة لا يهتمون الا بما يتعلق بهم ، وأنهم لم يحاولوا انعاش الطبقات المضطهدة من كبوتها ، ولا علوا شيئا لتحسين أحوال الناس ، الا القليل منهم (٤) . ولكن ليس من همي وأنا ادرس الجانب اللغوي ، ان أصور الوضع الاجتماعي الا بمقدار تأثيره في حياة اللغة . فقد أصبحت اللغة اللاتينية هي لغة الثقافة حينئذ ، وكان الناس يتكلمون لغة رومانية دخلتها بعض الالفاظ من أصل جرمانى بحيث يصور موضعها من اللغة أثر الفاتحين (٥) . وعلى هذا الاساس الثقافي - اللغوي في أساسه - وجدت حضارة علمية اسبانية مركزها الاديرة والمدارس الدينية ، وكانت اشبيلية من أهم مراكز هذه الثقافة واليهما ينتمى ايزيدور الاشبيلي ( - ١٦٣٦ م ) ، الذى قام بدور الوسيط في نقل الفكر اليونانى الرومانسى

- 
- (١) R. Dozy : Spanish Islam p. 227.  
 (٢) المصدر نفسه : ٢١٧ .  
 (٣) انظر مثلا Maurice Legendre, Nouvelle Histoire d'Espagne pp. 73 seq.  
 (٤) Spanish Islam p.222 seq.  
 (٥) تراس : ١١



الى القرون الوسطى . ومن اهم آثاره كتاب له في الاشتقاق اللغوي<sup>(١)</sup> ، ومعنى هذا أن اسبانيا لم تكن دون معالم ثقافية حيث دخلها العرب ، واذا كان لنا ان نلاحق المظاهر القوطية في حياة اسبانيا بعد الفتح العربي ، فيجب أن نتطلع الى طبقة " المستعربين " الذين ظلوا يحافظون على لغتهم الرومانسية وهي التي أصبح العرب يسمونها " عجمية الاندلس " ، وعلى الثقافة الايزيدوية وعلى طراز الابنية القوطية<sup>(٢)</sup> .

## ٢- الاجناس المختلفة في الاندلس بعد الفتح العربي :

أ- العرب : كان الجيش الذي دخل به طارق الى الاندلس (١٢ هـ = ٧١١ م) يبلغ اثني عشر ألفا اكثرهم من البربر وليس فيه من الجند العربي الا قلة ضئيلة ، وتزايد عدد البربر الداخلين الى الاندلس عندما نجح طارق في مهمته ، يقول الرازي حسب نقل المقرئ : " وتسامع الناس من أهل بر العدو بالفتح على طارق بالاندلس وسعة المغانم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلقوا بطارق وارتفع أهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال " (٣) وهذا النص يعني ان عدد البربر المهاجرين ازداد في أثناء الفتح ، وان كان لا ينبغي أن هناك عربا دخلوا معهم في تلك الفترة ، ثم لحق موسى بن نصير بطارق في جيش عربي يبلغ اثني عشر ألفا ، وسمى هؤلاء " الطالعة الاولى " من العرب ، ثم كانت طالعة بلج

(١) تراس : ١٤ ، وفجر الاندلس : ٢٩

(٢) تراس : ٢٣

(٣) نفع الطيب : ١ : ٢٤٣ ، وفجر الاندلس : ١٢٧

ابن بشر القيسي (١٢٣ = ٧٤١) وهي تضم عشرة آلاف من الشاميين القيسية ، وقد سمي الذين استقروا قبل طلعة بلج باسم البلديين تمييزا لهم عن المهاجرين الشاميين الجدد، كما ان البلديين كان معظمهم من اليمنية (١). غير أننا يجب أن نقدر أن هجرة العرب في عهد الولاة والعهد الاموي لم تقتصر على هذه الاعداد، بل كان هناك اقبال عام على الهجرة ، يقول المقرئ : " فاعلم أنه لما استقر قدم اهل الاسلام بالاندلس وتنام فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب وساداتهم معهم الى الحلول بها، فنزل بها من جرائم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم " (٢).

ويمثل العرب الاندلسيون الانتساب الى كل من القحطانيين والعدنانيين - أي عرب الجنوب وعرب الشمال - الا أن القحطانيين كانوا أكثر عددا (٣)، ويضم هؤلاء القحطانيون قبائل الازد والانصار - " وكان جزء الأنصار بناحية طليطلة وهم أكثر القبائل بالاندلس في شرقها وغربها " (٤) - وجذام وتجب وزى وعين وكنب، ومنهم حضرميون حلوا بمرسية وقرطبة واشيلية وبطليوس وقرطبة ، ٠٠ وهم كثير بالاندلس (٥)، ويضم عرب الشمال من ينتسبون الى قريش خاصة او الى كنانة عامة ، ومن ينتسبون الى قيس عيلان أو للقبائل المتفرعة من قيس عيلان مثل سليم وهوازن وكسلاب ونمير ومن ينتسب الى ربيعة مثل أسد والنمر بن قاسط وتغلب وكر، وكان من قبائل تميم خلق كثير بالاندلس (٦).

- (١) انظر فجر الاندلس : ٣٥٦ .  
 (٢) نفح الطيب ١ : ٢٧١ وفجر الاندلس : ٣٦٨ .  
 (٣) النفح ١ : ٢٧٤ .  
 (٤) المصدر نفسه ١ : ٢٧٥ .  
 (٥) المصدر نفسه ١ : ٢٧٩ .  
 (٦) المصدر نفسه ١ : ٢٧٢ وانظر تفصيل ما أورده المقرئ عن العرب الذين استوطنوا الاندلس ٢٧١ - ٢٧٩ .

وقد درس الدكتور حسين مؤنس ظاهرة استيطان العرب في الاندلس دراسة تفصيلية يحق أن أجعلها معتمداً في هذه المقدمة ، لما لها من قيمة في توضيح البيئة العنصرية والاجتماعية التي تكونت فيها الجهود اللغوية ، قال : " ونستطيع ان نقول بصفة عامة ان العرب استقروا على طول خطوط الفتح الاولى ، فنرى منازلهم تنتشر ابتداءً من الجزيرة الخضراء ، وتسلماً معظم المنطقة الواقعة جنوب نهر شنيل وحوض الوادي الكبير ، ثم تكثرت بصورة ظاهرة في اقليم اشيلية ، وتستمر على طول الوادي الكبير وفروعه . وعند اقليم اشيلية تنتشر منازل العرب في نفس الاتجاه الذي سار فيه موسى ، وتكثر في نواحي أونبة ولبلبة وباجة ، وتتصل حتى بطليوس ثم نواحي طليطلة وظليطلة فوادي الحجارة وقلعة أيوب ودروقة وحوض امبره الاوسط حول سرقسطة في منطقة واسعة تشمل حوض نهر جالغو Gallego ونهر الحمّة Rio Alhama . ومن أحواز قرطبة يمتد خط عربي آخر ، على طول طريق طارق بن زياد حتى طليطلة ماراً بقلعة بهاج . ومن حوض الوادي الكبير انصاح العرب شرقاً ، فملأوا نواحي ما يعرف عادة بشرق الاندلس ، وهي نواحي بلنسية وتدمير (مرسية) ولقيت والمعونة والمالقة " (١) .

وسرى الدكتور مؤنس أيضاً أن العدنانية والقحطانية لم يتخذ أي منهم ناحية ينفرد بالسكنى فيها الا في القليل من المواضع (٢) ، وقد رسم جدولا بتوزيع القبائل في كل ناحية ، دلّ على أن الكتلة اليمنية كانت أقوى في نواحي اشيلية وغرب الاندلس وأن اليمنيين كانوا كثيرين في اقليم <sup>أقاليم</sup> البيرة وغرناطة وجيان وأن غالبية من نزلوا سرقسطة هم من الخزيج وعدوة وقضاة وتجب وكعدة وجذام وهي كلها قبائل يمنية وأن مرسية وطلبيرة

(١) فجر الاندلس : ٣٧١

(٢) المصدر نفسه

وبلنسية غلب عليها عرب الشمال . أما قرطبة فقد نزلها من كل قبيلة من العرب وظل العنصر العربي طوال صور الاندلس غالباً على اشبيلية واستجة وريسة وقسبة والجزيرة الخضراء والبيرة وجيان ومالقة وتدمير وسرقطة وشذونة وقومونة ولبلسة وباجة وأونبة<sup>(١)</sup>. أما العرب الذين نزلوا الريف فقد اتخذوا لانفسهم حصونا يحتصمون فيها مثل قلعة يحصب (قلعة بني سعيد) في اقليم غرناطة وقلعة خولان (بين الجزيرة الخضراء واشبيلية) ، ومنهم من أنشأ قرى كاملة ظلت تحمل أسماء أصحابها كمنزل طي جنوبي مرسية ودار هلي شمالي قرطبة<sup>(٢)</sup> ، وكان هؤلاء العرب يفدون رجالاً لانساء معهم فيتزوجون من نساء غير عربيات ، ولذا فان الاجيال الثانية منهم ربما جاز اعتبارهم مولدين<sup>(٣)</sup> .

ب - البربر : رأينا منهم الفوج الذي دخل مع الفتح ، ثم تلك الافواج التي سارعت الى الهجرة لما سمعت من نجاح طارق في فتوحاته ، ولقرب افريقيا من الاندلس كان كثير من البربر يهاجرون اليها أملاً في ظروف معيشية أكثر ملاءمة<sup>(٤)</sup> . وكان البربر في بداية الاستيطان أكثر عدداً من العرب ولعلمهم في البداية أيضاً اتحدوا مع العرب وعرف الفريقتان معاً باسم البلديين ضد الشاميين المهاجرين ، وكان أكثرهم من قبائل مطغرة ومديينة ومكاسة وهوارة أو ما يسمى " السهتر"<sup>(٥)</sup> ، ثم جاءت الهجرات التالية بأناس من فرع " البرانس" ، وقد درس سيزار دويلر منازل البربر في الاندلس من مراجعته لاسماء المواضع البربرية ، وأكثر هذه

(١) فجر الاندلس : ٢٧٢ - ٢٧٥

(٢) المصدر نفسه : ٢٧٦

(٣) المصدر نفسه : ٢٧٦

(٤) Levi Provençal : Histoire de l'Espagne Musulmane, vol.3 p.168.

(٥) فجر الاندلس : ٢٧٦ - ٢٨٠

الاماكن التي اكتشفها تقع في البرتغال (١) . ويدل الثبت الذي أورده ابن حزم في الجمهرة عن بيوتات البربر في الاندلس على أن أسراء الشجر كانوا منهم ، أى أن معظم سكان النواحي الشمالية كانوا من البربر . وهذه المجموعة التي ذكرها ابن حزم تكون خطا واحدا " يبدأ من نواحي جبال البرت عند لاردة ووشقة ثم ينحدر الى ناحية مدينة سالم (قاعدة الشجر الاوسط فيما بعد ) فقد نزلها بنو سالم من البرانس وأعطوها اسمهم ، وسكن الى جوارهم بنو الفرج وبنو عوسجة . وفي الدائرة الواسعة التي تحيط بمدينة سالم والتي تضم شنتبية والسهلة ووادي الحجارة نجد كتلة بربرية ضخمة تعمر هذه النواحي كلها الى أحواز طليطلة ٠٠٠ وتمتد هذه الكتلة البربرية شرقا فتشمل تيروال حيث نزل بنو غزلون وناحية الجونيت حيث نزل بنو قاسم ثم تتصل هذه السلسلة البربرية ٠٠٠ فتشمل مناطق طلبيرة (جنوبي طليطلة ) واردة وقوية بين التاجه والدوير، ثم تصل الى ساحل المحيط عند قلنبيرة " (٢)

ويقول الاستاذ لسفي بروفنسال في حديثه عن البربر : " وقد اضطرهم العرب في اكثر الاحايين على الاقامة في المرتفعات مما جعلهم قليلي الحظ والنعمة ، وصاروا عرضة للقط والجفاف اللذين نزلا في بعض السنين مما حصل بعض جماعات من هؤلاء البربر على العودة - طوعا أو كرها الى اقرية " (٣) ويناقش الدكتور مؤسس هذه الدعوى فيذهب الى أن الاقامة لم تكن مدروسة وانما كانت قائمة على المصادفة ، ولو ان الفتح سار في طويق غير التي سار فيها لما تكاثر العرب حيث تكاثروا (٤).

(١) انظر فجر الاندلس : ٣٨١ - ٣٨٢

(٢) فجر الاندلس : ٣٨٤

(٣) بروفنسال ٣ : ١٦٨

(٤) انظر فجر الاندلس : ٣٨٢ - ٣٨٩ ، والصفحة ٣٧٠

ج - السود : وكانت في الاندلس عدا العرب والبربر

جماعة من السود، وقد ظل عددهم قليلا وظلوا يعملون في الجندية .

د - اليهود : كذلك كانت هناك جماعات من اليهود

واقعة تحت الاضطهاد في أيام القوط، وهم من الفئات التي رحبت بالفاتحين وتعاونت معهم وقد ظلوا يتمتعون بمركز طيب في أكثر العصور وبلغ بعضهم في العصور التالية درجة الوزارة، وعمل كثير منهم أطباء في بلاطات الامراء، بل ان حركة بعث اللغة العبرية والادب العبرى بدأت في اسبانيا تحت رعاية الحكام الاندلسيين، وكان بعض علماء المسلمين يعينون اليهود على انشاء نحو لغتهم، واستعرب اليهود منذ زمن مبكر فاخذوا لغة العرب وأزياهم (١) .

هـ - الموالي : وكان في الاندلس جماعة كبيرة من الموالي

وكان أهمهم اولئك الذين ارتبطوا بالولاة مع البيت الاموي ومنهم ناس من البربر أنفسهم، وقد زادت أعدادهم في الاندلس زيادة عظيمة وكثروا بعد سقوط الدولة الاموية في المشرق، كما دخل في ولاء بني أمية عدد كثير من أهل الاندلس وقد كانت رابطة الولاة هذه التماسا لشرف المنزلة، وقد اعتمد عليهم عبد الرحمن الداخل كثيرا في ارساء حكمه وظل أمراء بني أمية يحلونهم المراكز الممتازة في الادارة وفيها ومن عائلات الموالي المشهورة بنو شهيد وبنو فطيس وبنو حدير وبنو مغيث (٢) .

و - السكان الاصليون : وهناك السكان الاصليون

(١) Levi Provencal, Hist. vol. 1 p. 80 - 81.

(٢) انظر فجر الاندلس : ٣٩٦ - ٤١٣

وهم يسمون " عجم الأندلس " أو " عجم الذمة " (١) فمن أسلم منهم أطلق عليهم " المسالمة " أو " الأسالمة " وأولاد هؤلاء " المسالمة " يسمون " المولدين " ، وأما من بقوا على دينهم فهم " ذمة " أو " معاهدة " أو " المعاهدون " - أي من لهم عهد من المسلمين - ومع الزمن أخذ عدد الذمة يتناقص ويكثر عدد المسالمة والمولدين ، ولما زار ابن حوقل الأندلس في خلافة عبد الرحمن الناصر كان ما يزال عدد الذميين والمعاهدة كثيرا ، قال : " وبالاندلس غير ضيعة فيها ألوف من الناس لم تصدّ وهم على دين النصرانية ، روم ، وربما عصوا في بعض الأوقات ولجأ بعضهم إلى حكن فطال جهادهم لانهم في غاية العتو والتسرد ... " (٢) . ويتناول بروفنسال في وصف فئات المسالمة والمولدين : " هؤلاء المسلمون الجدد زاولوا في القرى تربية المواشي والزراعة وفي السواحل الصيد والصناعات البحرية بينما كانوا في المدن يقومون هم والموالي بالحرف والتجارة ، وهذا كله يبين الدور القوي الذي قام به المولدون في ميدان الاقتصاد العام للبلاد وهم يشكلون القسم الأكبر من سكان الأندلس وقد برهن الأمويون على أفضل سياسة وأحكمها عندما ساعدوهم على الالتقاء وسمحوا لكثير منهم بالاقتنا" وبالتغلغل في المجتمع الإسلامي . . . . . وكانت سياسة اللين لا سياسة القهر هي المتبعة في نشر الإسلام ، وما لبثت هذه السياسة أن أثمرت وأمدت النظام الأموي بجماعة كبيرة من ذوي القيم العليا الذين استطاعوا

(١) أطلق على هؤلاء لفظ " المستعربين " Mozarab وهو لقب يظهر ابتداءً من القرن الحادي عشر الميلادي ، وذلك تمييزاً لنصارى الأندلس عن غيرهم من نصارى قشتالة والفرنجة ، إذ كان نصارى الأندلس مستعربين حقا في الثقافة واللغة وأساليب الحياة ، وكانت صلواتهم تقام بلغة خاصة هي عجمية الأندلس وهي خليط من الرومانية القديمة واللاتينية الدارجة والقوطية والعربية ، ولكن عرب الأندلس لم يستعملوا هذه اللفظة " المستعربين " (انظر فجر الأندلس ص : ٤٢٥ - ٤٢٨ ) .

(٢) صورة الأرض : ١٠٦

باستقامتهم - غير مرة - أن يفضوا الخلافات السياسية التي كانت تتشب بين العناصر المهاجرة من عرب وبرايرة . . . . . وليس ثمة ما يمنع أن نؤكد انه اذا كانت الاندلس منذ القرن الحادى عشر قد تألقت في ميدان الفكر فانها كانت مدينة بذلك الى هؤلاء المولدين " (١) . ويعدد بروفنسال اسما مولدين ظلوا يحتفظون بأسمائهم القديمة بعد اسلامهم مثل بني شبريق Savarico وبني القبطرنة Kabturno وبني مرتين Martin وبني اللونقة Longo وبني تومس Comes وبني قرلمان Karluman وغيرهم (٢) .

### ٣ - حال اللغة بين هذه الأجناس المختلفة :

في التقاء هذه الأجناس المختلفة صورة مغيرة على التصور لما يمكن أن تكون عليه حال اللغة واسطة التفاهم بينها جميعا ، ولذا لابد من أن يخطو الدارس في أناة شديدة كي يأمن مواقع الزلل وهو يحاكم الروايات القليلة التي وصلتنا عن تلك الاوضاع اللغوية . ولا بد أن أقروا بادئ ذي بدء ما يمكن أن يعد تحصيل حاصل ، ولكني انما اقرره للخروج منه بنتائج معتمدة ،

١ - حين دخل العرب الى الاندلس جاءوا معهم بلغتهم العربية ، ولكن هؤلاء العرب كانوا ينتمون الى قبائل مختلفة ، وتغلب عليهم الصيغة اليمنية ، ولذا كانت لغة الحديث بينهم على تفاوت يسير ، وان اجتمعوا جميعا حول اللغة القرآنية ، وبخاصة حين تكون الكتابة تعبيراً عن تلك اللغة .

(١) Levi Provencal, Hist. vol. 3 pp. 180 - 81

(٢) المصدر نفسه : ١٨٤



٢ - وأدخل البربر لغتهم البربرية ، على أن نذكر أن قدم عهدهم النسبي بالاسلام جعل اللغة العربية لديهم لغة الدين والكتابة ، فاذا كانوا يتحدثون فيما بينهم باللغة البربرية ، فقد كان تفاهمهم مع زملائهم الفاتحين بالعربية أمرا طبيعيا ، ويقول بروفنسال : " ومنذ القرن التاسع لم يعد أحد يتكلم باللغة البربرية بالاندلس (١) الا في نطاق بعض بلاطات ملوك الطوائف المنتهين الى أصل بربري كهنّي زهري الصنهاجيين بغرناطة ، وسوف تعود اللغة البربرية الى الظهور في اسبانيا عند قدوم اللسوثيين (المرابطين) . غير أن البربر كانوا أشد من غيرهم خضوعا لأثر البيعة الأندلسية ، فقد اجتهد معظمهم في التعرب ، وارتبطوا بمن يجاورهم من السكان الاصليين بالصهر والقراة وأخذوا عن أمهاتهم الاسبانيات لغة الحديث فكانوا أسرع اندماجا في بيئتهم الجديدة (٢)

٣ - وليس هناك ما يشير الى أن اليهود قبل الفتح العربي كانوا يستعملون اللغة الجبوية في غير الطقوس الدينية ، فلما جاء الفتح كانوا من أسرع الفئات تعربا ، حتى نشأت بينهم في عصر ملوك الطوائف حركة بعث اللغة العبرية .

٤ - وأما السكان الاصليون فكانت لهم لغتهم الخاصة بهم تلك اللغة التي كانت دارجة بينهم قبل الفتح وهي اللغة التي يقول فيها الاستاذ مقنث بدال : " أن اللغة التي كان يتكلمها أهل ايبيريا قبل القرن الحادي عشر الميلادي لا يمكن تعرفها الا على وجه التقريب ، نظرا لقلّة الاصول التي يعتمد عليها ، وكل ما يمكن قوله انها كانت تضم ألفاظا قليلة من لغة القوط ، أما بقيتها فكانت لهجات مختلفة من

(١) Levi Provencal Hist. vol 3. p. 169.

(٢) فجر الاندلس : ٣٩٥ - ٣٩٦

اللاتينية العامية "Latin Vulgar" (١) هذه اللغة هي التي سماها العرب عندما سمعوها "العجمية" أو "عجمية أهل الأندلس"، وهي اللغة التي كان يحسنها "الذمة" و "المسالمة" كما ظل يحسنها "المولدون" وانضاف اليهم عدد من البربر والعرب ولكنها لم تبق على نقائها الأول بعد الاختلاط بالعناصر المهاجرة، وخاصة وأن العرب من هؤلاء دخلوا البلاد دون زوجات واتخذوا نساءهم من أهل البلاد.

٥ - فالعجمية إذن هي لغة السكان الاصليين، وتحديد طبيعتها أمر عسير فهل هذه العجمية هي نفس اللغة التي أصبحت لغة الحديث بعد دخول العرب، يقول الدكتور مؤنس: "وبديهي أن أولئك جميعا (يعني فئات العرب) لم يعودوا يتكلمون العربية في حياتهم العادية بعد الجيل الثاني، فقد غلبت عليهم في المخاطبة والمعاملات لغة أهل البلاد، اختلطت بها لغة الغرب ونشأت عن ذلك "عجمية أهل الأندلس" أو "اللطينية" كما يسميها ابن حزم (٢). أما أن لغة العرب اختلطت بها فشيء بديهي، وأما أن نتيجة هذا الاختلاط هو ما يسمى "عجمية أهل الأندلس" فأمر يدعو إلى التوقف، لانا نعلم أن عجمية الأندلس هي ما كان موجودا قبل الاختلاط، ولان مثل هذا القول يجعلنا ننسى حركة "الاستعراب" القوية، وهذه الحركة تعني أن السكان الاصليين تعلموا اللغة العربية بسرعة، وأصبحوا قادرين على التفاهم مع السادة الجدد، واذن فلا بد أن نسبة العناصر العربية في اللغة الناشئة من هذا اللقاء كانت أكبر من نسبة العناصر غير العربية، واذا صح هذا التقدير كان من لقاء اللغتين لغة ثالثة هي "العامية العربية الأندلسية" لا "الاهجمية".

(١) Ramon Menendez Pidal: Origenes del Español  
(3<sup>a</sup> ed. Madrid 1950 -)

مقدمة الكتاب، وقد ورد هذا في فجر الأندلس ص: ٤١٧ حاشية (١)

(٢) فجر الأندلس: ٣٧٧

واذن فاذا سلطنا ان البربر في الاندلس لم يتمسكوا طويلا بلغتهم نرى ان هناك ظاهرة فريدة في اللغة بالاندلس ان هي تقوم على ثلاثة مستويات : لغة عجمية فيها قليل من الالفاظ العربية ، لغة عربية هي أداة الكتابة والانشاء ، ولغة دارجة عامية معظم الفاظها عربي وقد دخلتها بعض الالفاظ العجمية ، وهذه الثالثة هي التي كانت لغة الحديث اليومي ، وهي التي تتمثل من بعد في الازجال الأندلسية . وهذا لا يعني ان العربي لم يكن يحسن " اللغة العجمية " أو أن المولد ذا اللغة العجمية لم يكن يستطيع الكتابة باللغة العربية . ولكن لا بد من أن نفترض وجود عامية قوية الشبه بالعربية والا لم نفهم ما يرد في المصادر مصدرا بمثل يقول العامة كذا ومن أمثال العامة كذا - مما هو عربي عامي دارج ، وبه أيضا نفهم كيف يمكن أن تكون الازجال الأندلسية شيئا آخر غير الذي تعنيه العجمية .

٦- ولا بد أن حركة " الاستعراب " كانت قوية وخاصة بين الاجيال الناشئة ، وهذا هو الذي تعبر عنه صرخة الفارو حين قال : " ان اخواني المسيحيين يستمتعون بقصائد العرب وحكاياتهم فهم يدرسون مؤلفات علماء الكلام والفلاسفة المسلمين لا لينقضوها وانما ليحرزوا أسلوبا عربيا صحيحا ناصعا . أين تجد اليوم بين الناس من يقرأ التعليقات والشرح اللاتينية على الكتاب المقدس ؟ أين من يدرس الاناجيل والاسفار وأعمال الرسل ؟ والأسف ان الشبان المسيحيين المتميزين بعواهبهم لا يعرفون أدبا سوى الأدب العربي أو لغة سوى العربية وهم يدرسون الكتب العربية بنهم وافتتان ويجمعون منها مكثبات كاملة مهما تبلغ تكاليفها ، وهم يتغنون بمحاسن الأدب العربي في كل مكان . فاذا ذكرت لهم الكتب المسيحية أشاحوا معرضين وقالوا انها لا تستحق اهتماما ، يا للحسرة ! لقد نسي المسيحيون لغتهم وما تكاد تجد واحدا في كل ألف يستطيع أن يكتب الى صديقه رسالة بلغة لاتينية سليمة فاذا كان الامر كتابة

العربية فما أكثر من يستطيعون التعبير عن نفوسهم بتلك اللغة في براعة عظيمة بل هم ينظمون اشعارا تتفوق في صحتها الشكلية على ما ينظمه العرب أنفسهم" (١). وقد يقال إن الثارو في هذا كان مغاليا في حاسته ، وأنه كان داعية للعودة إلى اللاتينية ولذلك فهو يغرق في الانحاء على <sup>صحة</sup> الثقافة العربية رجاء أن يلفت الناس بقوة النذير ، وقد يقال ان هذا كله ينصب على اللغة المكتوبة ، وكل هذا حق ، ولكن كيف يمكن أن تكون عملية الاستعراب بهذه القوة ، ثم تظل "عجبية الاندلس" هي اللغة الوحيدة المحكية في البيت والشارع وفي كل ناحية من نواحي الحياة اليومية ؟ ذلك أمر من العسير تقبله ، واذن فلا بد أن تكون لغة الحديث اليومي عربية في معظمها مشوبة بقسط من الالفاظ والتراكيب العجمية .

٧ - ولم تكن "عجبية الأندلس" مفهومة لدى جميع العرب حتى مطلع القرن الثالث (أى بعد ما يزيد على مائة عام من الاستيطان) ذكر الخشني أن القاضي سعيد بن سليمان (في زمن عبد الرحمن بن الحكم ٢٠٦ - ٢٣٨) قضى في المسجد إلى أن مضى صدر النهار ثم قام منصرفا إلى داره فلما هم بدخول الدار فاذا بوالد نصر الفتى مقبلا وأعوانه بين يديه ، وكان أعجمي اللسان فصاح على البعد بالعجمية كلموا القاضي يثبت علي أكلمه ، فقال القاضي قولوا له بالعجمية ان القاضي قد أدركته الملالة والسامة (٢) فهذا قاض يفصل بين الناس ومن المنتظر أن يكون بين شهوده أناس ممن لا يحسن الا العجمية ، وكذلك بين المترافعين اليه ، ولكنه يقول : قولوا له بالعجمية (أى ترجموا له ما أقول) فهو لا يحسن التكلم بها . أما أن بعض الشهود كانوا أحيانا ممن لا يحسنون الا العجمية فثبت من نص آخر

(١) Dozy, Spanish Islam p. 267.

(٢) قضاة قرطبة : ١٦

أيضا

أورده الخشني<sup>١</sup> اذ قال : " وكان حينئذ بالمدينة شيخ أعجمي اللسان يسمى ينير وكان مقدا عند القضاة مقبول الشهادة مشهورا في العامة بالخير وحسن المذهب، فأرسل فيه الوزراء وسألوه عن القاضي فقال بالعجمية : ما أعرفه الا أنني سمعت الناس يقولون انه انسان سوء ، وصفه باللفظ العجمي " (١) . ونتقدم قليلا في الزمن الى أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن ( ٢٣٨ - ٢٧٣ / ٨٥٢ - ٨٨٦ ) فوجد قاضيا آخر يفهم الكلام بالعجمية ويتحدث بها ، وذلك هو سليمان بن أسود ، فقد كان في وقته وجلس من العدول يعرف بابن عمار يتردد الى مجلسه ولا يقوم الا اذا قام القاضي ، " وكانت لابن عمار بخله هزيلة تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد قد أضناها الجهد وغيرها الجوع ، فتقدمت امرأة الى القاضي فقالت له بالعجمية : يا قاضي انظر لشقتك هذه . فقال لها بالعجمية لست أنت شقتي ، انما شقتي بخله ابن عمار التي تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار " (٢) .

وعلى مر الزمن أصبحت هذه العجمية مفهومة لدى الاكثية من الناس، لا لانها لغة التخاطب، بل لان ظروف الحياة الاندلسية اقتضت هذه العلامة بين الاجناس المختلفة بحيث يفهم كل فريق لغة الفريق الآخر ، وخاصة وان المرأة التي تسيطر على حياة البيت لم تكن في الغالب عربية . ولهذا ما نكاد نصل الى عصر امراء الطوائف حتى نجد قبيلة بلي العربية شاذة من بين القبائل اذ يذكر ابن حزم : " أنهم لا يحسنون الكلام باللطينية ، نساؤهم ورجالهم " (٣) ، وذكر النساء في هذا النص هام جدا لانه يدل على أن رجال قبيلة بلي لم يتزوجوا من النساء الحرائر والجراري

(١) قضاة قرطبة : ٨٤ والحديث عن القاضي يخامر الذي ولي القضاة

سنة ٢٢٠ / ٨٣٥ .

(٢) المصدر نفسه : ١١٨

(٣) جمهرة الأنساب : ٤١٥ (الطبعة الاولى)

الاجنبيات، ومن ثمّ ظلت العربية وحدها لسانا لهم، ومثل قبائل بلي سكان شلب وقراها - وأكثرهم من عرب اليمن - فقد ظلوا يحافظون على اللغة العربية الصريحة الى عهود متأخرة (١).

وعرب بلي الذين ذكرهم ابن حزم كانوا يسكنون شمالي قرطبة أي أنهم من أهل الأياف، وهذا وجه الغرابة في عدم احسانهم الكلام " باللطينية " وكذلك هو وجه الغرابة في محافظة قري شلب نفسها على صريح اللغة العربية، ذلك أنه يجب أن نقيم فرقا بين المدن والريف في شؤون اللغة، فاذا كانت العامية العربية شائعة في المدن، فان الأياف قد غلبت عليها لهجة عجمية مشوبة ببعض العربية، أولا لاشتراك العناصر العربية فيها في شؤون الحياة الزراعة وتأقلمها تدريجيا، وثانيا لقلّة الثقافة اللغوية الا لمن يستطيع الرحلة الى المدن، ولذا لا يستبعد شيوع العجمية الاندلسية في الأياف والبادي بالاندلس، وذلك هو ما يذهب اليه الاستاذ لثي بروفنسال حين يقول: " ومن الطبيعي أن يكون ذلك ( أي غلبة الرطانة الاسبانية ) أظهر في الأياف منه في المدن " (٢).

٨ - هل هذه " اللطينية " التي يتحدث عنها ابن حزم هي " عجمية الاندلس " ؟ لقد ذكرت من قبل رأي مننث بدال في أن هذه العجمية كانت لهجات مختلفة من اللاتينية <sup>العاصية</sup> المحلية فيها ألفاظ قليلة من لغة القوط، وعندما ذكر ابن حزم تلك اللغة التي سماها " اللطينية " ذكرها في معرض كلامه عن لغة الحديث، غير أنه ذكر اللغة اللطينية في كتابه " التقويم لحد المنطق " فقال مرة: " على أن

(١) السروض المعظار : ١٠٦

Levi Provencal, Hist. vol.1 p.77.

(٢)

السؤال بما والسؤال بأى قد يستويان في اللغة العربية وينوب كل واحد من هذين اللغظين عن صاحبه ويقعان بمعنى واحد ، ومن أحكم اللغة اللطينية عرف الفرق بين المعنيين اللذين قصدنا في الاستفهام ، فان فيها للاستفهام عن العام لفظا غير لفظ الاستفهام عن أبعاض ذلك العام ببيان لا يختل على صاحبه أصلا " (١) . وقال في الحديث عن الكمية : " وهذه عبارة لم تعط اللغة العربية غيرها وقد تشاركها فيها الكيفية ، وهذا يستبين في اللغة اللطينية عندنا استبانة ظاهرة لا تختل ، وهي لفظة تختص بها الكمية دون سائر المقولات العشر وللکيفية أيضا في اللطينية لفظ يختص بها اختصاصا بينما لا اشكال فيه ، دون سائر المقولات لا يوجد لها ترجمة مطابقة فسي العربية " (٢) . فهنا احتكام الى لغة ذات قواعد وأصول ، وأكبر الظن أن ابن حزم لم يعن باللطينية هنا ما عناه حين تحدث عن قبائل بلي ، فاللطينية هنا - فيما يخيل السي - لغة مكتوبة ، الا اذا افترضنا أن الفرق بين العجبية المحكية والاخرى المكتوبة فرق ضئيل أو معدوم ، وعندئذ نستطيع أن نقول في اطمئنان ان هذه العجبية لم تغلب عليها عناصر دخيلة بحيث تصبح رطانة دارجة .

١ - ويقول الأستاذ نكل ان هذه الاعجمية تمثلت في ثلاث لهجات كبرى وهي الارغونية والبلنسية والقشتالية (٣) ، ويبدو أن هذه اللهجات لم تكن متباعدة احداها عن الاخرى ، وأن نصارى قرطبة كانوا - لاجادتهم العجبية - يستطيعون فهمها والترجمة عن يتحدث بها وهذا يبدو واضحا في تاريخ الوفود الاجنبية على سلاط قرطبة ففي سنة ٣٦٠ / ٩٧١ وفد بون فليو سفير بريسيل Borrell حاكم امارة برشلونة

(١) التقريب : ١٥

(٢) المصدر نفسه : ٥٢ وانظر أيضا ص ٥٤

(٣)

على الحكم المستنصر ، فجلس الحكم لاستقبال الوفد يوم السبت لاربع خلون من شهر رمضان من العام المذكور وتوجه في رسل بويل بن شنير : جمهور بن الشيخ في قطع مسن الجند وسعه النفر من كبار النصارى بقرطبة المترجمين فقاموا بالترجمة عنه اليهم وعرض اليه (١) . وفي موضع آخر ذكر ابن حيان هؤلاء المترجمين وفيهم أصبح بن نبيل قاضي نصارى قرطبة واسقهم عيسى بن منصور وقومهم معاوية بن لب وسطران اشيلية عبيد الله بن تاسم (٢) . كذلك قام هؤلاء المترجمون بدور الترجمة عندما تلقى الحكم رسل حلوية عمه الطاغية أمير جليقية وفي هذه المرة فقد القاضي أصبح بن عبد الله بن نبيل ما كان له من حظوة لدى الخليفة لانه لم يحجم عن أن ينقل عن الرسل كلاما فيه بعض الجفاء في مخاطبة الخليفة وأمر بصرف الرسل وتوبيخهم وأتى ابن أصبح عن قضاء النصارى (٣) . وهذه المواقف جميعا تدلنا على أن بعض نصارى قرطبة كانوا يحسنون الترجمة عن وفود قشتالة وبرشلونة وجليقية واذا لم يكن هؤلاء المترجمون من المتوسعين في اللغات كان من الحق أن نفترض أن معرفتهم بهذه اللهجات كانت ناشئة عن قربها من العجمية " الأم " . ويجب أن نلاحظ جلال المناصب التي كان يحتلها هؤلاء المترجمون بحيث لا نفترض أنهم كانوا يتخذون من الترجمة مهمة خاصة ، ثم ان اختيارهم من نصارى قرطبة دليل على ان اتقان " العجمية الأم " لم يكن أمرا ميسرا لغيرهم من المسلمين ، ولو لم يكن الأمر مقاما رسمياً لخلفيا لاستطعنا القول أيضا ان الحكم ويطانته لم يكونوا يعرفون مسن " العجمية " ما يمكنهم من التفاهم المباشر مع هؤلاء الرسل الاجانب .

١٠ - ولنا في التفرة بين هذه العجمية ولغة الحديث التي سميت " عامية "

(١) المقتبس : الورقة ٧ (نسخة مدريد)

(٢) المصدر نفسه : الورقة : ٣٣

(٣) المصدر نفسه : الورقة : ٨٨



ما نستنتج من قول ابن بسام في حديثه عن عمل الوشاح في الخُرْجة : " يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز " (١) فهنا نوظن من اللفظ أحدهما يسمى عجميا والآخر يسمى عاميًّا ، ونحن نعرف مما تبقى من موشحات أن الخُرْجات الاعجمية شيء غريب عن العربية ، وإن خالطته أحيانا ألفاظ مأخوذة من لغة العرب ، كما نعرف خُرْجات عامية ، ألفاظها عربية كلها وليس فيها لفظة واحدة أعجمية .

وقد حدثتنا المصادر عن بعض خصائص هذه العامية العربية فأنبأنا ابن حزم أن العامة قد بدلت الالفاظ في اللغة العربية تبديلا هو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق فنجدهم يقولون في العنب : " العينب " ، وفي السوط : " أسطوط " وفي ثلاثة دنائير : ثَلْثَدَا (٢) . وقال غيره انهم يقولون في التين : " تَيْن " وفي النوتي : " نُوتِي " وفي القبيط : " قبيد " (٣) . واختلفت هذه اللهجة العامية في منطقة أندلسية دون أخرى فكان أهل شرق الاندلس يفتحون أول الكلمة من نحو " الحوت " و " العود " وينطقون بالتاء طاء ويلحقون آخر المصغر لاما مشددة مفتوحة في المؤنث مضمومة في المذكر وهاء ساكنة (وهي اداة التصغير اللاتينية) فيقولون في تصغير حوت : " حوطله " و " حوطله " (٤) ، بل اختلفت بين المدينتين المتقاربتين أحيانا ، يقول ابن حزم : " ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط - وهي على ليلة واحدة من قرطبة - كاد أن يقول انها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة " (٥) ويورد ابن حزم تعليلا لهذا بقوله : " فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها

(١) الذخيرة ١ / ٢ : ١

(٢) الاحكام ١ : ٣٢

(٣) تثقيف اللسان : الورقة : ٤ نقلًا عن تاريخ الادب الاندلسي ١ : ٢٠

(٤) بغية الوعاة : ٢٨٣

(٥) الاحكام ١ : ٣١

تبديلا لا يخفى على من تأمله " (١) وفي صفحات " لحن العوام " للزبيدي ألفاظ كثيرة لا بد أنها كانت سماعية ، وكان العامة يستعملونها في الأندلس كقولهم للامير من الروم " القصص " بدلا من القوس ويجمعون الكرم على " كرمات " وفي النسبة الى قبيلة كلب " كلبى " بكسر الكاف ، ويقولون للحظيرة تكون في الدار " حيرا " بدل " حائر " (ومنه حير الزجالي) ويقولون لموقف الدابة " صبل " بدل " اصطلب " ويقولون يفتري بكسر أوله الى غير ذلك من ألفاظ واستعمالات (٢) .

#### ٤ - مقام اللغة عند الأندلسيين :

قد تحملنا الصورة السابقة على التوهم بأن اللغة العربية تضععت أمام هذه المنافسة القوية التي كانت تلقاها من العجمية ومن اللهجة العامية الدارجة ولولا التراث الأندلسي الغزير الذي وصلنا ، لما استطعنا أن نضع الى تلك الصورة صورة أخرى تمثل قوة اللغة وسيطرتها واضطلاعها بالفكر كله في شتى الميادين، والحقيقة التي لم أستطع أن أدرسها في هذا البحث هي تأيخ اللغة في خدمة النواحي الفكرية وتميز الأندلس بطابعها اللغوي على مر الزمن ، فذلك انما يمثل دراسة تحتاج رسالة مستقلة ، أما في هذا البحث فقد قصرت جهدي على درس اللغة نفسها في تطورها ورسمت لحياتها خطا متدرجا مع الزمن من خلال جهود علماءها في التدريس والتأليف . فبجهود المفكرين والشعراء والكتاب من ناحية ، وجهود علماء النحو واللغة من ناحية أخرى لم تنهزم اللغة الفصحى أمام المنافسة القوية التي لقيتها من جارتها العجمية والعامية ، ولا وب في أن للناحية الدينية والسياسية أثرهما في احتفاظها بقوتها ، ولكن الناحية الدينية كانت موجودة في المغرب مثلا ، ومع ذلك فان المغرب ، بمعناه الشامل ، لم يحقق

(١) الاحكام ١ : ٣١

(٢) لحن العوام : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٥٦ .

في ميدان اللغة بعضا يسيرا مما حققته الأندلس في العصور التي هي موضوع هذه الدراسة . ولقد اجتاز أبو علي القالي المغرب الى الأندلس فكانت شهادته في الحال اللغوية لدى الاقوام التي مرّ بها على النحو الآتي : " لما ذكرت القيروان وانا أعتبر من أمر به من أهل الامصار فأجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاسبة ومقايسة ، قال أبو علي : " فقلت ان نقص أهل الاندلس عن مقادير من رأيت في أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان في هذه الاوطان " . . . . فكان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الافق الاندلسي في ذكائهم ويتغطى عنهم عند المباحثة والمناقشة " (١) .

وليس لنا أن نحمل هذا الكلام محمل العجالة من القالي فقد وجدني الاندلس بينة لغوية صالحة ، حقا انها لم تكن لتتأخر بما كان قد تمّ في المشرق ولكنها كانت على نأى هذا القطر - أحسن حالا من أكثر بلدان المغرب . ولذلك أعتقد أن عناية الاندلسيين باللغة كانت بالغة وهذا يظهر في أسلوب التعليم الذي اتبعوه للمبتدئين ، وأنا استعد هذا من شهادة ابن خلدون لاعتقادي أنه يصور ما كان عليه الحال في العصور الأولى من تأريخ التعليم بالأندلس فهو يحدثنا أن الاندلسيين يجعلون القرآن أصلا في التعليم ولكنهم لا يقفون عند ذلك كما يفعل سائر أهل المغرب وانما يخلطون في تعليمهم رواية الشعر والترسل والأخذ بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط : " الى أن يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشيبه وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما " (٢) ويعلق ابن خلدون على هذا المنهج التعليمي لدى

(١) نفع الطيب ٤ : ١٥٠

(٢) المقدمة ج ٤ : ١٢٤٠

الاندلسيين بقوله : " وأما أهل الاندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي " (١). وانما أحكم بأن كلام ابن خلدون ينطبق على العصور التي درستها من استشهاده بعد هذا التعليق توا بذهب أراد القاضي أبو بكر بن العربي أن يحدثه في نظام التعليم . إذ أن ابن العربي قدم حسب نظامه الجديد تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس ، قال " لان الشعر ديوان العرب ويدعوا الى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة " (٢). ومن رأى ابن العربي تأخير درس القرآن الى المرحلة الثالثة بعد الحساب وبذا يخالف ابن العربي مذهب أهل بلده في شيء ويقرهم على شيء ، وابن العربي شهد أواخر عصر ملوك الطوائف وتعلم في المشرق وعاد الى الاندلس أيام المرابطين . فما يقوله ابن خلدون عن الطريقة الجارية لدى أهل الاندلس ينطبق على العصور التي أدرسها لان ابن العربي انما ينتقد الوضع الذي كان جاريا عليه الحال قبل عودته من رحلته .

ويتحدث ابن خلدون أيضا في موضع آخر عن هذه الملكة التي حدثت لأهل الاندلس في اللسان العربي فيقول : " وأهل صناعة العربية في الاندلس ومعلموها أقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم ، لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم ، فيسبق الى المبتدئ كثير من الملكة أشياء التعليم ، فتقطع النفس لها وتستعد الى تحصيلها وقبولها " (٣). فابن خلدون يعامل هذه الملكة باعتماد الاندلسيين على حفظ الأصول حتى ان الاندلس

(١) المقدمة : ١٢٤٢

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه : ١٢٧٨

لما كادت تضيع منها العربية ظلت هذه الملكة موجودة في أهلها : " لان أهل اللسان العجمي الذين بهم تفسد ملكتهم انما هم طارئون عليهم وليست عجمتهم أصلا للغة في الاندلس " (١) .

#### ٥ - عوامل فعّالة في تطور العناية باللغة في الاندلس :

ولو قد اقتصر الأمر على هذه الروح في الحفاظ على لغة الدين من باب القيام بما تتطلبه العبادات ، والحفاظ على لغة رسمية للدولة تبلغ في التعبير عن سياستها أسمى الأساليب المقبولة في كل عصر ، لكان هذا النشاط التعليمي وحده عاملا قويا في ترسيخ هذه الملكة باللغوية في الاندلس . ولكن في كل عصر من هذه العصور التي سأتناولها بالدرس كانت هناك عوامل أخرى هامة في تنمية هذه الملكة وتطوير حركة التدريس اللغوي ومجالات التأليف ؛ وفي طبيعة هذه العوامل هجرة الاندلسيين للأخذ عن علماء اللغة في المشرق والسعي الى لقاءهم ورواية الاصول عنهم وكانت هذه الرحلة أحيانا تقف عند حدود الاندلس نفسها وأحيانا تتجاوزها الى القيروان وأحيانا تالت تكون ارتيادا لكثير من المناطق الثقافية في المشرق فهناك اذن ثلاثة درجات من الرحلة صغرى ووسطى وكبرى . ثم هناك هجرة بعض المشاركة من علماء اللغة يضيفون الى جهود اخوانهم الاندلسيين في هذا الميدان جهودا جديدة ، وهجرة الكتب المشرقية على مر الزمن الى الاندلس حتى اننا لنجد ثقافة كل جيل تال في الامور اللغوية لا تقتصر على الأصول القديمة وعلى ما ألفه الاندلسيون ، بل يضاف اليها دائما ما يجد من مؤلفات مشرقية . وقد تأزرت هذه العوامل جميعا ووجدت في حوص بعض الحكام الاندلسيين على تطوير الحياة الثقافية عامة - ومنها اللغة - عاملا

## تويا حافزا الى التأليف والافادة .

ولست أعني ان أذكر هذه العوامل أنها كانت مقصورة الاثر على الميدان اللغوى، وإنما هي عوامل عامة لها أثرها في جميع جوانب الحياة العلمية بالأندلس . غير أن دراستي هذه تتحو نحو تبيان الحركة اللغوية ولذا لم أتحدث عن هذه العوامل هنا الا بمقدار صلتها بهذا المجال وحده ، فذلك حسبي منها ؛ ولم يكن من اليسير دراسة أثر كل عامل منها على حدة لتشابكها وتضافرها معا . وعلى هذا فقد وقتت عندها في كل عصر من العصور محاولا أن أضع الى جانبها عوامل أخرى جديدة نشأت من تطوّر الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية العامة ، ليكون بناء هذا البحث بناء تكامليا متدرجا .

## الفصل الاول

### بواكير الحركة اللغوية في الاندلس\*

#### ١ - نشوء طبقة المؤدبين اللغويين :

اجتمعت الحاجة الى تعليم اللغة للناشئة من الأندلسيين مع الدوافع المتعددة، التي كانت تشجع على الرحلة، على خلق طبقة من المعلمين اخذت على عاتقها تدريس اللغة والنحو في مدن الاندلس، وبخاصة قرطبة وهي يومئذ دار القوم وعاصمة الدولة . ويمكن ان نطلق على هذه الجماعة اسم " المؤدبين " فبذلك الاسم عرفهم الاندلسيون ، وان كانت هذه اللفظة في المشرق تنصرف الى الذين كانوا يعلمون ابناء الخاصة . غير ان المؤدبين في الاندلس قاموا بالمهمتين معا ففمنهم من كان يؤدب اولاد الخاصة ، ومنهم من كان يعلم ابناء العامة في المساجد . وتدل الروايات التي أوردها ابوبكر الزبيدي في كتابه " طبقات النحويين واللغويين " على قيامهم بهذين الامرين ، فكان المسمى طاهرا يؤدب بني هشام وبني حدير، وهما عائلتان من اشراف قرطبة ، وكان صالح بن معافى يؤدب عند بني فطيس واستأدب الحكم المستنصر لبنيهم... عثمان بن سعيد المعروف بورش (١) . وكان جابر بن فيث مؤدبا لولد الوزير هاشم بن عبد العزيز ، استجلبه لذلك من لبلنة الى قرطبة (٢) . وكان ابن ارقم مؤدبا لامير المؤمنين عبد الرحمن الناصر ، وكان ابوه محمد بن ارقم يؤدب ابناء

\* كان جل اعتمادي في كتابة هذا الفصل على طبقات الزبيدي وتايخ ابن الفرضي ، وما ذلك الا لان اكثر المصادر التي تتحدث عن هذه الفترة لم تصلنا ، كما ان كتب المشاركة عالية عليهما فيما يتصل بهذه الحقبة . غير اني لم اکتف بهما حين كتبت اجد المصادر الاخرى مسعفة على ذلك .

(١) طبقات الزبيدي : ٣١٧ ، ٢٩٩ ، ٢٩٣

(٢) المصدر نفسه : ٢٨٩ ، وتايخ ابن الفرضي ١ : ١٢١

الخلفاء (١). وكان هشام بن الوليد الغافقي يؤدب الامير عبد الرحمن (٢). ومن المؤدبين الذين لم يختصوا بأبناء الخاصة الغازي بن قيس الذي " كان ملتزماً للتأديب بقربة أيام دخول الامام عبد الرحمن بن معاوية رضي الله عنه الاندلس " (٣)، وابو الغمر عبد الواحد بن سالم المعروف بالاحدب الذي توفي سنة تسع ومائتين ( ٨٢٥ م ) ، وكان من أهل العلم بالنحو والتأديب (٤) . ومنهم احمد بن نعيم الذي أدب يحيى بن زهير (٥) ، وجابر بن غيث المتوفى سنة تسع وتسعين ومائتين ( ٩١١ م ) الذي كان من أحد الناس في التأديب ، فقل من تأدب عنده الا وتعلق من العلم بمسكة " (٦) .

ومنذ البداية كان هؤلاء المؤدبون قد اتخذوا التعليم حرفة يتعيشون بها ، دون ان يخالجهم شك في ان الاجر الذي يتقاضون حق من حقوقهم ، بل لقد جرت العادة ان يقبض المؤدب جعلا كلما بلغ احد تلاميذه مرحلة الاتقان والحدق لما تعلمه . وقد عرف هذا الجمل في الاندلس بالحدقة (٧) ، وتمسك بها المؤدبون وأبوا ان يتنازلوا عنها ، وعندما حاول بعضهم ان يسلبهم هذا الحق انكسروا ذلك ولجأوا الى تحكيم مؤدب من قدام المؤدبين قض لهم باستمرار أخذ الحدقة ان كان ذلك " مما جرى عليه الناس " (٨) .

واذا استثنينا دور الخاصة ، حيث كان ابناؤهم يتلقون العلم على ايدي

(١) طبقات الزبيدي : ٣٠٦

(٢) المصدر نفسه : ٣٠٨

(٣) المصدر نفسه : ٢٧٦

(٤) المصدر نفسه : ٢٧٩

(٥) المصدر نفسه : ٢٨٢

(٦) المصدر نفسه : ٢٨٩

(٧) المصدر نفسه : ٢٧٨

(٨) المصدر نفسه :



اولئك المؤدبين ، وجدنا ان المجال الذي شهد نشاط هؤلاء المؤدبين هو المسجد . وهذه الحقيقة يجب ان نتذكرها حين نتمثل الدور التثقيفي الذي قامت به هذه الطبقة ، ذلك ان الاندلس لم تعرف ما عرفه المشرق من أمر المدارس ، وانما بقي التعليم فيها قاصرا على المساجد ، او على دور المعلمين انفسهم (١) . حتى في المستوى الابتدائي الخالص كان المؤدب يجمع طلبته في المسجد . ويدل نص اورده الخشني على ان القاضي كان يجلس للحكم في الخصومات في ناحية من المسجد وفي الركن الثاني الذي يقابله جلس مؤمن بن سعيد مع من جلس اليه من الأحداث من رواة الشعر وطلاب الادب (٢) . واكبر الظن ان الامر لم يستمر كذلك ، وان الطلبة المبتدئين - دون غيرهم - قد أفردت لهم دور خاصة يحفظون فيها القرآن ، واصبح القائمون فيها طبقة من المعلمين يسمون المكتبين ، وان ظلت كلمة مؤدب العامة تطلق عليهم . وفي زمن الحكم المستنصر كثر عدد هذه الكتائب ، قال ابن عذارى : " ومن مستحسنات افعالهم وطيبات اعماله اتخاذه المؤدبين يعلمون اولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالى المسجد الجامع ، وبكل روض من ارباض قرطبة ، واجرى عليهم المرتبات وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم ، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا ، منها حوالى المسجد الجامع ثلاثة ، وبقيةها في كل روض من ارباض المدينة " (٣) .

(١) انظر طبقات الزبيدي : ٢٩٩ ، ٣٣٦

(٢) قصاة قرطبة : ١٠٣ - ١٠٤ ، اما مدى النظام في هذا الدرس فيدل عليه سائر النص ، ان يقول الخشني : " فتلا حتى حدثان من جلاس مؤمن في شي " فرفع احدهما يده بخف فضرب صاحبه ١٠٠ الخ

(٣) البيان المغرب ٢ : ٣٥٨ ، وقد ذكر ابن حيان في حوادث سنة ٣٦٤ / أن الخليفة الحكم أنفذ تحسيس حوانيت السراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين قد كان اتخذهم لتعليم اولاد الضعفاء والمساكين بقرطبة ( انظر المقتبس ، نسخة مدريد ، الورقة : ١١٥ ) .

فروعاً  
 وكان نشاط هؤلاء المؤدبين يتناول خراً من العلم فيها الفقه والحديث  
 والاعخبار والشعر . غير ان ما يهتفنا في هذا المقام انما هو مدى اثرهم في النواحي  
 النحوية واللغوية . ويجب ان لا ننالي في تصور ما كانت تحسنه الجمة الغالبة من  
 هؤلاء المؤدبين في هذه النواحي ، فقد لخص لنا الزبيدي في عبارة جامعة طبيعة  
 التحصيل اللغوي والنحوي الذي كانت تضطلع به تلك الطبقة من الناس فقال : " ولم  
 يكن عند مؤدبي العربية ولا عند غيرهم ممن عني بالنحو كبير علم . . . . . وذلك أن المؤدبين  
 انما كانوا يعانون اقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها ، وتقريب  
المعاني لهم في ذلك ، ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها ، والاعتلال  
لمسائلها ، ثم كانوا لا ينظرون في امالة ولا ادغام ولا تصريف ولا ابنية ، ولا يجيبون  
 في شي منها . . . . . " (١) .

واذا كان هذا الحكم اكثر شي انطباقا على عامة المؤدبين فانه يصيب من  
 بعض نواحيه أيضا اكابر المشهورين منهم ، اذ كان اهتمامهم كثيرا ما يدور حول امور  
 ابتدائية تتناول جانب الصواب والخطأ ، وقد يعجز بعضهم عن توجيه الحكم في أبسط  
 المسائل اللغوية ، هذا جودى النحوى وهو من أهرز المؤدبين المبكرين ينكر أحدهم في  
 حلقة على الشاعر عباس بن ناصح عدم تشديده ياء النسب من لفظه " نصراني " في قوله (٢) :

يشهد بالاخلاص نوتيتها لله فيها وهو نصراني

فلا يستطيع المؤدب أن يقول شيئا في تجويز هذا التخفيف . ولذا نجد أن كثيرا  
 مما يدور في مجالس هؤلاء المؤدبين انما يتناول بعض شئون يسيرة من مثل : " تقول

(١) طبقات الزبيدي : ٣٣٦ - ٣٣٧

(٢) المصدر نفسه : ٢٧٩

للرأة : أنت تؤدين كذا فكيف تقول للنسوة ؟ " (١) أو يدور الخلاف الحادّ حول أيهما أصوب عند العرب : سودتك أو سيدتك (٢) ، وهكذا .

على أني أحسب أن هذا الحكم يجيء جاثرا في حق بعض البارزين من هؤلاء المؤدبين ، فقد كان كثير منهم يحسنون من المستوى اللغوي والنحوي ما يرتفع فوق ما تقدم بكثير ، وكان بعضهم ذا أصالة في تعليمه أو تأليفه ، بل ان الاندلسيين أنفسهم اتخذوا بعضهم مثلا أعلى في الفصاحة ، فكانوا اذا استفصحو رجلا قالوا : ما هذا الا أبو حرشن (٣) و ضربوا المثل بفصاحة بكر الكساني فقالوا : " أفصح من بكر الكساني " (٤) ومثل ذلك قالوا في الرشاش أحد أهل الحفظ للغة (٥) .

وكان كثير من أفراد هذه الطبقة ينزلون في نفوس الناس منزلة الاحترام لا لمدى ما أحرزوه من ثقافة فحسب وانما لان بعضهم كان يجمع في شخصيته بين الاخلاص في أداء الواجب التثقيفي والتقوى ، وقد وصف ناس منهم بالصلاح ، ولعل هذه الناحية الدينية هي التي كانت تكسبهم ثقة الناس فيعهدون اليهم بتثقيف أبنائهم (٦) .

وكانت قرطبة - بحكم مركزها - تجتذب اليها أكثر المشتغلين بالعلوم اللغوية ، فهي مستقر الغازي بن قيس وعبد الله ابنه وعبد الملك بن حبيب ومحمد بن اسماعيل الحكيم والقلفاط والأقشيين والمذاكرة وغيرهم كثيرين . وقد اجتذبت اليها كثيرا من علماء

(١) طبقات الزبيدي : ٣١٢

(٢) المصدر نفسه : ٢٩٥

(٣) المصدر نفسه : ٢٨١

(٤) المصدر نفسه : ٢٨٣

(٥) المصدر نفسه : ٢٨٤

(٦) راجع أمثلة من هؤلاء المؤدبين الاتقياء في ترجمة : أبي عبد الله محمد بن عبد الله ، طبقات الزبيدي : ٢٩٣ ، و ترجمة " البغل " ، نفس المصدر : ٢٩٢ ، و ترجمة صالح بن معاني : ٢٩٩

المدن الأندلسية الأخرى مثل جودي النحوي وهو موزوري الأصل ، والخشني وهو جيباني الأصل . ولكن بعض علماء اللغة آثروا بلادا أخرى أندلسية ، فلم تجتذبهم قرطبة إليها ، منهم خصيب الكلبي بمورور ، وأحمد بن نعيم الذي تنقل بين جيبان وطليلطة ، وأحمد بن بترى بقرمونة ، وثابت وابنه القاسم بسرقسطة ، وأبو عمرو بن حجاج ، ومحمد بن سيده وعير بن عمر ، وابن وقاص القرشي ، والمروكي ، والمقصد ، وأبو عمرو الموروري باشبيلية . ولكن هذا لا ينبغي أن أكثر النشاط انما كان في العاصمة ، وأنه لم يكن يقارنها في هذه الناحية الا اشبيلية ، وهي يومئذ تشبه ان تكون عاصمة ثانية .

## ٢ - الرحلة ولقاء العلماء المشاركة :

ولم يكن تحصيل هؤلاء المؤدبين مقصورا على تجوالهم طلبا للعلم في المدن الأندلسية أو ما أسميته " الرحلة القصيرة " ، بل نقلهم الترحال اما الى القيروان وهي يومئذ من مراكز العلم المشهورة واما الى المشرق ، حيث كانوا يسعون للقاء العلماء المشهورين ، قبل أداء فريضة الحج أو بعد أدائها . ولما أصبح الأندلسي العائد الى وطنه يشرف في نظر قومه لأنه غدا يروى عن " الشيخ " لم تعد الرحلة العلمية أمرا منوطا بالنية الدافعة للحج بل أصبحت هي نفسها ضرورة لازمة ، وخاصة لدى الطلبة القادرين على تحمل أعباء السفر ، وهي أعباء جسيمة لا يستهان بها سواء أكانت الرحلة بهيمة أم بحرية . وما ان حلّ القرن الثالث حتى غدت الرحلة العلمية لدى الأندلسيين هدفا يسعون اليه كأنه " فريضة ثقافية " يؤدونها ، وهي تطول أو تقصر حسب الفترة التي يراها الطالب كافية لتحصيه ، أو تسمحفه عليها ظروفه وأوضاعه العادية . ومن الطبيعي أن تكون الرغبات العلمية لدى هؤلاء الراحلين متنوعة متباينة ، فمنهم من يؤثر رواية الحديث ، ومنهم من يطلب الفقه ، ومنهم من يلقي شعراء المشاركة ، ومنهم من يطلب اللغة والنحو ، وكثير منهم يجمع عددا من هذه الفروع

العلمية والأدبية في تحصيله ، وانما يهمننا في هذا المقام اولئك الذين استأثرت اللغة بجهودهم - في الاكثر - وعادوا ومعهم كتب لغوية من المشرق أو آشورا التأديب باللغة والنحو ، وقدموا هذين العلمين على سائر ما حصلوه . وقد لقي بعضهم مشاهير اللغويين في البصرة والكوفة ، امثال الأصمعي والمجستاني والكسائي ، بل توغل بعضهم في الطلب ، فلقى الاعراب وشاههم وأخذ اللغة عنهم مباشرة . ولا تسعفنا المصادر داعماً على تبيين الاساتذة المشاركة الذين تتقف عليهم اولئك الراحلون ، من مؤدبين وغير مؤدبين - وهم اكثر - ولكنني أتف عند نماذج ممن لقي اولئك الاعلام ،

- ١ - جودى النحوى ( - ١٩٨ / ٨١٤ ) ، لقي الكسائي والفراء وغيرهما (١) .
- ٢ - الغازى بن قيس ( - ١٩٩ / ٨١٥ ) ، أدرك الاصمعي ونظراءه (٢) .
- ٣ - محمد بن عبد الله بن سوار ، لقي ابا حاتم والرياشي (٣) .
- ٤ - قاسم بن أصبغ ، لقي ابن قتيبة والمبرد وثلعبا (٤) .
- ٥ - محمد بن عبد الله الغازى ، لقي الرياشي و ابا حاتم (٥) .
- ٦ - محمد بن عبد السلام الخشني ، لقي المازني و ابا حاتم والرياشي (٦) .
- ٧ - الاقشيني ( - ٣٠٧ / ٩٢٠ ) ، لقي ابا جعفر الدينورى والمازني ، وانتسخ عن نسخة الأول كتاب سيبويه وأخذه عن الثاني (٧) .

---

(١)	طبقات الزبيدي	: ٢٧٨
(٢)	المصدر نفسه	: ٢٧٧
(٣)	المصدر نفسه	: ٢٨٢
(٤)	تاريخ ابن الفرضي	: ٤٠٥
(٥)	طبقات الزبيدي	: ٢٨٩
(٦)	المصدر نفسه	: ٢٩٠
(٧)	المصدر نفسه	: ٣٠٥

٨ - منذر بن سعيد البلوطي ، لقي ابن ولاد بمصر (١) .

وينقسم هؤلاء العلماء الذين لقيهم الاندلسيون المهاجرون في مدرستين  
 (اذا استثنينا ابن ولاد الذي ينتمي لمصر ، واما جعفر الدينوري الذي قضى اكثر حياته  
 بمصر أيضا ) هما مدرستا البصرة والكوفة : واليك ترتيبهم في هاتين الفئتين :

### طبقة اللغويين والنحويين الكوفيين

علي بن حمزة الكسائي  
 أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء  
 محمد بن زياد بن الاعرابي  
 ابو عبيد القاسم بن سلام  
 يعقوب بن السكيت

### طبقة اللغويين والنحويين البصريين

عبد الملك بن قويد الاصمعي  
 عمرو بن عثمان بن قنبر ، سيبويه  
 ابو عثمان بكر بن محمد المازني  
 ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني  
 العباس بن الفج الرياشي  
 ابو العباس محمد بن يزيد المبرد  
 ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج  
 ابو محمد عبد الله بن مسلم ، ابن قتيبة  
 محمد بن الحسن بن دويد

ومن هذا الثبوت يمكننا ان نرى كيف ان حملة اللغة والنحو في الاندلس  
 كانوا - في اغلب الاحيان - تلامذة الطبقة الاولى من اللغويين والنحويين المشاركة ، وأنهم  
 منذ البداية نشروا في بلدتهم أصول المدرستين النحويتين اللغويتين ؛ مدرسة البصرة ومدرسة  
 الكوفة ؛ الا ان تلامذة مدرسة البصرة كانوا ظاهريين في الاندلس على نظرائهم ، كما أصبح  
 كتاب سيبويه لديهم هو غاية المتعلمين بالدراسات النحوية . وهذا أمر سينال مزيدا  
 من الوضوح في القرون التالية . ومن امثلة الاهتمام بهاتين المدرستين ما لقيه زعمما

(١) طبقات الزهيدى : ٣١٩

المدرستين : سيبويه والكسائي . فلقد رحل الاقشطين الى المشرق ولقي ابا جعفر الدينوري وانتسخ كتاب سيبويه من نسخته ، وأخذ عنه رواية ، وأخذ عن المازني (١) . وأما ابو وهب بن عبد الرؤف فقد طالع كتاب سيبويه ونظر فيه (٢) . وقد قرىء الكتاب على محمد بن يحيى الرهاحي واخذ عنه رواية (٣) . وكان جودى النحوى اول من ادخل كتاب الكسائي (٤) . واما " البغل " فقد وضع مؤلفا في شرح كتاب الكسائي (٥) .

### ٣ - رحلة لغويين مشاركة الى الأندلس :

وتقابل هذه الرحلة الاندلسية الى المشرق هجرة بعض المشاركة الى الاندلس ممن لهم اهتمام باللغة والنحو ، ولدينا بعض أسماء هؤلاء الراحلين في هذه الفترة وهم - حتما - أقل عددا بكثير من نظرائهم الاندلسيين الراحلين الى المشرق ، ولم تكن غايتهم من الرحلة طلب العلم لان المشاركة كانوا يرون أنهم أوفر نصيبا من الاندلسيين في الشؤون العلمية ، ولذلك كانت لهم من الرحلة غايات أخرى منها التجارة ، أو التكسب عامة ، أو أسباب أخرى خاصة . ومن هؤلاء الراحلين ابو جعفر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي (٦) ، وهو من ذلك الفريق المشرقي الذي كان يظن الاندلس قطرا متأخرا في الامور العلمية ، فلما شاهد ما فيها من نهضة علمية خرج معجبا بما رأى ، قال لمن سأله بعد عودته منها الى المغرب : كيف تركت الاندلس : " والله لقد رأيت بها ما لم أتوهم أن أراه مع نأى دارها ، لقد رأيت فقها وشعرا

(١) طبقات الزبيدي : ٣٠٥

(٢) المصدر نفسه : ٣٢١

(٣) المصدر نفسه : ٣٣٦

(٤) المصدر نفسه : ٢٧٨

(٥) المصدر نفسه : ٢٩٧

(٦) ورد في طبقات الزبيدي : ٢٩٦ أن اسمه محمد بن هارون ، ولعل هنا سهوا فقد

ذكره ابن الفري في تاريخه ( ١ : ٧٤ ) في من اسمه " أحمد " من الغربا .

ونحويين وأدباء ... (١) " ويبدو أن هذا البغدادي دخل الاندلس متجسسا ،  
وتجول فيها أعواما ، ولكنه من الناحية العلمية نجد أن بعض الاندلسيين أخذوا عنه ،  
كما أنه جلب معه بعض كتب ابن قتيبة وبعض كتب عمرو بن بحر الجاحظ (٢) .

ومن المهاجرين رجل يعرف بالعجلي ، وقد هاجر الى الاندلس من العراق  
ولا نعرف كثيرا عنه سوى أنه ضنّ بكتبه ومنعها من الطلبة واستدعى الناس للإملاء  
عليهم بقرطبة فهرع اليه الناس بما في ذلك تلامذة الخشني ، وكانت اللغة من املاءاته (٣)  
وقد أحدثت هجرة المشاركة بعض المنافسة بينهم وبين علماء الاندلس، فقد  
انفض تلامذة الخشني عنه ولحقوا بالعجلي ، فما كان من أحد المخلصين للخشني الا  
أن جلس في مجلس العجلي وخطأه في بعض ما يورده من اللغة ، فكان ذلك سببا في  
انفضاض الناس من حوله ، ولما عرف الخشني ما قام به صديقه من أجله استدناه وقبل  
بين عينيه شاكرا وقال له " نعم مستودع العلم أنت " (٤) .

وتبدو هذه المنافسة على وجهها الواضح في حال أبي محمد الاعرابي وهو  
المهاجر المشرقي الثالث الذي تحدثنا عنه المصادر بوضوح . قدم هذا الاعرابي  
من الحجاز ونزل باشبيلية على رئيسها ابراهيم بن حجاج (٥) ويسميه ابن حيان

(١) طبقات الزبيدي : ٢٩٠

(٢) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٧٤

(٣) طبقات الزبيدي : ٢٩٨

(٤) المصدر نفسه •

(٥) ابراهيم بن حجاج • كان واليا على اشبيلية من قبل عبد الله بن محمد • قال حيان بن  
خلف : لما ملك ابراهيم بن حجاج اشبيلية وقومونة وما والاها ، ارتفع ذكره ،  
وبعد صيته ، واتخذ لنفسه جندا ، ورتب لهم الاوزاق كفعل السلطان •  
وكان فظلا على أهل الرب ، قائمعا لأهل الشر • ومدحه الشعراء ومنهم  
ابن عبد ربه • ومات عام ٢٨٨ / ٩٠١ • ( انظر البيان  
المغرب ٢ : ١٨٨ - ١٩٥ ) •



الاعرابي العذري ، اما الزبيدي فيدعوه الاعرابي العامري . وقد كان " فصيح اللهجة  
 ذا قطع من الشعر مستحسنة " (١) . وربما أثار ما حصله من منزلة عند صاحبه ابن  
 حجاج نفوس المشتغلين باللغة عليه ، فناصره العداوة وتتبعوا سقطاته . فكان قاسم  
 بن محمد احد اقرباء ابن حجاج كثير المنازعة له (٢) . وكان العامري يتعمد التقليل  
 من شأن اللغويين امثال قاسم هذا ، او حسب ما روى الزبيدي كان " قليل الالتفات  
 الى أهل العلم بالعربية مظهرها للغنى عنهم " (٣) . ويبدو انه كان يلقي عليهم المسألة  
 في شئون اللغة والنحو استخفافا بهم وامتحانا لهم في آن واحد . من ذلك قوله لقاسم  
 المذكور " يا ابا عمرو اتقول للمرأة انت تؤدين كذا ، فكيف تقول للنسوة ؟ فقد اختلط عليّ  
 ذلك بسبب دخول أمصارك ومخالطتي لكم " (٤) . وفي قوله هذا نلمس تهكمه بمن يحصلون  
 اللغة من أهل المدن عن طريق التعلم ، واعتداده باعرايته . ومن سقطاته التي  
 تتبعوها بالنقد ، قوله ذات يوم حين شكر ابراهيم بن حجاج : ايها الامير ما سيّدتك  
 العرب الا بحقك فانكر ابو الكوثر الخولاني عليه قوله سيّدتك بالياء وقال له :  
 يا ابا محمد العلماء بالعربية عندنا لا يقولون الا سودّتك . فقال : يخطئون ويصحفون ،  
 فانتهر ابراهيم ابا الكوثر ، وقال : يتسورون على الاعراب في لغاتهم ويعارضون من  
 ينطلق بالسليقة ! . . . فحجل ابو الكوثر وكتب بالخير الى يزيد بن طلحة العباسي  
 المعروف بالفصيح ، وكان من اشهر من بغربي الاندلس من العلماء بالعربية ، فأجابه أن  
 المعروف سودّتك بالواو ، وقال فلعل ما ذكره الاعرابي لغة لقومه . فعرض ابو الكوثر  
 جوابه على الامير ابراهيم فلم يزد الاعرابي بذلك الا محكا ولجاجة ، وشدّ شكيمة

(١) المقتبس : ١٣

(٢) طبقات الزبيدي : ٣١٢

(٣) المصدر نفسه :

(٤) المصدر نفسه :

ابراهيم نصره وعصيبة ، واحضر يزيد بن طلحة فويخه ، وذهب الى تثبيت قول الاعرابي فقال له يزيد اصلح الله الامير ان بيان العلم ليس يجي من جهة المغالبة وانما يصح بالانصاف (١) ...

على أن الفائدة العلمية التي كان ينقلها أمثال هؤلاء المهاجرين المشاركة لا توازي ما كان ينقله الراحلون الاندلسيون ، أولا : لقلّة المهاجرين ، ثانيا : أن هؤلاء المهاجرين لم يكونوا من طراز عال في علمهم واطلاعهم ، ثالثا : ان هدفهم لم يكن علميا في الغالب ، ولذلك فان الأثر الذي أحدثه المشاركة المهاجرون قبل ورود القالي يعد ظاهرة ضئيلة الأثر في الحياة العلمية بالاندلس .

#### ٤ - هجرة الكتب المشرقية الى الاندلس :

وأيا كان الامر فان هؤلاء الراحلين ، من اندلسيين ومشاركة ، هم الذين غدوا الدراسات اللغوية والنحوية في الاندلس ، لا بما جلبوه من علم مروى فحسب ، وانما بالكتب التي هاجرت معهم . وستظل هجرة الكتاب المشرقي في هذا العصر وفي ما تلاه من عصور ظاهرة هامة في تحديد التيار العام الذي تسير فيه الحياة اللغوية في الاندلس . فهي التي تقررنوع الكتب المتداولة لدى المدرسين والطلاب ، وهي التي توجه أيضا حركة التأليف الاندلسي .

ومن الطبيعي أن تكون أشدّ الكتب ذيوعا في هذه الفترة هي كتب الأعمال التي ظهرت قبل نهاية القرن الثالث . وقد مرّ بنا كيف ان ابا جعفر البغدادي أدخل كتب ابن قتيبة والجاحظ الى الاندلس ، وكيف ان الأقتنين انتسخ كتاب سيبويه . وهب ان المصادر لم تحدثنا تفصيلا عن سائر الكتب التي دخلت في هذه الفترة

(١) طبقات الزهيدى : ٢٩٥ ، والمعتبس : ١٤

فلسنا نبعد عن الصواب حين نتصور ان كثيرا من كتب الاصمعي والكسائي والفراء والمازني وابن ولاد قد عرفها الاندلسيون وتداولوها . " وذكر بعض الرواة ان وهب بن نافع اخذ كتب ابي عبيد عن علي بن ثابت وابي جعفر محمد بن وهب المسعوي وهو اول من أدخلها الاندلس، وأول من أخذت عنه ، ثم أدخلها الخشني بعده " (١) . واهتم الاندلسيون الراحلون أيضا بكتاب العين للخليل ، فيقال ان قاسم بن ثابت واباه اول من أدخله الى الاندلس (٢) . كذلك رواء في المشرق موهب بن عبد القادر الباجي وكتبه ؛ وجمع هذا الرجل وقتر جعل من الكتب المشرقية في عودته الى وطنه ، ولكنه توفي قبل ان يبلغه . وكان من نصيب كثير من كتبه ان تصل مع المرافقين له من أهل بلده (٣) كذلك اهتم منذر بن سعيد بهذا الكتاب فرواه بمصر عن ابي العباس بن ولاد ، وأدخل معه نسخة منه عند عودته الى قرطبة . وهي نسخة وقعت من بعد الحكم المستنصر، وطلب الى علماء اللغة يومئذ مقارنتها على غيرها من النسخ ، وظهرت كثيرة التصحيف والخطأ والتبديل (٤) .

غير أن بعض هذه الكتب لتي من القبول اكثر مما لقيه سواء . ونخص بالذكر كتاب سيبويه وكتاب العين للخليل وكتاب الغريب المصنف لأبي عبيد وكتاب معاني القرآن لابن قتيبة . واذا كان الاول والثاني من هذه الكتب لم يتضح اثرهما تماما الا في القرن التالي ، فان الكتابين الثالث والرابع ، اعني الغريب المصنف ومعاني القرآن ، يفسران لنا طبيعة التأليف في هذا العصر الذي نتحدث عنه ، الأمر الذي سأوضحه بعد قليل .

- 
- (١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٦٠ . وقد توفي وهب المذكور سنة ٢٢٣ / ٨٨٢ .  
 (٢) المصدر نفسه ١ : ٤٠٣ .  
 (٣) المصدر نفسه ٢ : ١٥٢ .  
 (٤) جذوة المقتبس : ٤٧ ، ٣٢٦ ، وتاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٤٢ .

واود أيضا ان اميز الغريب المصنف من هذين الكتابين نظرا لما لقيته كتب  
 ابي عبيد<sup>(١)</sup> على اختلاف موضوعاتها من اهتمام علماء الاندلس في هذه الفترة • وقد  
 انتقلت رواية هذه الكتب الى المثقفين الاندلسيين من خمس طرق ، أ - طريق طاهر  
 بن عبد العزيز ( - ٣٠٥ / ٩١٨ ) وكان هو اول من ادخل هذه الكتب الى  
 الاندلس<sup>(٢)</sup> . ب - طريق محمد بن عبد السلام الخشني وهو ثاني رواية نقل هذه  
 الكتب الى الاندلس<sup>(٣)</sup> . ج - طريق عيسى بن شذانق<sup>(٤)</sup> . د - طريق عيسى بن  
 أيوب<sup>(٥)</sup> . وهؤلاء الاربعة تتصل روايتهم مباشرة عن علي بن عبد العزيز تلميذ ابي عبيد •  
 هـ - طريق وهب بن نافع الذي اخذ كتب ابي عبيد عن علي بن ثابت<sup>(٦)</sup> . وهذه الطرق  
 جميعا - وربما وجد غيرها - تدل على مبلغ ما لقيته مؤلفات ابي عبيد من اهتمام  
 الراحلين • غير ان ابرز الرواة الاندلسيين جميعا ممن كانت تؤخذ عنه هذه الكتب  
 هو محمد بن عبد السلام الخشني •

#### ٥ - النشاط الشفوي في ميدان اللغة :

ويبدو ان النشاط التأليفي في هذا العصر ظل ضعيفا  
 محدود المجال ، وان حياة اللغة غلب عليها الجانب الشفوي • فنحن نقرأ تراجم  
 عشرات من المهتمين باللغة والنحو ممن ترجم لهم الزبيدي وابن الفريسي فلا نجد في

(١) لأبي عبيد القاسم بن سلام عدد كبير من المؤلفات منها : الغريب المصنف ، الامثال ،  
 غريب الحديث ، معاني القرآن ، كتاب في القراءات ، كتاب في الاموال  
 ( انباء الرواة ٣ : ١٤ - ١٥ ) •

(٢) طبقات الزبيدي : ٢٩٢ ، تاريخ ابن الفريسي ١ : ٢٤٣ •

(٣) تاريخ ابن الفريسي ٢ : ١٦

(٤) المصدر نفسه ١ : ٣٧٥

(٥) المصدر نفسه ١ : ٣٧٥

(٦) المصدر نفسه ٢ : ١٦٠

ترجماتهم ذكرا لكتب ألفوها . وحسب المترجم في هذه الناحية ان يقول : " كان من أهل العلم بالعربية واللغة " (١) ، او يقول : " كان له حظ من اعراب ولفظة " (٢) ، او يقول : " كان له بصر تام بالنحو واللغة " (٣) ، او يقول : " كان متقدما في معرفة لسان العرب والبصر بلغاتها " (٤) ، وما أشبه ذلك من تعميمات ليس فيها دقائق تفصيلية . وقد يشير كل ذلك الى ان اكثر جهود الاندلسيين يومئذ صرفت في تدريس الكتب المهاجرة او في المناقشة الشفوية لأمر جزئية . وفي هاتين الناحيتين لا تضمن علينا المصادر ببعض الاخبار المفيدة . فقد ذكر الزبيدي ان يوسف البلوطي الذي كان يؤدب عند بني حدير " كان يقرأ عليه كتاب الادب وكتاب يعقوب في اصلاح المنطق، ونحو ذلك من كتب اللغة " (٥) . ولا ريب في ان كتاب الادب في هذا النص يعني كتاب " ادب الكاتب " لابن قتيبة ( او ادب الكاتب كما يدعى احيانا ) . وكان موسى بن أزهري الاستحي العالم اللغوي : " يقرأ عليه شرح الحديث والغريب المصنف " (٦) . واما المناقشة الشفوية فهي المجال الأكبر لطلاب اللغة والنحو والمتطالعين الى معرفة ما خفي عليهم من شئون هذين العلمين . ولنا في " المذاكرة " مثل نموذجي من هذا القليل . و " المذاكرة " هذا هو العنبر بن عبد الرحمن ، لقب بهذا اللقب " لانه كان اذا لقي رجلا من اخوانه قال له هل لك في مذاكرة باب من النحو ، فلهج بهذه الكلمة واكثر منها حتى نهب بها " (٧) . وكان اطلعه في العربية موفورا ، ولذلك كان

(١) طبقات الزبيدي : ٢٨٧

(٢) المصدر نفسه : ٣١٤

(٣) المصدر نفسه : ٣٢٧

(٤) تاريخ ابن الفرضي : ٤٤

(٥) طبقات الزبيدي : ٣٢٣

(٦) المصدر نفسه : ٢٩٩

(٧) المصدر نفسه : ٣١٠

علمه ضرباً من الرواية التي ينحو بها منحى الأحمية . شاهد يوماً سيفاً مع القائد ابن ابي عبدة فأخذه وسمى أجزاءه بما سمعتها به العرب ، فعجب جميع من شهد المجلس من سعة علمه وصحة حفظه (١) . كذلك كان هذا النشاط الشفوي مصدراً كبيراً للمعرفة اللغوية ، وخاصة في أوائل هذه الفترة ، إذ لو كان التأليف اللغوي متوفراً يومئذ في قرطبة لما كان الأمير نفسه يرسل البريد الى عالم لغوي يعيش في منطقة نائية ليسأله عن مسألة لغوية جرى الاختلاف فيها بين علماء اللغة في العاصمة . يقول الزبيدي في ترجمة خصيب الكلبي : " كان خصيب ساكناً بمورور . . . . وكانت العشيخة من أهل مورور يذكرون ان الفرائق كان يأتي من قرطبة من الخليفة محمد رضي الله عنه الى خصيب يستفتي في الكلمة من اللغة والمسألة من العربية تحدث عندهم " (٢) . ولا يخلو هذا الاتجاه الشفوي من معارك يستدعيها اللجاج في الجدل أحياناً كما لا يخلو من التنافس والتحاسد بين ذوي الحرقة الواحدة المتنافسين على اكتساب قلوب الطلبة ، حسبما هي الحال في كل زمان ومكان . ومن صور هذا التحاسد ما نشأ بين أحمد بن بشر بن الاغبس وعبد الملك بن شهيد من ناحية ، وبين عفير بن مسعود الفسائي من ناحية أخرى ، فقد استخرج الاثنان الاوّلان من كتاب العين حروفاً مهملة ونسخا من ذلك دفترًا ضخماً ولقيا عفيراً بالكتاب ، وقصدهما من ذلك أن يثبتا عليه عدم الاطلاع وأن يوقعا عليه تهمة الغفلة ، ولكن عفيراً أبطل جميع ما جاء به وأسقطه ونفى ان يكون من كلام العرب ، واضطر خصماءه ان ينزلا على حكمه ويعترفوا بعلمه وفيئاً الى الحق (٣) .

كذلك فان ذلك الجدل الشفوي لم يكن يخلو

- 
- (١) طبقات الزبيدي : ٣١١ .  
 (٢) المصدر نفسه : ٢٨١ .  
 (٣) المصدر نفسه : ٢٩٩ .

من تعالم للدلالة على سعة الرواية ، مثلما كانت حال ابي عمرو بن حجاج الذي كان ينحو نحو الغريب والتعقّر في اللفظ<sup>(١)</sup> . وحال سعيد بن الفرج المعروف بالرشاش فانه كان أيضا شديد التعقير في كلامه<sup>(٢)</sup> . غير ان هذه الظاهرة الاخيرة من اقل الظواهر لدى لغويي الاندلس شيوعا ، وما ذلك الا لانهم سيشغلون بعد قليل بالمحافظة على سلامة اللغة دون الاسراف في انتحاء غرائبها . فمن الظواهر التي تلفت النظر في تاريخ اللغة في الاندلس تسرب الخطأ الى الكتابة . وقصة ابن فطيس الوزير الذي كتب الجخطب بالطاء في رسالة وأنكر عليه الزيدي ذلك ، فلم يصغ اليه ، ليست الا نموذجا واحدا من هذا الخطأ<sup>(٣)</sup> . وقد اشار الزيدي الى ان هذا اللون من الخطأ ضمنته الشعراء اشعارهم واستعمله جلة الكتاب<sup>(٤)</sup> . ولا يحظن ان كلام الزيدي ينصرف الى عصره فحسب وانما ينصرف بنفس القدر الى مقدمات عصره .

## ٦ - حركة التأليف اللغوي حتى أواخر القرن الثالث :

ذلك هو حال النشاط الشفوي في ميدان اللغة . فاذا ذهبنا نتلمس النشاط في التأليف وجدنا ثمرة حفزت اليها مجالس التدريس من ناحية ، والاحتذاء للكتب المشرقية المهاجرة من ناحية أخرى . وأكبر ما يميز التأليف اللغوي في هذه الفترة عدم انفصاله عن الحديث . وذلك هو الاثر المباشر الذي تركه كتاب " الغريب المصنف " لابي عبيد القاسم بن سلام في نفوس اللغويين الاندلسيين . فأبرز المؤلفات اللغوية التي ظهرت يومئذ انما تتعلق باللغة من حيث صلتها بغريب الحديث .

(١) طبقات الزيدي : ٣١٢ .

(٢) المغرب ١ : ١١٤ .

(٣) لحن العوام : ٨ ، لم يذكر الزيدي اسم الوزير ، وانما ذكره صاحب

الذيل والتكملة ، انظر ٥ : ٧٣ .

(٤) المصدر نفسه : ٧ .

وهؤلاء المؤلفون فريقان ، فريق ألف كتابا او كتبها ولكن المصادر لم تذكر شيئا عنها ،  
وفريق نعرف كتبهم بأسمائها . فمن الفريق الاول

- ١ - جودى النحوى ( - ١٩٨ / ٨١٤ ) ، وله تأليف في النحو (١) .
- ٢ - ابن ابي غزالة . له كتاب ألفه في العربية (٢) .
- ٣ - خصيب الكلبي . له كتاب مصنف في اللغة نحو مصنف ابي عبيد (٣) .
- ٤ - ابو بكر بن خابط المكفوف ( بكر بن خابط حسب رواية ابن الفريسي ) .  
له تأليف في النحو (٤) .
- ٥ - ابو الاصبح عثمان بن ابراهيم البر شقيقى . له تأليف في النحو (٥) .
- ٦ - يحيى بن عبد الرحمن الملقب بالابيض ( - ٢٦٣ / ٨٧٧ ) . " الف في  
النحو كتابا اخذه الناس عنه " (٦) .
- ٧ - ابو الحسن مفرج بن مالك النحوى ، الملقب بالبغل . له كتاب في  
شرح كتاب الكسائي (٧) .

ومن الفريق الثاني :

- ١ - عبد الملك بن حبيب ( - ٢٣٩ / ٨٥٤ ) (٨) . غلبت عليه شهرته في

(١) طبقات الزبيدى : ٢٧٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٨١ .

(٣) المصدر نفسه :

(٤) المصدر نفسه : ٢٩٧ ؛ تاريخ ابن الفريسي ١ : ١١٢ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٣٤ .

(٦) تاريخ ابن الفريسي : ٢ : ١٧٩ .

(٧) طبقات الزبيدى : ٢٩٧ .

(٨) ترجمته في : طبقات الزبيدى : ٢٨٢ ؛ تاريخ ابن الفريسي ١ : ٣١٢ ؛

جدوة المقتبس : ٢٦٣ ؛ بغية الملتبس رقم ١٠٦٣ ؛

الديباج المذهب : ١٥٤ ؛ تذكرة الحفاظ : ٥٣٧ .



الفقه والحديث ، ولكنه كان جامعا لضروب الثقافة الاسلامية وقد ذكره ابن الفريسي في كتابه طبقات الادباء فجعله صدرا فيهم وقال : انه كان فقيها مفتيا نحويا لغويا نسبة اخباريا عروضا فائقا شاعرا محسنا مترسلا حازقا<sup>(١)</sup> . وله مؤلفات جمّة يهمننا منها في الجانب اللغوي كتابه في غريب الحديث . كذلك سماء ابن الفريسي في ثبت كتب عبد الملك . واعاد ابن فرحون ذكره بهذا الاسم . ثم ذكر ابن الفريسي في ترجمة مجاهد بن أصبغ البجاني قوله " وقرأت انا عليه كتاب شرح غريب العوطأ لابن حبيب " (٢) ، ويبدو أنهما تسمان من كتاب واحد<sup>(٣)</sup> .

٢ - محمد بن عبد السلام الخشني ( - ٢٨٦ / ٨٩٩ )<sup>(٤)</sup> . رحل الى العراق وغيره من البلاد ، وكان من شيوخه محمد بن المغيرة ، ومحمد بن وهب المسعري صاحبا ابي عبيد القاسم بن سلام وعضهما اخذ كتب ابي عبيد وأدخلها الاندلس . وقد أقام في هذه الرحلة متجولا خمسا وعشرين سنة . وقلب عليه طلب الحديث وحفظ اللغة لانه لقي في أثناء رحلته أيضا كثيرا من أئمة اللغة كالسجستاني والرياشي والزهادي فأخذ عنهم كثيرا من كتب اللغة رواية الاصمعي ، وغيره . وكان تدريس اللغة في قرطبة يمثل جانبها من نشاطه . وقد ألّف في شرح الحديث كتابا فيه من الغريب علم كثير .

٣ - قاسم بن ثابت ( - ٣٠٢ / ٩١٥ )<sup>(٥)</sup> . رحل مع ابيه ثابت الى

- 
- (١) الديباج المذهب : ١٥٤ .  
 (٢) تاريخ ابن الفريسي ٤٢ : ١٤٨ . (٣) راجع الديباج المذهب : ١٥٥ .  
 (٤) ترجمته في : طبقات الزبيدي : ٢٩٠ ، تاريخ ابن الفريسي ٢ : ١٦ ، جذوة المقتبس : ٦٣ ، بغية الملتبس رقم : ٢٠٢ ، تذكرة الحفاظ : ٦٤٩ .  
 (٥) ترجمته في : طبقات الزبيدي : ٣٠٩ ، تاريخ ابن الفريسي ١ : ٤٠٢ ، جذوة المقتبس : ٣١٢ ، بغية الملتبس رقم : ١٣٠٠ ، وانباء الرواة ٣ : ١٢ ، ١ : ٢٦١ ، بغية الوعاة : ٣٧٦ ، الديباج المذهب : ٢٢٣ ، فهرسة ابن خير : ١٩١ ، ونفح الطيب : ٢ : ٢٥٥ .

المشرق سنة ٢٨٨ / ١٠١ ، وعني هو وأبوه بجمع الحديث واللغة . وكان قاسم مقدما بالمعرفة في الغريب والنحو . وقد ألف كتابا في شرح غريب الحديث ومعانيه ، وهو المسمى بكتاب " الدلائل " ، وبلغ من جودته أن نال عليه ثناء العلماء . روى الزبيدي عن القاضي انه قال : " لم يؤلف بالاندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت في شرح الحديث ، وقد طالعت كتابها<sup>كتبا</sup> الفت فيما لديكم ورأيت كتاب الخشني في شرح الحديث وطالعت ما رأيته صنع شيئا ، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب " (١) . وقد بلغ من اعجاب القاضي به أن أخذه على ولد القاسم وما كان ولده أهلا لان يؤخذ عنه . وقال ابن حزم : " ما شاء ابو عبيد الا يتقدم العصر " (٢) . وقال الحميدي ان ابنه ثابتا زاد في هذا الكتاب زيادات ، وأظنه وهم في ذلك ، اذ أن المصادر الاخرى ذكرت أن ثابتا الاب هو الذي أكمل الكتاب بعد أن شكل ابنه في حياته ، أما ثابت الابن فقد روى الكتاب عن جده اذ كان صغيرا حين توفي أبوه (٣) . وعن ثابت الابن انتقلت روايته في سائر الاندلس على مر الزمن . ومن نظر الى طرق الرواية التي اثبتها ابن خير لهذا الكتاب عرف مبلغ ما أحرزه من شيوخ لدى علماء الاندلس من بعد . هذه ثلاثة كتب في اللغة ، او ان شئت الدقة قلنا في غريب الحديث ، لم تصلنا . ولكنها اذا استأنسنا بحكم القاضي عليها عرفنا أن ثالثها ، وهو كتاب قاسم ، كان اكثرها اتقاناً ، حتى عند مقارنته بأمثاله من كتب أهل المشرق . ولهذا قال الزبيدي : " لسو قال اسماعيل ( القاضي ) انه لم ير بالمشرق كتابا أكمل من كتاب قاسم في معناه لما

(١) طبقات الزبيدي : ٣٠٩ .

(٢) جذوة المقتبس : ٣١٢ .

(٣) فهرسة ابن خير : ١١١ .

رددت مقالته<sup>(١)</sup> .

وفيما عدا ما تقدم ذكره من مؤلفات لغوية ونحوية ، عرفت اسمائها اولم تعرف ، لا نعرف جهدا آخر يستحق التتويه سوى ما صنعه زيد بن سليمان الحجري المعروف بالبارد ( - ٣٠٠ / ١١٣ ) ، فانه جمع بين الاسباب في كتاب الاخفش ، واقتدى الناس به ، وكانت الاسباب مفرقة (٢) .

#### ٧ - أشهر المدرسين وتلامذتهم :

على أننا اذا اقتصرنا في النظر الى النشاط اللغوي على <sup>حرمنا</sup> التأليف عرفنا ذلك رؤية الجانب الأكبر من هذا النشاط المعتمد على حلقات التدريس . ففي هذه الحلقات تخرج اكثر تلامذة اللغة والنحو في الاندلس ولم يكن المرتحلون الى المشرق العائدون بالكتب المشرقية الا أساتذة لاولئك العشرات من الطلبة الذين اتجهوا وجهة الدراسات اللغوية والنحوية . وليس من اليسير ان نحصر اساتذة اللغة في هذا المقام وتلامذتهم الذين غلبت عليهم الثقافة اللغوية . ولهذا اكتفي بأن أعرض ثلاثة نماذج متفاوتة للتعرف الى الجهود الدراسية في ميدان اللغة ، وعدد من تخرج في هذه الدراسات ممن أصبحوا حملة اللغة في القرن التالي .

(١) طبقات الزبيدي : ٣٠٩ ، أقول : وقد بلغ من ا كبار الاندلسيين لهذا الكتاب أن حملوا قول القالي " لم يؤلف بالاندلس " - ولم يقل " لم يؤلف بالمشرق " محملا نسبه فيه الى التعصب ( انظر تاريخ ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ) .

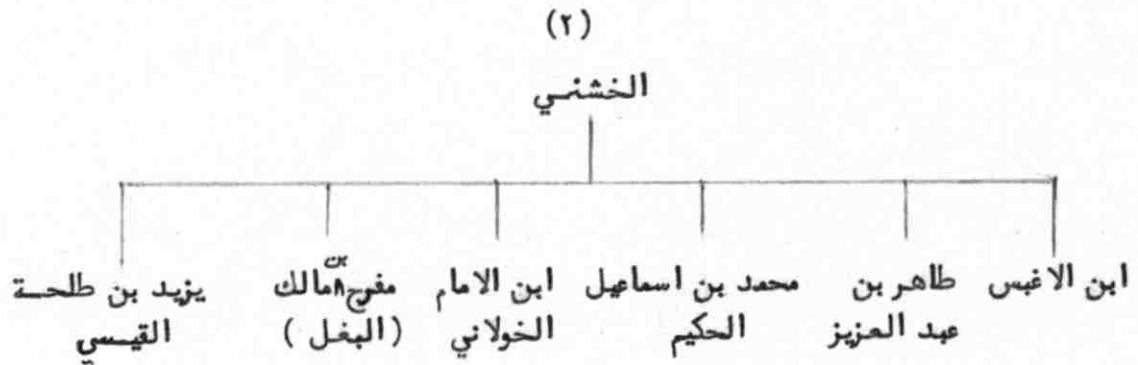
(٢) طبقات الزبيدي : ٣٠٨ ، والتكملة : ٣٣١ . وذكر القحطي هذا عنه في انباء الرواة ٢ : ١٥ ؛ وبغية الوعاة : ٢٥٠ . وأغلب الظن ان الاخفش المشار اليه هو سعيد بن مسعدة الاوسط ، المتوفى سنة ٢١١ / ٨٢٦ او ٢١٥ / ٨٣٠ . اما كتابه المشار اليه فليس من اليسير تعيينه لان له عدة كتب ( انظر الانباء ٢ : ٤٢ ) .

وابرز المدرسين اللغويين ممن تخرج على يديه اكبّر عدد من الطلبة هو قاسم بن أصبغ البيهقي<sup>(١)</sup>. وقد سمع في رحلته من علي بن عبد العزيز تلميذ ابي عبيد كما سمع من ابن قتيبة والمبرّد وثعلب . ولكن الطلبة كانوا اكثر اليه اقبالا ليدرسوا عليه كتب ابن قتيبة . وهذا جدول بدارسي اللغة الذين أخذوا عنه<sup>(٢)</sup> :

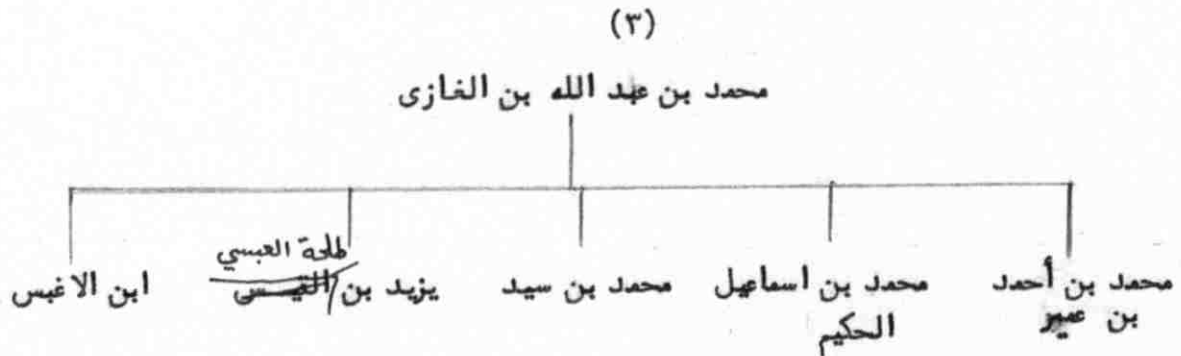
- 
- (١) ترجمة قاسم بن أصبغ في تاريخ ابن الفرضي ١ : ٤٠٦  
 (٢) اعتمدت في حصر أسماء الطلبة على كتابي ابن الفرضي والزبيدي ، والاول منهما اكثر ضاية بذكر الشيخ والطلاب في الترجمات التي اوردها .



فهؤلاء ستة عشر تلميذا ممن درسوا على قاسم ثم كانت اللغة أهم بضاعة لهم . وثاني هؤلاء المدرسين هو الخشني ، وليست قلة العدد في تلامذته دليلا على أنه كان أقل حظا من قاسم بن أصبغ ولكن أكثر الطلبة الذين درسوا على الخشني انما اتجهوا وجهات علمية أخرى غير الوجهة اللغوية . وهذا جدول بأهم تلامذة الخشني اللغويين



والنموذج الثالث يمثل محمد بن عبد الله بن الغازي ، وهذا جدول بتلامذته



وتطلعنا هذه الجداول الثلاثة على الحقيقتين التاليتين :

(١) أن الطالب لم يكن يكفي بالتردد الى مدرس واحد ومن أمثلة ذلك الحكيم

(٢ ، ٣)    ويزيد بن طلحة (٢ ، ٣)    وابن الامام الخولاني (١ ، ٢)

(٢) أنه لم ينل من هؤلاء الطلبة شهرة العالم في القرن التالي سوى اثنين هما

الزبيدي وابن القوطية ، وهما تلامذة قاسم بن أصبغ .

وهؤلاء جميعا سيكونون أساتذة اللغة في القرن الرابع هم والمبكرون في الاخذ عنهم ممن تلامذتهم . وباستثناء الزبيدي وابن القوطية كان من الممكن أن تظل صورة القرن الرابع من حيث النشاط اللغوي المحلي تديسا ومناقشة وما الى ذلك من نشاط شفوي . وليس من استباق القول في هذا الموطن أن أشير الى أن صورة القرن الرابع اللغوية قد تغيرت كثيرا عن هذا ، اذ كانت حافلة بألوان من التأليف اللغوي المتنوع . ومعنى ذلك أن هناك عوامل تدخلت في توجيه الحياة اللغوية في ذلك القرن ، وهي ما سنقف عنده في الفصل التالي .

٨ - هل كان هذا النشاط اللغوي النحوي وقفا على العناصر العربية في الاندلس :

ذلك سؤال قد يضطر الدارس الى طرحه في كل حقبة من

حقب هذه الدراسة ، ولكن اهميته في هذا المقام اشد ، لان الاجابة عليه يمكن ان تصور لنا الى اى حد تعربت العناصر غير العربية في الاندلس ، واقبلت تشارك بجهودها في دراسة اللغة العربية .

ان التراجم التي وصلتنا لهؤلاء العلماء لا تشير دائما الى انسابهم ، كما ان النسب العربية التي تطلق عليهم لا تدل على انهم عرب أصالة ، اذ كان من حق الموالي ان يتخذوا تلك النسب . ولكن الاخبار اليسيرة التي لدينا تدل على ان الموالي والبربر وبعض المولدين الأندلسيين شاركوا في هذا النشاط . فكان الاقشطين

مولسى الامير منذر بن محمد (١) . وكان عافى بن سعيد مولسى بنى سيد (٢) . وكان والد عباس بن ناصح عبدا لمزاحمة بنت مزاحم الشقي (٣) . وكان محمد بن زيد مولى الامير عبد الرحمن بن الحكم (٤) . وكان قاسم بن أصبغ مولى امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك . وكان ثابت وابنه قاسم من أصل بربرى ينتسبان الى عوف بالولاء ، قال زكريا بن خطاب : " هم من البربر يتولون زهرة بن كلاب " (٥) . وقال ايضا في حديثه عن ثابت : " هو مولى بنى زهرة مولى علاقة ، وهم من البربر ، وانتفاء البربر الى ولاء زهرة في ذلك الشجر وذلك المشرق (سرقسطة) كثير جدا لا ترى أحدا من البربر يذكر غير ولاء زهرة ، الا الشاذ منهم " (٦) . ومن اشهر من عرف باللغة من مسلمة الذمة عبد الله بن عمر بن الخطاب من أهل اشبيلية (٧) . ويقال ان عبد الملك ابن حبيب السلمي انما كانت نسبه الى سليم بالولاء وقيل انه من أنفسهم (٨) .

- 
- (١) طبقات الزبيدى : ٣٠٥ .  
(٢) المصدر نفسه : ٣٣٤ .  
(٣) المغرب ١ : ٣٢٤ .  
(٤) طبقات الزبيدى : ٣٣٥ .  
(٥) فهرسة ابن خير : ١٩٣ .  
(٦) المصدر نفسه .  
(٧) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٢٥٥ .  
(٨) الديباج المذهب : ١٥٤ .



## الكتاب الثاني

الحركة اللغوية بالاندلس

في القرن الرابع الهجري

## الفصل الثاني

### عوامل النهضة اللغوية ومظاهرها في هذا القرن

#### ١- العوامل الجديدة

أ - تعهيد :

هذا هو عصر عبد الرحمن الناصر ( ٣٠٠-٣٥٠ / ٩١٣ - ٩٦١ ) وابنه الحكم المستنصر ( ٣٥٠ - ٣٦٦ / ٩٦١ - ٩٧٧ ) والحاجب المنصور بن ابي عامر ( - ٣٩٢ / ١٠٠٢ ) على التوالي . وفيه بلغت الاندلس ذروة العجد السياسي والوحدة السياسية في ظل الأمويين والعامريين ، كما بلغت فيه قرطبة من العمران أقصى ما وصلت اليه ، فأصبحت الدولة خلافة ( بعد ان كانت اماراة ) تشمل اكثر أجزاء الاندلس ، فهي قبلت الانظار في الناحيتين السياسية والحضارية . اما في الناحية السياسية ، فأية هذا الذي بلغته أصداء شهرتها في العالم الخارجي تلك الوفود التي وفدت في أيام الناصر وابنه الحكم لتعقد أواصر التحالف والصدقة مع الدولة الأموية في الأندلس . ذكر صاحب النفع نقلا عن ابن حبان وغيره انه " لم تبق امة سمعت به ( أي الناصر ) من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى ، فانه هاروا ورغب في مواعفته ، وكان وصول أرساله في صفر سنة ٣٣٨ / ٩٤٩ " (١) ، او ٣٣٦ / ٩٤٧ ، حسب قول ابن خلدون (٢) . كذلك ترددت مثل هذه الوفود الى قرطبة أيام ابنه الحكم

---

(١) نفع الطيب ١ : ٣٤٣ ، وأزهار الرياض ٢ : ٢٧٢

(٢) تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٤٢ .

المستصر (١). ولم تكن هيبة الحكم في أيام المنصور بأقل مما كانت عليه في أيام الناصر والحكم المستصر . وأما في الناحية الحضارية فان قرطبة والزاهرة والزهراء على مقربة منها أصبحت مثلثا نموذجيا لأرقى ما بلغته المدنية يومئذ في شكلها العادي . وكان كل هذا يتطلب اهتماما خاصا بالنواحي الثقافية حتى تكتمل الصورة الحضارية . فاذا قلت ان هذا العصر يتميزّ بنهضة عامة في نواحي العلم بالنسبة للعصر السابق فما ذلك الا لأن عوامل ايجابية جديدة قد دخلت في توجيه الحياة الثقافية في هذه الفترة . وليس من قبيل الرمز أن أقول ان هذا العصر افتتح بانشاء اكبر مكتبة عرفتها الاندلس واختتم بخراب هذه المكتبة . فقد اتفق أن كانت البداية بداية ارتفاع الخط الحضارى والثقافى في تاريخ الاندلس، وكانت النهاية تبدد الوحدة السياسية والعجد السياسي ، وخراب العمران الذى شهدته قرطبة في عصرها الذهبي . يقينا ان العوامل السابقة من : رحلة الى المشرق ، وهجرة للكتب المشرقية ، ونشاط في حلقات التدريس، وحيوية مفرقة في التأليف، ظلت تفعل فعلها في هذا العصر كما فعلت في العصر السابق ، ولكن انضادت اليها عوامل جديدة جعلت جانبها من هجرة الكتب ومن حركة التأليف والتدريس نفسها امرا قائما على التنظيم والتشجيع الرسمي . وفي هذه العوامل الجديدة يعزى اكثر الفضل للحكم المستصر الذى أشرف على تنفيذ المخططات الثقافية يوم كان وليا للعهد في حياة أبيه ، ويوم أصبح خليفة بعده (٢). فقد كان الحكم نفسه مثقفا ، ويمكننا دون عناء ان نعدّه واحدا من علماء الاندلس في هذا العصر،

(١) راجع نوح الطيب ١ : ٣٦٠ وأزهار الرياض ٢ : ٢٨٨ وفي المقتبس، مخطوطات مدريد ( أخبار ضافية عن كثير من هذه الوفود بين ٣٦٠ - ٣٦٣ هـ / ٩٧١ - ٩٧٣ .  
 (٢) راجع تشجيع الحكم لضروب الثقافة العامة في كتاب : تاريخ الأدب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة : ٤٣ - ٥٢ وقد وردت فيه اكثر الروايات التي استشهدت بها هنا .

وتلميذا لاكبر استاذين شهدناهما في العصر الماضي ، وهما : القاسم بن أصبغ والخشني ، " وكان في المعرفة بالرجال والاخبار والانساب أحونيا نسيج وحده ، وكان ثقة فيما ينقل " (١). وذكر ابن الأثير انه " قلما وجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة او نظر في اي فن كان ، ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ، ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده ، لعنايته بهذا الشأن (٢).

### ب - جهود الحكم في النهضة اللغوية :

ونستطيع ان نتبين ما أداء الحكم من جهود ثقافية وخاصة ما كان منها يمسّ موضوع هذه الدراسة في الأمور الآتية :

١ - انشاء مكتبة عامة تابعة للقصر : " كان الحكم يستجلب المصنفات من الاقاليم والنواحي ، باذلا فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها خزائنه ، وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك " (٣). وقال ابو محمد بن حزم " كان محبا في العلم ملاً الاندلس بجميع كتب العلوم واخبرني تليد الفتى وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالاندلس ان عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب اربع واربعون فهرسة ، في كل فهرسة خمسون ورقة ، وليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين فقط " (٤). وكان جمعه لهذه الكتب يعتمد على تجّار يرسلهم الى الاقطار او يبعث الى المؤلف نفسه فيطلب نسخة من كتاب ألفه ، كما فعل مع ابي الفرج الاصبهاني حين أرسل اليه بألف دينار ليحصل منه على نسخة من كتاب

(١) نفع الطيب ١ : ٣٧١

(٢) الحلة السيرة ١ : ٢٠٢ ونفع الطيب ١ : ٣٧١

(٣) نفع الطيب ١ : ٣٧١

(٤) جبهة انساب العرب : ١٠٠ (الطبعة الثانية) ، وانظر النفع ١ : ٣٦٢ ، والحلة السيرة ١ : ٢٠٣ ، وذكر صاحب النفع ان في كل فهرسة عشرين ورقة .

الاجاني<sup>(١)</sup>، ووظف له نساخا في بغداد وغيرها لاستتساخ الكتب وارسالها الى الاندلس وكان من ورائيه ببغداد محمد بن طرخان<sup>(٢)</sup>. كما رتب في جناح بقصره في قرطبة " الحدائق في صناعة النسخ والمهارة في الضبط والاجادة في التجليد"<sup>(٣)</sup>، "وتسامع الناس بشغفه بالكتب ونفاقها عليه فحملت من كل جهة اليه والملك سوق ما نفق فيها جلب اليها"<sup>(٤)</sup>. ومن الطبيعي ان تحتل الكتب اللغوية مكانها اللائق بها في هذه المكتبة لان شغف الحكم بالكتب لم يكن فيه ايشار لعلم على آخر. قال صاعد: " واستجلب من بغداد ومصر وغيرها من ديار المشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة"<sup>(٥)</sup>. وبعد أسطر من هذا النص نستدل على ان المكتبة كانت تحوى كتبها في علوم المنطق وعلوم النجوم والطب والحساب واللغة والنحو والاشعار والاختبار والفقهاء والحديث وغيرها. فاللغة اذن من الموضوعات التي عني الحكم بكتبتها في ما عني.

وكان جمع الحكم لهذه الكتب حافزا على الاقتداء، وسرعان ما أخذ السراة في قرطبة يقلدون الخليفة بانشاء مكاتب خاصة<sup>(٦)</sup>. ومن أشهر هذه المكتبات مكتبة ابن فطيس التي كان يعمل فيها ستة من النساخين ولها أمين خاص. ويقول الاستاذ خوليان ريبيرا في مقاله القيم عن المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية: " ان تأسيس المكتبات لم يكن قاصرا على الاشياء وحدهم، بل انما نجد هذه الرغبة أيضا بين الطبقات الفقيرة التي تعيش على كسب ايديها. ونذكر

- 
- (١) نفع الطيب ١ : ٣٦٢ .  
 (٢) انظر الحلة السيرة ١ : ٢٠٢ .  
 (٣) نفع الطيب ١ : ٣٦٢ .  
 (٤) الحلة السيرة ١ : ٢٠١ .  
 (٥) طبقات صاعد ٦٦ : .  
 (٦) راجع حضارة العرب لبروفنسال : ٦١ .

هنا على سبيل المثال مكتبة معلم مدرسة فقير هو محمد بن حزم وكان يعيش على ما يكسبه من التدريس للأطفال ، يساعده في ذلك ابن له يتعهد الصبيان وابنة تتعهد البنات . وقد خص المبالغ الضئيلة التي كان يستطيع ادخارها لشراء الكتب ، كما استغل اوقات الفراغ بين الدروس لنسخ ما كان يستعيره اصدقائه (١) . كذلك شاركت المرأة الاندلسية في جمع الكتب وفي نسخها ، فكان في الرض الشرقي من قرطبة مائة وسمعون امرأة لنسخ المصاحف بالخط الكوفي (٢) . وهذه العناية بالنسخ وجمع الكتب - وهي عناية استستمر وتزايد طوال هذا العصر والعصر التالي - جعلت مجال الاطلاع ميسرا لغثات كثيرة ، فأصبح تداول الكتب سهلا على الطلاب والعشقيين .

٢ - حفز الهضم الى التأليف واغداق العطاء على المؤلفين ، واکرام العلماء بصنوف التقدير : وهذه ناحية تضم اتجاهات علمية كثيرة ، فيها التأليف في الانساب والحديث والفقه وجغرافية الاندلس وتاريخها وتراجم قضاتها وأدبائها وغير ذلك . ولكن ما يهمننا منها هو الناحية اللغوية . وانا على مثل اليقين بأن الحكم اولها أيضا من عنايته مثل ما أولى سائر العلوم ، فنحن مدينون للحكم بحفز الزبيدي الى كتابة مؤلفه القيم في طبقات النحويين واللغويين في المشرق والاندلس وفيه من تراجم اللغويين والنحويين الاندلسيين ما أصبح معتمدا لكل مؤلف في هذا الموضوع من بعد ، وذلك هو القسم الذي اعانتي على تصويره بواكير الحياة اللغوية في الاندلس حتى مطلع القرن الرابع . وتدل مقدمة الزبيدي على هذا الكتاب أن الحكم لم يقف عند حد الاقتراح بل حدد للزبيدي الشكل الذي سيتخذه

(١) مجلة معهد المخطوطات ، مجلد ٤ : ٩٢ ، نقلا عن التكملة ٣٥٨

(٢) مقالة وبهيرا ، نقلا عن المعجب : ٢٤٨ .

تأليفه ، وأمدته بعنايته وعلمه وأوسع من روايته وحفظه (١) . ولعل كتاب لحن العوام  
 إنما ألف أيضا طلبا لرضي الحكم واستعدادا لفضله ، ان لم يكن قد ألف بطلب منه (٢) .  
 وكذلك مختصر العين كما أمين ذلك في موضعه . وما كان حرص الحكم على  
 الزبيدي وكرامه لابي<sup>علي</sup> القالي ، كما سأوضح بعد قليل ، الا ترسيخا لاصول النهضة  
 اللغوية حينئذ . ولم يكن القالي والزبيدي هما الوحيدين بين علماء اللغة اللذين  
 نالا تقدير المستصر وكرامه ، بل كان هذا التقدير يشمل عددا كبيرا من العلماء  
 بينهم بعض علماء اللغة وان لم ينفردوا بالاتجاه اللغوي . من هؤلاء عبد الله بن محمد  
 المعروف بالسري ، وكان عالما بالعدد والهندسة ، وهو في الوقت نفسه امام في  
 النحو واللغة ، " وكان الحكم المستصر بالله يعظه ويؤثره " . الا ان الرجل كان  
 زاهدا في شئون الدنيا (٣) .

٣ - التدقيق العلمي في الأصول اللغوية : كان الخليفة الحكم ذا اهتمام خاص  
 بأن تكون الأمهات في كل علم صحيحة الأصول لا مسرب فيها للخطأ والتصحيف .  
 وقصته في اعتماد نص صحيح دقيق من كتاب " العين " تدل على ذلك . فقد كان  
 في أثناء جمعه لمختلف الكتب قد حصل على نسخ كثيرة<sup>التصنيف</sup> من كتاب " العين " ، ومنها  
 النسخة التي كان قد رواها بمصر القاضي منذر بن سعيد البلوطي ، فجمع الحكم اربعة  
 من أكبر علماء اللغة في قرطبة ، وهم : ابو علي القالي ، ومحمد بن ابي  
 الحسين ، وابنا سيد ، وطلب اليهم المقارنة بين النسخ لاستخراج نسخة دقيقة  
 الخط يقرها هؤلاء الاعلام (٤) . ولو وصلتنا اخبار تفصيلية عن هذه النواحي

- 
- (١) انظر طبقات الزبيدي : ٩ - ١٠  
 (٢) انظر لحن العوام : ٩  
 (٣) طبقات الامم : ٦٧ - ٦٨  
 (٤) جذوة المقتبس : ٤٧ - ٤٨

لوجدنا ان كتاب العين لم يكن فريدا بجهده العناية<sup>بهذه</sup> ، فحن نعلم ان المستصر قد أسند وظيفة المقارنة بين الكتب الى علم من أعلام اللغة هو الراهي ووسع له في النزل والجرية (١).

٤ - الترجمة : لعل هذه الناحية أضعف من سواها في الاندلس ، اذا نحن قارناها بما كان يتم في بغداد في عصر الرشيد والمأمون . فقد كان بإمكان الحكم ان يستورد الكتب المترجمة من المشرق دون أن ينفق جهدا مستأنفا في ترجمتها . وعلى هذا وصلته كتب كثيرة في علوم الاوائل مما كانت ترجمته قد تمت في المشرق . ولكن الذي يلفتني الى هذه الناحية وصول كتابين هدية من امبراطور القسطنطينية ، هما كتاب هرشيوش Paulus Orusius في التاريخ ، وكتاب ديوسقوريدوس في النبات . اما الكتاب الأول فقد قال فيه ملك القسطنطينية في رسالته الى عبد الرحمن الناصر : " أما كتاب هرشيوش فعندك في بلدك من اللاتينيين من يقرؤه باللسان اللاتيني وان كاشفتهم عنه نقلوه لك من اللاتيني الى اللسان العربي " (٢) . وقد ترجمه للحكم المستصر قاضي النصارى وترجمانهم بقرطبة وقاسم بن أصبغ (٣) . وأما كتاب ديوسقوريدوس فانه كان مكتوبا باللغة الاغريقية مصورا ، ولم يكن بقرطبة من نصارى الاندلس من يقرأ اللسان الاغريقي فبقي في خزانة عبد الرحمن الناصر دون ان يترجم . فلما ردّ الناصر على رسالة امبراطور القسطنطينية سأله ان يبعث اليه برجل يتكلم الاغريقية ليعلم له عبيدا يكونون مترجمين ، فبعث اليه الامبراطور براهب يسمى نيقولا ، وصل الى قرطبة سنة ٩٥١/٣٤٠ ، فاجتمع بقوم من المهتمين بشئون العقاقير فتعاون معهم

(١) طبقات الزبيدي : ٣٤٠

(٢) عيون الانباء : ٣ : ٧٦ ، طبعة بيروت ، وتاريخ هرشيوش اثر اسباني (راجع تراص : ٥٣)

(٣) تاريخ ابن خلدون : ٢ : ٨٨ ، ومقدمة كتاب طبقات الاطباء والحكام لابن جلجل : (كط)



على تصحيح أسماء العقاقير في ذلك الكتاب بالوقوف على أعيانها في مدينة قرطبة (١). وترجمة هذا الكتاب وتعيين أسماء الحشائش فيه بدقة من الأمور التي أضافت إلى الثقافة اللغوية . فقد ظل علم النبات قوينا لعلم اللغة من حيث المعجم الجديد الذي كان يضيفه إلى المعجم العربي عامة . وأما فيما يتصل بغير هذين الكتابين فلا نعرف اهتماما آخر بالترجمة يخفي اللغة العربية كما حدث في حق الترجمة بالمشرق .

٥ - استقدام العلماء للعمل في قرطبة : وفد على الأندلس بتشجيع من الحكم عدد من علماء الأماص ليعاونوا في النهضة الثقافية ، وليجدوا حظوظ أنفسهم أيضا . ومن زوى الاتجاه اللغوي فيهم " أبو الحسين بن الفارس وهو من أهل حلب روى بالمشرق عن جماعة من الشاميين والبصريين ، ووفد على المستنصر بالله فأجرى عليه وتوسع له وقرأ عليه الناس كثيرا شيوخا وشباناً ، وقرأ عليه أبو بكر الزبيدي - رحمه الله - ومن قرأ على الزبيدي . ومات سنة ٣٧٦ / ٩٨٦ " (٢) . وأبرز شخصية بين المهاجرين أبو علي القالي الذي وفد من بغداد باستدعاء من الحكم نفسه في الأرجح . وتلقاه الحكم والناصر بالحفاوة والاكرام . ولم تكن هجرة القالي إلى قرطبة أمرا عاديا نقف منه كما نقف من هجرة أي رجل آخر ، بل كانت هجرة ذات أثر بعيد في الحياة اللغوية بالأندلس ، فقد تمثل أثرها في النشاط الذي أشاره القالي من حوله في قرطبة والزهراء . فقد كان يعملي أماليه على طلبته بالزهراء كل يوم خميس ، ثم زاد فيه فبلغه ستة عشر جزءا للعامة ، ثم زاد فيه فبلغه عشرين جزءا للحكم (٣) . وتمثل هذا النشاط في كبار التلامذة الذين التفوا من حوله وتخرجوا به ، وفي حلوله من نفوس هؤلاء الطلبة رمزا لما يمكن أن يمثله العالم الحق ، وفي

(١) عيون الأنباء ٣ : ٧٦ - ٧٧

(٢) فهرسة ابن خير : ٤٠٨

(٣) المصدر نفسه : ٣٢٥

الكتب التي جلبها معه مقروءة على العلماء محققة الأصول . فقد جلب معه دواوين الشعر الجاهلية والاسلامية مثل شعر ذى الرمة والحطيئة وعمر بن قتيبة والناخبة والشماخ والاعشى وأوس بن حجر والاخلط وامرئ القيس ونقائض جرير والفرزدق الى غير ذلك مما عده ابن خير في فهرسته<sup>(١)</sup>. وهي دواوين قرأها على العلماء أمثال نبطويه وابن دريد ، وتعدّ أصول الشواهد اللغوية . كذلك حدث الاندلسيين بكثير من أمهات كتب اللغة ، ككتاب نوادر اللحياني ونوادر ابي زياد الكلابي والاضداد لشعرب وكتب يعقوب بن السكيت ، ومنها القلب والابدال وكتاب الاصوات وكتاب الفرق وكتاب خلق الانسان وكتاب النبات وكتاب الاضداد . وحدث أيضا بكتاب الفرق لثابت بن ابي ثابت وكتاب الخيل لابي عبيدة وكتاب الاضداد للتوزي وغيرها<sup>(٢)</sup>. وكل هذا يشير الى أن ابا علي قد زاد من رسوخ الاندلس في الموروث العربي وأتاح لطلاب اللغة والأدب دراسة منظمة قريبة المتناول لكتب كانوا يرحلون لقراءتها على العلماء . أما جهوده في التأليف فسوف أوليها عناية خاصة في موضعها من هذا <sup>الكتاب</sup> الفصل .

### ج - المنصور بن أبي عامر وأثره في النهضة اللغوية :

ولم يكن المنصور بن أبي عامر مقصرا عن سابقه في التشجيع الثقافي والتأني له من نواحيه المختلفة . ولكن الذي أفضاه في سياق هذه النهضة الثقافية أمران هامين :

الاول : تلك الثورة التي أعلنها المنصور على علوم الاوائل ، فاستخرج كتب الفلسفة والمنطق من مكتبة الحكم المستنصر وأحرقها على الملأ ، قال صاعد : " وعد أول تغلبه عليه (على هشام المؤيد، ابن الحكم ) الى خزائن ابيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها

(١) فهرسة ابن خير : ٣٩٥ - ٣٩٧

(٢) المصدر نفسه : انظر صفحات متفرقة منه .

واراد ( اقرأ وابرز ) ما فيها من ضروب التآليف بمحضر خواص من اهل العلم بالدين وامرهم باخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلوم النجوم وغير ذلك من علوم الاوائل ، حاشا كتب الطب والحساب . فلما تميزت من بيان الكتب المؤلفة في اللغة والنحو والاشعار والابخار والطب والفقہ والحديث وغير ذلك من العلوم والمباحثات عند أهل الاندلس، الا ما خلت منها في اثناء الكتب، وذلك اقلها ، أمر باحراقها وافسادها فأحرق بعضها ، وطرح بعضها في آبار القصر وهبّل عليها التراب والحجارة وغيرت بضروب من التغاير . وفعل ذلك تحبباً الى عوام الاندلس وتقيحاً لذهب الخليفة الحكم عندهم ، اذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم مذمومة بالسنة رؤسائهم وكان كل من قرأها متبها عندهم بالخروج من الملة ومظنون به الالحاد في الشيعة " (١).

الثاني : أن المنصور لم يكن متنوع الثقافة كالحكم المستنصر بل كان يميل حتى من بين العلوم الاسلامية الى ما كانت له صبغة أدبية ، ويؤثر من بين هذا اللون أيضا ما كان أميل الى كتب الأسماء ، ولذلك نفق هذا اللون عنده ، فألفت له فيه كتب متعددة منها كتاب لحسان بن ابي عبدة اسمه " ربيعة وعقيل " قال فيه ابن حزم " انه من املح ما الف في هذا المعنى " (٢) . ومنها تلك الكتب ذات الطابع القصصي التي كتبها صاعد البغدادي مثل كتاب الهججف بن غدقان بن يشري مع الخنوت بن مخزوم بن أنيف ، وكتاب الجواس بن قعطل العذجي مع ابنة عمه عفراء .

(١) طبقات الامم ، صاعد : ٦٦ . ويرى بروفنسال أن هذه الحركة التي قام بها المنصور انما كانت تهدياً لحركة المقاومة الناشئة بين المحافظين في قرطبة وأنه كان في قرارة نفسه أول من يقدر مدى ما في تلك الحركة من عدوان على حرمان الفن والعلم ( حضارة العرب : ٦٢ - ٦٣ ) .  
(٢) جذوة المقتبس : ١٨٤ .

وصاعد مؤلف هذين الكتابين هاجر الى الاندلس في حدود ٣٨٠ / ١٩٠ .  
ويظن الحميري ان أصله من ديار الموصل وانه دخل بغداد فعرف بالاندلس بنسبة  
البغدادى . " وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب ، حسن الشعر ،  
طيب المعاشرة ، فكه المجالسة ممتعا " (١) . ويمثل في أيام المنصور بن ابي عامر ما  
كان يمثله القالي في أيام الناصر وابنه الحكم . فهو مشرقى مثله وهو عالم في  
اللغة وقد لقي من اكرام المنصور مثلما لقيه القالي من اكرام صاحبه وألف للمنصور  
كتاب "الفصوص " على نحو كتاب النوادر للقالي . وقد كان المتوقع من صاعد  
ان يكمل النهضة اللغوية التي وضع قواعدها ابو علي القالي ، وبمضي قدما بالأثر  
المشرقى الذى يقدره الاندلسيون كل التقدير . فهو لاجل هذا الغرض هاجر ، اعني  
ليعرض ما لديه من بضاعة لغوية ، قال القفطي : " وبلغه ان اللغة بالاندلس مطلوبة  
والآداب هناك مرغوب فيها من ملوكها ورعيتهما ، فارتحل الى الاندلس " (٢) . ولكن حالت  
دون ذلك حوائل ، منها : ١ - ميل المنصور نفسه الى جانب المتعة في كتب  
الاسمار ، مما حدا بصاعد الى ان يتوجه بهمه لارضاء الرجل الذى كانت الاندلس تدين  
لسلطانه يومئذ ، وقد شغف المنصور حقا بما كتبه صاعد في هذا الموضوع حتى قيل  
انه كان لشدة شغفه بالكتاب " الجواس " قد رتب من يقرأه بحضرته كل ليلة (٣) .  
٢ - كان صاعد نفسه متكسبا على غير ما كانت عليه حال ابي علي ، ولذلك قيل فيه  
انه كان حسن الطريقة في استخراج ما في ايدي الناس من الاموال (٤) . ومثل هذا

(١) جذوة المقتبس : ٢٢٣ ، وراجع ترجمة صاعد في : الذخيرة ١/٤ : ٢ - ١٣ ،  
المعجب : ١٩ ، نفع الطيب ٤ : ٧٥ ، وفيات الاعيان ٢ : ٨١ ،

انباء الرواة ٢ : ٨٥ ، بغية الوعاة : ٢٦٧ .

(٢) انباء الرواة ٢ : ٨٥ .

(٣) معجم الادباء . ١١ : ٢٨٤ - ٢٨٥ ، انباء الرواة ٢ : ٨٦ .

(٤) جذوة المقتبس : ٢٢٣ ، الصلة : ٢٣٣ ، انباء الرواة ٢ : ٨٦ .

العسل جعله يؤثر ما يدر عليه كسبا فاتجه الى الشعر يستخدمه في الارتزاق حتى كادت شهرته في الشعر تغلب لدى الاندلسيين ايمانهم بشهرته في اللغة . ٣ - أراد المنصور ان ينافس به ما صنعه القالي في عهد الحكم . ويبدو ان هذا القصد لم يكن خافيا على تلامذة القالي ، فوقفوا موقف العصية لاستانهم وحاولوا بكل الطرق الممكنة ان يبرزوا عيوب صاعد ، وان ينسبوا اليه التزبد والكذب (١) . وربما ساعدهم صاعد نفسه على ذلك ببعض التخلصات التي كان يزورها لكلا تقطع به الحجة . واستثارت هذه الاكاذيب مثيلات لها على طريقة التفكك والدعابة ، وامتلاء الجو في قرطبة بين طلاب اللغة بأن صاعدا مطّرح مجرّح العدالة لا يحسن الأخذ عنه . ومن ذلك ما يروونه ان المنصور سأله يوما " هل رأيت فيما وقع لك من الكتب كتاب القوال والزوال لمبرمان ابن يزيد ، فقال : نعم رأيت ببغداد في نسخة لابي بكر بن دويد بخط كأكسرع النعل ، في جوانبها علامات للوضع هكذا وهكذا . فقال له ، أما تستحي أبا العلاء من هذا الكذب ! هذا كتاب عاملنا ببلد كذا يذكر فيه ان الارض قد قلبت وزلت ، فجعل يحلف انه ما كذب " (٢) . ومن هذه الروايات ان سأله يوما وقدامه تمر يأكل منه " ما التمر كل في كلام العرب ؟ فقال تمر كل الرجل تمر كلا اذا التف في كسائه " (٣) . وشاعت عنه حكايات كثيرة من هذا القبيل (٤) ، وأعتقد كما قدمت ان كثيرا منها قد اصبح يتردد طلبا للنادرة . ولكن مثل هذه السمعة كانت كافية لان تدين صاعدا لدى علماء اللغة في قرطبة ، وأكثرهم يومئذ من طلبة القالي . وقد نتساءل : ألم يغضب المنصور لهذا الذي رآه من فعل صاعد ؟ اكبر الظن ان المنصور

(١) انظر تاريخ الادب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة ٦٠ - ٦١ .

(٢) جذوة المقتبس : ٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ انباء الرواة ٢ : ٨٧ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) نفع الطيب ٤ : ٨١ .

قد أعجب بروح الفكاة وحسن الحديث لديه وبطيب معاشرته ، فظل يلاحظه بعنايته  
تقديرًا لهذه النواحي فيه ، ولكنه يئس من أن يجعل منه ندا للقيالي صاحب  
الحكم في الناحية اللغوية .

وفي القصة التالية ما يدل على أن صاعدا لم يكن يستطيع الفلج حتى في  
مناظرة تلامذة القالي . جلس المنصور يوما " وعنده اعيان مملكته ودولته من أهل  
العلم كالزبيدي والعاصمي وابن العريف ومن سواهم ، فقال لهم المنصور : هذا الرجل  
الوافد علينا صاعد يزعم انه <sup>مقدم</sup> في هذه الآداب . . . واحب ان يمتحن ما عنده ، فوجه  
اليه ودخل والعجل قد احتفل فنجل ، فرفع المنصور مجلسه وآتسه ، وسأله عن ابي  
سعيد السيرافي ، فزعم أنه لقيه وقرا عليه كتاب سيبويه ، فبادره العاصمي  
بالسؤال عن مسألة من الكتاب ، فلم يحضره فيها من جواب ، واعتذر أن النحو ليس  
جل بضاعته ولا رأس صناعته ، فقال له الزبيدي : فما تحسن ايها الشيخ ؟ قال :  
حفظ الغريب ، قال : فما وزن أولق ، فضحك صاعد ، وقال : أمثلي يسأل عن هذا  
انما يسأل عنه صبيان العكب ، قال الزبيدي : فقد سألتك ولا نشك انك تجهله ،  
فتغير لونه ، وقال : أفعل . قال الزبيدي : صاحبكم مخزق ، قال له صاعد : اخال  
الشيخ صناعته الأبنية ، قال له : أجل ، قال صاعد : وبضاعتي انا حفظ الاشعار ،  
ورواية الاخبار وفك المعنى ، وعلم الموسيقى ، قال : فناظره ابن العريف ، فظهر  
عليه صاعد ، وجعل لا يجري في المجلس كلمة الا انشد عليها شعرا شاهدا ، أوأتى  
بحكاية تجانسها ، فازداد المنصور عجبًا ، ثم اراه كتاب النوادر لابي علي ، فقال :  
ان اراد المنصور أمليت على مقيدى خدمته وكتاب دولته كتابا أرفع منه قدرا وأجل  
خطرا ادخل فيه خيرا مما ادخله ابو علي ، فأذن له المنصور في ذلك . وجلس  
بجامع مدينة الزاهرة يعلّي كتابه المترجم بالفصوص ، فلما اكمله وتبعه أدباء الوقت لم

تمر فيه كلمة زعموا صحتها عندهم ، ولا خبر ثبت لديهم" (١). وهذه الحكاية على علاتها تدل على أن صاعدا كان واثقا من نفسه فيما يتصل بالشعر والرواية للاخبار، ولكنه لم يكن يثبت لامثال الزبيدي في علم الابنية والتصريف . وأيما كان الأمر ، فان روح التحدى للقالي قد أساءت كثيرا الى صاعد وجعلته غرضا لسهام المناوئين . أما أن أدباء الوقت لم يجدوا كلمة صحيحة في كتابه ولا خبرا صحيحا فالأمر يستدعي شيئا من التوقف والمناقشة .

فن كل ما تقدم يتبين لنا ان جهود صاعد في ميدان اللغة كانت محدودة، فلانعرف له كتابا ذا مسحة لغوية سوى كتاب الفصوص الذى أراد ان يبذبه كتاب النوادر، بحيث يأتي أرفع منه وأجل دون أن يورد فيه خبرا مما أورده أبو علي . ومعنى هذا ان صاعدا اعتمد روايات وأخبارا لم يسمع بها الاندلسيون ولهذا قال علماءهم حين تتبعوه " فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم " . وقد شبه ابن بسام الى ان تفرّد صاعد هو الذى ساق الى كتابه هذه التهمة فقال : " وما أظن أحدا يجترى على مثل هذا (اى الوضع والكذب) وانما صاعد اشترط الا يأتي الا بالغريب وغير المشهور" (٢). اما العادة التي يدور عليها هذا الكتاب فهي تجمع بين اللغة والاخبار لقول ابن خير في تسمية الكتاب " كتاب الفصوص في اللغات والاخبار" (٣). وهذا الجانب اللغوى فيه يؤكد ردّ القزاز عليه في " مشاكير كتابه في النوادر والغريب" (٤). غير ان عنوان الكتاب لم يرد كذلك في جميع المصادر، فقد جاء في الصلة نقلا عن ابن حيان : " وجمع ابو العلاء للمنصور محمد بن ابي عامر كتابا سماه الفصوص في

(١) الذخيرة ١/٤ : ٦-٧ ، وانظر نفح الطيب ٤ : ٧٦-٧٧ .

(٢) نفح الطيب ٤ : ٧٨ وهو بايجاز وبعض تلخيص لما جاء في الذخيرة ١/٤ : ٨ .

(٣) فهرسة ابن خير : ٣٢٦ .

(٤) الصلة : ٢٠٤ .

الآداب والاشعار والاخبار" (١) فقد حذف ابن حيان هنا كلمة اللغات من اسم الكتاب .  
ومهما يكن من شيء فلا بد ان يكون فيه مشابه من نوادر القالي لأنه معارضة له ،  
وان يكون للغة فيه مقام وان لم يكن مقاما بارزا . وقد بدأ صاعد تأليفه هذا في شهر  
ربيع الأول سنة ٣٨٥ / ١١٥ وقضى فيه قرابة ستة أشهر اذ أكمله في شهر رمضان  
من العام نفسه (٢) . ولعل اضطراب الروايات التي شاعت عن تقيل هذا الكتاب أن  
تدلنا الى أي حد واجهت صاعدا مشاعر الحسد من معاصريه . فهناك رواية تقول ان  
علماء قرطبة أغرقوا كتابه المترجم بالفصوص ونبذوه ورموه في النهر (٣) ، ورواية ثانية تقول :  
ان المنصور أفاظته مرة أكاذيب صاعد فأمر باخراجه من مجلسه وأن يقذف كتاب الفصوص  
في النهر . وتجيء هذه الرواية مؤيدة بقول بعض الشعراء :

قد غاص في النهر كتاب الفصوص      وهكذا كل ثقيل يخصوص

ورد صاعد بقوله :

عاد الى معدنه انما      توجد في قعر البحار الفصوص (٤)

وهاتان الروايتان لم يذكرهما الحميدى وابن بشكوال ، وانما ذكر الثاني منهما رواية ثالثة  
نقلا عن ابن حيان جاء فيها " ان المنصور أظاه عليه بخمسة آلاف دينار دراهم في  
دفعة واحدة وأمره ان يسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في عقب خمس وثمانين  
وثلاثمائة (١١٥ م) ، واحتشد له من جماعة اهل الادب ووجوه الناس أمة " (٥) .

والارجح ان الرواية الثالثة هي اوثق الروايات لان راويها ، وهو ابن حيان ، قد درس هذا

(١) الصلة : ٢٣٣ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) الذخيرة ١ / ٤ : ٣ ، نفع الطيب ٤ : ٧٦ .

(٤) نفع الطيب ٤ : ٧٨ .

(٥) الصلة : ٢٣٣ .



الكتاب على مؤلفه سنة ٣٩٩ / ١٠٠٩ ، ومن طريق ابن حيان وصلت رواية هذا الكتاب الى ابن خير<sup>(١)</sup> . فاذا كان الكتاب قد القي في النهر حقا بأمر من المنصور فذلك يدل على غيبة مؤقتة لم تلبث ان زالت اسبابها ، واذا كان علماء قرطبة هم الذين طرحوه في النهر فذلك خبر رمزي يشير الى نفورهم من رواية ما كان يدرسه صاعد في مسجد الزاهرة<sup>(٢)</sup> .

ومع ذلك فهناك عدد من التلامذة الذين درسوا على صاعد ، عرفنا منهم المؤرخ ابن حيان ، الذي قرأ عليه كتاب الفصوص . ومنهم أيضا عبد العزيز بن احمد بن مفلح القيسي الذي قرأ عليه اللغة<sup>(٣)</sup> . وهشام بن محمد المعروف بابن الصحفي ، وهو احد علماء اللغة في العصر التالي<sup>(٤)</sup> ، قرأ على صاعد كتاب اصلاح المنطوق ليعقوب ابن السكيت<sup>(٥)</sup> ، وكان صاعد يرويه عن شيخه : السيرافي والفارسي . كذلك كان صاعد قد قرأ كتاب العداخل في اللغة من تأليف العطرز على الوزير ابن خنزابة بمصر ، فلما عهد الصحفي الى ابن خشخاش بأن يدرس هذا الكتاب لحفيده ابي بكر طلب الى صاعد ان يحضر تلك الدروس<sup>(٦)</sup> .

- 
- (١) الصلة : ٢٣٣ ، فهرسة ابن خير ٣٢٦ .  
 (٢) لا يزال الجانب الادبي لدى صاعد وما أثاره في الاندلس من معارشات شعرية ، وكذلك فترة اقامته في صقلية بحاجة الى دراسة . ولكن هذه الدراسة للجانب اللغوي عنده لا تتسع لكل ذلك . كما ان الحكم الدقيق على كتاب الفصوص وقيمتها من الناحية اللغوية غير ميسر لي . فهناك نسخة خطية صحيحة محفوظة بخزانة جامع القرويين لم يتيسر لي الاطلاع عليها .  
 (٣) جذوة العقبس : ٢٦٩ .  
 (٤) الصلة : ٦١٣ .  
 (٥) فهرسة ابن خير : ٣٣١ .  
 (٦) المصدر نفسه : ٣٥٨ - ٣٥٩ .

ولم يكن تشجيع المنصور للعلوم عامة وللغة خاصة قاصرا على حفاظه بصاعد وتمكينه من التدريس في الزاهرة بل كان يقرب اليه العلماء والادباء وكان له مجلس معروف في الاسبوع يجمع فيه أهل العلوم كلما كان مقيما بقرطبة ، اذ كانت غزواته المتكررة كثيرا ما تبعده عنها (١) . ولعل المجلس الذي ضم الزهيدى والعاصمي وابن العريف وصاعدا وغيرهم ممن لم ترد اسماؤهم انما كانت نموذجا لهذه المجالس العلمية . كذلك حاول ان يتفوق على الحكم في اقتناء الكتب وفي تصحيح نصوصها واقتناء الأصول الدقيقة منها . فاهتم ابنه عبد الله اهتماما خاصا اثناء رحلته المشرق بتصحيح ومقابلة نصوص الكتب التي يدرسها او يحصل عليها (٢) . واتخذ لمكتبته قيعا للتدقيق والضبط فكان محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوى من أهل قرطبة هو المسئول عن تصحيح ومقابلة كتب المنصور وكتب ابنه ، وهو الذى اسس لهما مكتبتهما واستعان بما فيهما من كتب في تأليف كتابه الذى وضعه عن تاريخ بني عامر (٣) . وكان هذا الرجل كما وصفه ابن البار " من أعلم الناس بالكتب وعللها وألهمهم بجمعها وافرأهم لخطوطها وأنسبهم لها السى وراقها " (٤) .

## ٢ - العوامل التقليدية :

تلك هي العوامل البارزة التي ساعدت على النهضة اللغوية من تنظيم للمكتبات ، وتوجيه في التأليف ، وتدقيق فيما يقتنى من أصول ، واکرام للعلماء وحفز لهمهم على العمل واغرائهم بالقدوم الى الاندلس ، حتى كان هذا كله كأنما

(١) انظر الصلة : ٧٣ .

(٢) مقالة بيبيرا مجلد ٥ : ٧٣ ، نقلا عن نفع الطيب .

(٣) مقالة بيبيرا ٥ : ٧٤ ، نقلا عن التكملة : ٣٨٤ .

(٤) التكملة : ٣٨٤ .

يخضع لسياسة ثقافية مرسومة مخططة . ولكن العوامل التي شاهدناها في العصر الماضي ظلت أيضا تعمل عليها الى جانب العوامل الجديدة : ظلت الرحلة الى المشرق والرواية عن الشيوخ والعودة بالكتب المروية ، وظلت حلقات المؤيدين والمدرسين في المساجد ، من القوى الدافعة في تطوير النشاط اللغوي .

(١) فمن أشهر الراحلين الى المشرق في هذه الفترة ابو عبد الله محمد بن يحيى ابن عبد السلام الرهاحي ( - ٣٥٨ / ٩٦٩ ) الجباني الاصل (١) وقد " لقي في رحلته ابا جعفر بن النحاس فحمل عنه كتاب سيبويه رواية " (٢) . ولما عاد الى قرطبة عمل فيها مؤدبا جاهلا من داره ملتمق للطلبة . وبعد الرهاحي حلقة الوصل بين النوع القديم من المؤيدين والاساتذة الاعلام أمثال القالي والزبيدي وابن القوطية . فقد رفع مستوى التأديب واهتم بالنحو ودقائق العربية اهتماما خاصا مقتبعا طرق أهل المشرق في هذه الناحية ، وجمع في شخصه بين المؤدب العام والخاص فكان في الحالة الاولى يلتقي بالطلبة من كل صنف في داره ، ثم اتخذ من بني حدير رعاة له ، وأخذ يعمل عندهم فيؤخذ عنه كتاب سيبويه ويعقد كل جمعة مجلسا للمناظرة في هذا الكتاب . وقد وصفه تلميذه الزبيدي فقال : " وكان حاذقا بعلم العربية دقيق النظر فيها لطيف المسلك في معانيها غاية في الابداع والاستبطاط " (٣) . وانما تميز الرهاحي فيما نصب نفسه له لانه اطلع على طرائف أهل الكلام ، وحذق أصول المناظرة ، وتمرس باصوال القياس ، وكان يتخير الأمور الدقيقة ويغوص في طلبها . ولعل تدريسه لكتاب سيبويه عن طريق المناظرة قد فتح مجالا لنوع جديد من التأديب لم يعهده الاندلسيون قبله ،

(١) راجع ترجمة الرهاحي في : طبقات الزبيدي : ٣٣٥ - ٣٤٠ .

(٢) طبقات الزبيدي : ٣٣٦ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٣٥ - ٣٣٦ .

ذلك لان الاندلسيين ظلوا بعيدين عن أصول المناظرة الا في اليسير حتى ظهر ابن حزم .  
لكل هذا نعدّ الرباعي معلما هاما في تاريخ اللغة والنحو بالاندلس، ونرى فيه صورة  
الحوار السقراطي الذي حفز أمثال الزبيدي وغيره الى ما بلغوه من اتساع في الافق ودقة  
في التأليف .

ومن هؤلاء الراحلين أيضا عبد السلام بن السمع الهواري ( - ٣٨٧ / ٩٧ )<sup>(١)</sup>  
وقد سمع بمصر من ابي جعفر بن النحاس و ابي علي الآمد اللغوي، وعاد الى الزهراء  
يدرس كتاب الابيات لسيبويه تأليف ابن النحاس وكتاب الكافي في النحو وغيرهما . ومنهم  
محمد بن مفسح<sup>(٢)</sup> ( - ٣٧١ / ٩٨٢ ) الذي لقي أيضا ابا جعفر بن النحاس وروى عنه  
تأليفه في اعراب القرآن وفي المعاني والناسخ والمنسوخ وغير ذلك وكان أول من ادخل هذه  
الكتب الى الاندلس . ومنهم أحمد بن عبد الله بن الباجي<sup>(٣)</sup> ( - ٣٩٦ / ١٠٠٦ )، لقي  
كثيرا من الشيوخ في المشرق ولما عاد استوطن اشيلية . وكان يحفظ غريب الحديث  
لابي عبيد وابن قتيبة . ومنهم محمد بن ابي علاقة البواب القرطبي<sup>(٤)</sup> ( - ٣٢٥ / ٩٣٧ )،  
اخذ عن الزجاج وابن الانباري و ابي الحسن الاخفش ونفطويه ، وسمع من الاخفش كتاب  
الكامل للمبرد .

وتدل اسماء الكتب التي قرأها هؤلاء الراحلون والعلماء الذين التقوا بهم ان  
الثقافة اللغوية النحوية بالاندلس كانت دائما تتغذى بما يجد في المشرق من اتجاهات  
ومؤلفات . ولو شئت ان استرسل في عدّ هؤلاء الراحلين لذكرت كثيرا من أسماء هؤلاء  
العلماء ، ولكني أنحو منحى التمثيل . وهذا لن يفوت علي ملحظا أدركته حين كلولت  
حاولت

(١) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي ١ : ٣٣٢ .

(٢) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٨٤ .

(٣) الصلة ١٦ - ١٧ .

(٤) التكملة : ٣٦٢ .

أن احصر تراجم اللغويين الذين وردت اسماؤهم لدى ابن الفرضي وابن بشكوال وابن  
البار، وذلك اني وجدت ان اللغويين الاندلسيين الذين رحلوا في هذه الفترة كانوا  
أقل بكثير من الذين عملوا في الحقل اللغوي دون ان يبارحوا الاندلس . وقد عدت من  
غير الراحلين سبعة واربعين عالما يقابلهم من الراحلين اثنا عشر . واذا دلت هذه  
النسبة على شيء (مع الاذن فيها لبعض السهو والخطأ) فانما تدل على أن الاندلس  
قد اصبحت قادوة على ان تخرج اعلاما في اللغة والنحو دونما حاجة كبيرة الى الأخذ  
عن الشيوخ في المشرق، بل ان اكبر عالمين اندلسيين من علماء اللغة، وهما الزبيدي  
وابن القوطية، لم يكونا من الراحلين في طلب العلم . ولعل ورود القالي الى الاندلس  
قد ساعد في استغناء الطلاب عن الرحلة لأن الاندلسيين رأوا في القالي خلاصة  
العلم اللغوي المشرقي، هذا اذا لم نحسب حساب الظروف السياسية كمشاة الدولة  
الفاطمية في المغرب ومصر، وامتداد سلطتها على البر الافريقي والبحر واعتبار ذلك  
من العوامل التي تحول، بعض الشيء، دون المغامرة بالارتحال .

(ب) وظل مؤدب العامة يمثل دوره الذي كان له في العصر السابق، ولكن ربما  
كانت هناك عوامل خاصة، لعلها كامنة في طبيعة الاوضاع الاقتصادية، جعلت الحرص  
على تأديب أولاد الخاصة أظهر في هذا العصر، ويستوى في القيام بهذه المهمة  
عالم بارع مشهور مثل الزبيدي الذي انتدبه المستنصر لتأديب ابنه الحكم، مع سائر  
المتكسبين عن هذه الطريق، أمثال : محمد بن خطاب النحوي الأزدي الذي كان  
يختلف اليه في علم العربية أولاد الاكابر وذوى الجلالة<sup>(١)</sup> ويشار الأعمى الذي  
اشترك في مناظرة صاعد، وأدب أبا جعفر بن عباس الوزير بالمريّة<sup>(٢)</sup>، وحسين بن

(١) جذوة المقتبس : ٥٠ .

(٢) التكملة : ٢٣٠ .

نصر ابن العريف الذي استأدبه المنصور لبنيه وقربه من صحبته (١)، وابن ابي الحباب النحوى معلم المظفر عبد الملك بن المنصور العامرى (٢)، وغيرهم . اذ ان هؤلاء السى جانب الحظوة الخاصة التي كانوا ينالونها في تأديب أولاد الاعيان ، كانوا يجدون رزقا مكفولا ميسرا، وهو رزق يتضمن - أحيانا - ثلاثة أمور : الراتب والحمان (أى ما يحمل الى المؤدب من هدايا ) والعلوفة (٣).

### ٣ - المظاهر الكبرى

#### أ - ظهور الدارس اللغوى المتخصص

وفي سبيل أن تتصور المدى الذى بلغته ثقافة الطالب اللغوى من الاتساع نتخذ ابن سيّد مثلا على المثقف اللغوى حينئذ الذى مكنته ثقافته من ان يصبح عالما مؤلفا (٤)، فنجد انه قد قرأ الكتب الآتية على استاذة القالي : قرأ كتب القالي نفسه ، مثل : كتاب النوادر وزيده ، وكتاب البارع ، وقرأ الغريب المصنف لأبي عبيد ، والالفاظ ليعقوب بن السكيت ، واصلاح المنطق له ، وأدب الكتاب لابن قتيبة ، واختيار فصيح الكلام لشعرب ، ولحن العامة للسجستاني ، والتذكير والتأنيث لابن الانبارى، والجمهرة في اللغة لابن دويد ، والمعصور والممدود لابن الانبارى ، وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب الفرق وكتاب الحشرات وكتاب الوحوش وكتاب الطير لابي حاتم ، وكتاب المثلث لقطرب ، وكتاب الملاحن لابن دويد وكتاب معاني الشعر وكتاب الانواء له أيضا،

(١) تاريخ ابن الفري : ١ : ١٣٥ .

(٢) الصلة : ٢٥ .

(٣) انظر المعقبس الورقة : ٤٣ عند الحديث عن تعيين أحمد بن محمد بن يوسف مؤدبا للامير هشام ابن الحكم المستنصر .

(٤) ترجمة ابن سيدي : بغية الملتبس : ١٥٩ ، الصلة : ١٤ ، بغية الوعاة : ١٢٦ ، معجم الادباء ٢ : ٢٠٣ ، كشف الظنون : ١١٢١ ، روضات الجنات : ٦٥ .

وكتاب نوادر ابي زيد الانصاري وكتبه الاخرى مثل الهمز والمصادر واللغات والمقتضب والامثال والشجر والنبات الخ ٠٠ ، وكتاب اطرفش في اللغة لفظويه ، وكتب الاصمعي مثل كتاب الابل وكتاب الشاء وكتاب خلق الفرس وكتاب لحن العامة وكتاب خلق الانسان وغيرها ، وكتاب الاجناس لغلام الأصمعي ، وكتاب الفرق لثابت بن ابي ثابت وكتب ابن السكيت المختلفة وكتب ابي عبيدة وكتاب الاضداد للتوزي (١) وغير ذلك من الكتب . ولولا ان ابن خير روى هذه الكتب عن طويق ابن سيد لما استطعنا ان نتصور مبلغ ما كان يحصله دارس اللغة يومئذ . ولعل هناك كتب اخرى لم يروها ابن خير ، ولذلك فان اسماءها لم ترد في هذا الثبت .

وهذه حقيقة توميء الى ظهور الدارس المتخصص في اللغة الذي قد يطلب علوما اخرى ولكن اللغة تصبح هي ميدانه المفضل ، وقد أصبحت الكتب التي يدرسها ، بعد اتساع نطاق التأليف في المشرق وكثرة الكتب التي جاء بها القالي ، لا تحدد بكتاب أو كتابين أو بضعة كتب كما كان الحال في العصر السابق . وبالمقارنة بين العصورين نرى أن المشتغلين بالحديث - في الاكثر - ابان القرن الثالث هم الذين تولوا تدريس اللغة أو التأليف فيها ، مثل : قاسم بن أصبغ والخشني ، فكانت اللغة فرعا من الثقافة الدينية لديهم ، أما في القرن الرابع فقد وضحت خطوط الاتجاه اللغوي وضوحا ساطعا وأصبحنا نستطيع أن نشير من بين المؤيدين والمدرسين الى طبقة من العلماء المختصين (٢) . وهذا كله نجم عن الظروف التي خلقتها تلك العوامل

(١) انظر صفحات متفرقة من فهرسة ابن خير .  
 (٢) ليس من قبيل التفكير أن نلاحظ أن ثلاثة من هؤلاء المختصين شغل كل منهم منصب "صاحب الشرطة" في قرطبة وهم الزبيدي وابنا سيد ، ونحن اليوم لا نستطيع أن نربط بين طبيعة التخصص اللغوي وهذا المنصب ، ولكن احتلالهم له قد يشير الى خصائص فارقة في الشخصية لا في الاتجاه الثقافي .

المذكورة في صدر هذا الفصل، مضافا اليها تلك الرفعة الخاصة التي حفزها رجل قذ  
 مثل الرهاحي في مطلع هذا القرن، ثم زادت انتقادا وتوهجا تلك الهالة من المجد  
 اللغوي المحفوف برعاية الدولة، المتمثلة في شخص القالي . ومن حسن المصادفات  
 أن كان القالي بكل ما يتميز به من علم وخلق هو الذي وقعت عليه مسؤولية هذه <sup>اليقظة</sup> ~~اليقظة~~  
 اللغوية في الاندلس، فقد أثبتت الأيام من بعد أن ليس كل مهاجر يحظى برعاية الدولة  
 يستطيع أن يبلغ شأو القالي في هذا الميدان . نعم كانت البذرة الطيبة التي  
 ألقتها الرهاحي في حقل اللغة قد أعطت ثمرتها قبيل قدوم القالي في شخص الزبيدي  
 وابن القوطية ولكن القالي قد كفل التطور والاستمرار والتوسع لهذا الذي وضع  
 الرهاحي أصوله .

والى جانب هذا التيار الثقافي التخصصي ظلت اللغة تدرس باعتبارها فرعا  
 مكملا مساندا لغيرها من العلوم الاسلامية كاللغة والحديث والقراءات وما أشبهه ، بل لعلمه  
 ليس من المستغرب يومئذ أن نجد عددا كبيرا من ذوى الاتجاه الطبي والهندسي  
 والعددي من أحسنوا الاضطلاع بالثقافة اللغوية ووصفتهم المصادر بالامامة فيها . وقد  
 يكون من المفيد أن نقارن بين نوع الثقافة اللغوية التي حصلها دارس متخصص مثل  
 ابن سيّد وبين ثقافة عالم آخر مثل ابن الفرضي ، خصص فترة من حياته لدراسة اللغة  
 دون أن يباح اتجاهه الكبير وهو علم الحديث . فمن بين الكتب ذات الطابع  
 اللغوي التي يعدها ابن الفرضي بين ما درسه : نوادر علي بن عبد العزيز وكتاب  
 الأبيات لسبويه تأليف ابن النحاس وكتاب الكافي في النحو ، قرأ هذه على عبد السلام  
 ابن السمح الهواري (١) وقرأ على ابن القوطية كتاب الكامل للمبرد (٢) وقرأ على مجاهد

(١) تاريخ ابن الفرضي ١ : ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ٢ : ٧٩ .



ابن أصبغ كتاب شرح غريب العوطاً لابن حبيب في جملة كتب أخرى في غير موضوع اللغة (١) ، وقد يكون ابن الفرضي قرأ في اللغة كتباً أخرى لم يجد مناسبة لذكرها ، ولكن علم اللغة بقي لديه علماً فرعياً .

### ب - المناظرات اللغوية :

ومن كل هذا يمكن ان نخلص الى انه رغم قلة الرحلة في طلب اللغة بالنسبة للعصر السابق ، فقد تميز هذا العصر في الميدان اللغوي بسمات فارقة ، منها : اتساع نطاق الدراسات اللغوية واتساع ثقافة الدارس اللغوي وتحصيله ، وبرز دور المؤدب لأولاد الخاصة ، وظهور العالم اللغوي الاندلسي الذي يقف على مستوى أكابر علماء المشرق . وقد ظهر مجال جديد للنشاط اللغوي الى جانب حركة التدريس والتأديب عامة .

وتلك هي مجالس المناظرات اللغوية ، وهي مجال جديد لم يتيسر ظهوره في القرن الثالث ، كمنظرة لغوية تمت بين الزبيدي والحاجب المصحفي في مجلس الحكم المستنصر (عام ٣٦٢ / ٩٧٣) (٢) وهي بالمناقشة العلمية أشبه . ولعل أكثر المناظرات انما تتم في الدور العامري بتشجيع المنصور نفسه . والاخبار التي وصلتنا تتصل بصاعد نفسه في مجلس المنصور ، وقد مرّ بنا مثال لها ، وأذكر أيضاً من أمثلتها منظر قائم بين فاتن الحكيم الخادم المعروف بالصغير والخازن وبين صاعد ، كانت الخلبة فيها لفاتن . وهو رجل صقلي أقر له بكر الزبيدي نفسه بالبصر في علم اللسان واللغة وكان ضابطاً لكتب اللغة قائماً عليها ، راجح العقل واسع المعرفة فصيح اللهجة ، ولما مات (٣٩٩ / ١٠٠٩) بيعت في تركته كتب مضبوطة جليلة

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ١٤٨ .

(٢) المقتبس : الورقة : ٨٠ ، وانظر ترجمة الزبيدي في مايلي من هذه الرسالة .

مصححة (١). وليس لنا أن ننسى أن الرباعي هو فاتح باب المناظرة في كتاب سيبويه - كل أسبوع - وفي غيره من شئون العلم ، لا يقتصر في مناظرته على اللغة وحدها بل يناظر أهل الفقه وغيرهم .

ولا يفوتني هنا أن أشير الى انه قل ان حظي كتاب علمي بمثل ما حظي به كتاب سيبويه من اهتمام ودراسة ، فقد مر بنا كيف ان ابن السمع عمل على ابياته كتابا خاصا وكيف ان الرباعي حمله رواية عن ابي جعفر النحاس ، وكان يناظر فيه . وكان ابن وليد النحوى يختمه في كل خمسة عشر يوما (٢) . وألف فيه ابونصر هارون بن موسى النحوى كتابا سماه " عيون كتاب سيبويه " (٣) . فلم يكن كتاب سيبويه في الاندلس معتمد الدارسين والمتناظرين فحسب ، بل كان محورا لمؤلفات كثيرة في هذا العصر ، وفي ما يليه من عصور .

### ج - تنوع حركة التأليف واتساعها :

تنوعت حركة التأليف واتسع مداها واشتملت على منجزات كبيرة ظلت دائما صورة من صور الاسهام القيم الذى يحتل مكانته في تاريخ اللغة العربية عامة ، لا في الاندلس وحدها .

وها هو ثبت بهذه المؤلفات ، يبين نواحي النشاط التي اشتعل عليها هذا

(١) انظر ترجمته في الذيل والتكملة ٥ : ٥٢٦ ، وراجع الذخيرة ١/٤ : ٢٢ ، ونفح الطيب ٤ : ٨١ وقد جعل وفاته عام ٤٠٢ / ١٠١٢ ، واشترك فاتن وهو صقلي في مجال هذا النشاط اللغوى يجعلنا نستغني عن طرح السؤال الذى طرحناه في الفصل السابق أعني : مدى مشاركة غير العرب في النشاط اللغوى ، فقد كانت موجة التعريب في هذا العصر قد أصبحت عامة شاملة .

(٢) الصلة : ٢٥٣ .

(٣) فهرسة ابن خبير : ٣١١ .

الجانب الثقافي الكبير (١) :

الزبيدي :

- ١ - الابنية .
- ٢ - استدراك الغلط الواقع في كتاب العين .
- ٣ - الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين .
- ٤ - رسالة الانتصار للخليل فيما رد عليه من العين .
- ٥ - لحن العامة .
- ٦ - مختصر لحن العامة .
- ٧ - طبقات النحويين واللغويين .
- ٨ - مختصر كتاب العين .
- ٩ - المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لابي علي البغدادي .
- ١٠ - الواضح في النحو .

القالي :

- ١ - البارع في اللغة .
- ٢ - المقصور والمدود .
- ٣ - النوادر والامالي .
- ٤ - ذيل النوادر .
- ٥ - فعلت وأفعلت .

(١) سأعود الى دراسة بعض هذه المؤلفات في جزء تال من هذا الفصل ، وانما أحاول هنا أن أعددتها لاستتج منها طوابعها العامة .

- ٦ - افعال من كذا .
- ٧ - الابل ونتاجها وجميع احوالها .
- ٨ - حلي الانسان والخيل وشياتها .
- ٩ - تفسير القوائد والمعلقات وتفسير اعرابها ومعانيها .

### ابن القوطية :

- ١ - الافعال .
- ٢ - شح صدر أدب الكتاب .
- ٣ - المقصور والمدود .

سميد المعافري (١) : (١٠١٠ / ٤٠٠)

- ١ - بسط لكتاب الافعال الذي ألفه ابن القوطية . (ومنه نسخة مصورة بالقاهرة ثاني ٢ : ٢٥٢ عن مخطوطة كوبرلي ١٥١٨ - ١٥١٩) .

عبد الملك بن طريف (٢) :

- ١ - له كتاب حسن في الافعال (٣) (تلميذ ابن القوطية) .

صاعد :

- ١ - الفصوص .

---

(١) الصلة : ٢٠٩ ، بروكلمان ٢ : ٢٨١ - ٢٨٢ .  
 (٢) المصدر نفسه : ٣٤٠ .  
 (٣) فهرسة ابن خبير : ٣٥٦ .

سعيد بن القزاز (١) :

- ١ - كتاب في الرد على صاعد البغدادي في مناكير كتابه في النوادر والغريب المسمى بالفصوص .

أبو القاسم بن العريف (٢) (٣٩٠ / ١٠٠٠)

- ١ - كتاب يشتمل على مسائل في النحو اعترض فيها علي ابي جعفر بن النحاس .  
٢ - رسالة في اعراب قولهم : ان الضارب الشاتم والده كان زيدا يستقضي فيها نحو ٥٨ قولاً . (ومنها نسخة خطية بالقاهرة ثاني ٢ : ١٢) .  
٣ - شرح الجمل للزجاجي . (ومنه نسخة خطية بالقاهرة اول ٤ : ٧٤ وثاني ٢ : ١٢٦) .

أحمد ابن اليعسم (٣) :

- ١ - له تأليف في اللغة وآراء ابن ابي ابراهيم ولكنه لم يذكر اسمه .

عبد الله بن حسين ابن الخريالي (٤) :

- ١ - ألف في الانواء كتاباً مفيداً .

ديبود (٥) (عبد الله بن سليمان المشهور بديبود)

- ١ - له كتاب في العربية .

- |                  |  |
|------------------|--|
| (١) الصلاة       | : ٢٠٤  |
| (٢) جذوة المقتبس | : ٣٨٣ ، بروكلمان ٢ : ٢٨١ ، ٢ : ١٧٣ (الترجمة العربية) |
| (٣) التكلية      | : ١٧   |
| (٤) المصدر نفسه  | : ٧٩١  |
| (٥) المصدر نفسه  | : ٧٧٨  |

محمد بن أبان بن سيد (١) :

- ١ - كتاب العالم نحو مادة مجلد مرتب على الاجناس بدأ بالفلك وختم بالذرة .
  - ٢ - كتاب العالم والمعلم مبني على المسألة والجواب .
  - ٣ - شرح كتاب الاخفش .
- عبيد الله بن فرج الطوطاقي : ( ٣٢٤ - ٣٨٦ / ٩٣٦ - ٩٩٦ )
- ١ - كتاب اختلاف لغات العرب .

فهذه ستة وثلاثون مؤلفا تمثل اتجاهات مختلفة في النحو واللغة معا .

منها : أ - الاتجاه المعجمي ، الذي يمثل ما دار حول العين من مؤلفات وردود واستدراكات ، ثم الجارح وما دار حوله ، وكتاب العالم الذي يشبه ان يكون معجما حسب الموضوعات . ب - كتاب واحد في لحن العوام ، وهو لاحق من بعض نواحيه بالتأليف المعجمي . ج - كتاب واحد في الانواء وهو أيضا لاحق بالتأليف المعجمي . د - كتب النوادر والامالي ، وما اثار من ردود عليها . هـ - كتب الافعال ، وهي تشمل الاتجاه الرئيسي لدى ابن القوطية وتلامذته . و - البحث في المقصور والممدود ، وهي تنممة لما بدأه ابن ولاد بعصر . ز - دراسات نحوية وشرح على بعض كتب النحو . ح - كتاب واحد في تراجم علماء النحو واللغة ، وهو ذو صلة جانبية بالدراسات اللغوية . واذا تأملنا هذه الاتجاهات وجدنا الاتجاه المعجمي أغلب عليها كما وجدنا هذا الاهتمام بالاستدراك والشرح والاختصار لبعض الكتب المشرقية . وكل هذه الاتجاهات تبين الى أي حد كان التأليف في الاندلس في هذا العصر اما متأثرا بالتأليف اللغوي في المشرق ناسجا على منواله ، او مستشارا به

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٦٦ ؛ جذوة المقتبس : ٣٨١ ، الصلة ، ١٤ .

على نحو من استكمال النقص فيه او التلخيص له أو الردّ على بعض ما جاء فيه . ولكن هذا لن يجعلنا نقل من قيمة هذا الاسهام الاندلسي بأى حال ، فان التأليف في هذه الناحية سواء أكان في المشرق او المغرب كان بناء على أسس سابقة . فكتاب العين وجهرة ابن دويد يستثيران الى تأليف "البارع" وكتاب لحن العامة لابي حاتم السجستاني يحفز الزبيدي الى تأليف كتابه بهذا الاسم ، وكتاب فعلت وأفعلت انما أساسه كتاب بهذا الاسم نفسه للزجاج .

وإذا بحثنا عن العوامل الكامنة وراء هذا الاتجاه التألفي وجدناها تمثل :

- (١) الميل الى الاستقصاء : وبدافع من هذا الميل جاءت اكثر كتب القالي ، مثل البارع والمقصور والمدود ، وكتاب السماء والعالم لابن سيّد وكتاب الاستدراك على العين للزبيدي ، فكلها انما تمثل توسعا واستقصاء لما ألفه المشارقة في هذه الموضوعات اللغوية .
- (٢) الميل الى الاستطراف : وعن هذه الطريق تعلم اللغة أيضا ، وكتب النوادر مثل أمالي القالي والفصوص لصاعد ، انما هي مستطرافات من الاشعار والابخار لا يهتم مدى الصحة في نسبتها بمقدار ما هي مجال لتقريب الفوائد اللغوية عن طريق الخبر الطريف أو النادرة الطريفة .

- (٣) الميل الى المحاكاة : فكثير من كتب الاندلسيين انما كانت محاكاة لكتب مشرقية . فاذا ألف أبو حاتم السجستاني كتابا في " لحن العوام " ، أخذ الزبيدي نفسه بتأليف في مثل هذا الموضوع يأتي فيه على لحن العامة بالاندلس . وهذه المحاكاة لا تبطل الأصالة ولا تنفيها .

- (٤) الميل الى تثقية اللغة بدافع من روح المحافظة عليها ، وهذا ما يمثله أيضا

كتاب مثل لحن العامة للزبيدي .

(٥) الميل الى الشرح والتبسيط خدمة للدارسين . فمن أجل الغاية التدريسية وضع الزبيدي الواضح في النحو، وشرح ابن القوطية صدر أدب الكتاب، وبسط المعافى كتاب أستاذه ابن القوطية في الأفعال<sup>(١)</sup>، وشرح ابن سيد كتاب الأخفش، ووضع كتابه العالم والمعلم على طريقة تعليمية خالصة هي المسألة والجواب .

(٦) تصحيح الخطأ أو ما يظن أنه خطأ، وهذا يشمل كتب الردود، وهي توجي بالتحدى مثلما تتضمن الميل الى المحافظة على سلامة اللغة وصحتها وصحة الاستنتاجات النحوية . ومن ذلك افتراضات ابن العريف على ابن النحاس في مسائل من النحو، ورد القزاز على القواعد، وانتصار الزبيدي على من انتقد كتابه " مختصر العين " .

وغني عن القول ان الكتاب الواحد يقف وراءه غير عامل واحد من هذه العوامل في بعض الأحيان، وفي كل هذه العوامل غاية علمية تزيد أو تنقص بمقدار حظها من الطاقة الموضوعية، وتتباين هذه الكتب من حيث الاصاله حسب المجال نفسه وقدرة المؤلف واخلاصه للغاية العلمية .

#### ٤ - انصاف الاندلس في الميدان اللغوي :

بعد كل هذه الصورة الغنية في حقل التأليف يستغرب الدارس

كيف تصدر في أواخر هذا القرن أو في مطلع التالي رسالة عن ابن الريب القروي<sup>(١)</sup> (أى القيرواني) تعدد حكما جائرا على التأليف عامة في الاندلس وعلى هذا النشاط اللغوي

(١) الصلة : ٢٠٩ .



خاصة . فقد كتب ابن الربيب هذا رسالة الى أبي المغيرة ابن حزم (ابن عم الفقيه أبي محمد) يقول فيها : "وعلمائكم - مع استظهارهم للعلوم - كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزحج ، يخاف ان صنف ان يعنف ، وان ألف أن يخالف ولا يوالف . . . فاذا اخترتم منيته دفن معه أبوه وعلمه فمات ذكره وانقطع خبره" (١). وهذا اتهام بأن الاندلسيين لا يؤلفون فكيف يمكن أن يصدر هذا الاتهام عن رجل قوب نسيا من الاندلس ؟ أكانت الكتب الاندلسية لا تهاجر ؟ أكان هذا جهلا من ابن الربيب نفسه . انه ليقول قاطعا على صاحبه طريق الجواب : " فان قلت انه كان مثل ذلك من علمائنا وألفوا كتبها لكنها لم تصل الينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحة وراكب أو رحلة قارب ، لو نفث من بلدكم مصدر لأسمع من ببلدنا في القبور فضلا عن في الدور والقصور" (٢) ألم تخرج مؤلفات الزبيدي والقالي وابن القوطية وابن سيد وغيرهم - دع عنك تلك الكتب الكثيرة التي ألفت في موضوعات أخرى - خارج حدود الاندلس ؟ هذا أمر مستغرب حقا ورسالة ابن الربيب تبعث على الحيرة لانها تصور الاندلس في عزلة عما حولها رغم الهجرة الكثيرة المستمرة منها واليها .

ولما ردّ ابن حزم الفقيه على هذه الرسالة وجد تراثا كثيرا يستشهد به على رسوخ قدم الاندلس في ميدان التأليف ، ومن المفيد أن نقل هنا ما قاله في باب اللغة فانه يصور الجنبات البارزة في الصورة اللغوية لهذا العصر ، ويعطينا حكم عالم على ما بلغت الاندلس في تراثها اللغوي :

" ومنها في اللغة كتاب البارح الذي ألفه اسماعيل بن القاسم يحتوي على لغة

(١) نفع الطيب ٤ : ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١٥٣ .

العرب ، وكتابه في المقصور والممدود والمهموز لم يؤلف مثله في بابه ، وكتاب الافعال لمحمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبيديين فلم يوضع في فنه مثله ، وكتاب (١) جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التبان في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا واكتارا وثقة نقل - وهو أظن في قيد الحياة - . . . ومنها كتاب أحمد بن أبان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب " العالم " نحو مائة سفر على الاجناس في غاية الايعاب ، بدأ بالفلك وختم بالذرة ، وكتاب النوادر لابي علي اسماعيل بن القاسم وهو كتاب مبار لكتاب الكامل لأبي العباس المبرد ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس اكثر نحا وخبرا فان كتاب أبي علي لاكثر لغة وشعرا ، وكتاب " الفصوص " لصاعد بن الحسن الرهبي وهو جار في مضمار الكتابيين المذكورين . ومن الأنحاء تفسير الحوفي لكتاب الكسائي حسن معناه ، وكتاب ابن سيده في ذلك المنبوز " بالعالم والمتعلم " وشرح له لكتاب الأقفش " (٢) .

(١) لاحظ ان ابن حزم لم يذكر اسم الكتاب فالظاهر أنه لم يطلع عليه ، ومن المستبعد أن يكون نسي اسمه لسوفعل ، وقد سماه ابن خير " تلقيح العين في اللغة " .

(٢) نفح الطيب ٤ : ١٦٥ - ١٦٦ .

## الفصل الثالث

### أئمة اللغة ومؤلفاتهم في هذا القرن

اولا - ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي \* النحوي اللخوي ( - ٣٢٩ / ١٨٩ ) ومؤلفاته :

ابو بكر هذا عربي الأصل يرجع الى يمن ، ونسبه الى زبيد ، وهي قبيلة كبيرة من يمن ، هاجر أهله الى الاندلس من حمص الشام ، واستوطنوا حمص الاندلس (١) ، اي اشبيلية ، ففيها على الأرجح كانت ولادته . اذ تتفق المصادر انه اشبيلي انتقل عن اشبيلية الى قرطبة (٢) . وقد ذكرت هذه المصادر انه عاش ثلاثا وستين سنة ومعنى هذا انه ولد حوالي ٣١٦ / ٩٢٨ ، وهذا غير معقول لأن هناك رواية أخرى تقول : " وكان الزبيدي اماما في الأدب ولكنه عرف فضل القالي فقال اليه وأقر له " (٣) ، ومن ولد سنة ٣١٦ / ٩٢٨ يكون عمره يوم وفاة القالي أقل من خمسة عشر عاما ، ولا يكون اماما في الادب . ولذا كان لزاما علينا ان نشك في أحد أمرين ، اولهما : تقدير عمره (أما سنة وفاته فانها صحيحة) ، وثانيهما : تلك الرواية التي تقول بامامته في الأدب يوم ورود القالي ، وأراني أميل الى الشك في الأول، وعلى هذا الاساس ابني نتائج دراستي لحياة الزبيدي .

\* ترجمته في : جذوة المقتبس : ٤٣ ، بغية الملتبس : ٥٦ ، تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٩٢ ، المغرب ١ : ٢٥٠ ، يتيمة الدهر ٢ : ٧١ ، وفيات الاعيان ٤ : ٧ ، انباء الرواة ٣ : ١٠٩ ، معجم الادياء ١٨ : ١٨٠ ، الوافي بالوفيات ٢ : ٣٥١ ، بغية الوعاة : ٣٤ ، روضات الجنات : ٦٨٦ ، بروكلمان ٢ : ٢٨٠ (الترجمة العربية) .

- (١) وفيات الاعيان ٤ : ٨ ، الوافي بالوفيات ٢ : ٣٥١
- (٢) وفيات الاعيان ٤ : ٩ ، انباء الرواة ٣ : ١٠٩
- (٣) جذوة المقتبس : ١٥٥ - ١٥٦ ، معجم الادياء ٧ : ٣٠

ولا ريب في انه طلب العلم أولا في بلده ثم ارتحل الى قرطبة فدرس فيها على قاسم بن أصبغ وعلى احمد بن سعيد بن حزم الصديقي ومحمد بن يحيى الرياحي . اما استاذه الرابع سعيد بن فحلون فهو بجاني ، ولا ندري ألقبه بقرطبة أم ببجانية ؟ وبعد ان درس على هؤلاء الائمة كثر راجعا الى بلده فأقام فيه حتى اخذ الحكم يتجه نحو استقدام العلماء من بلاد الاندلس الى قرطبة فكان الزيدي فيمن استدعاهم الحكم " لفضله والاستفادة منه " (١) . ومن المرجح ان يكون هذا الاستدعاء قد تم قبيل وصول القالي الى قرطبة عام ٣٣٠/٩٤٢ (٢) ، وأنه كان بين العلماء الذين استقبلوا ابا علي . وكان من الكتب التي رواها عن القالي كتاب النوادر والذيل وفعلت وأفعلت وكتاب الابل ولتاجها وجميع أحوالها وكتاب حلي الانسان والخيول وشياتها ، وكتاب مقاتل الفرسان وكتاب تفسير القصائد والمعلقات وتفسير اعرابها ، وكل ذلك من تأليف القالي . كما روى نوادر ابي زياد الكلابي وجزءا فيه الاضداد لشعرب والمفضليات وشعر اعشى بكر ومقصورة ابن دويد ، وهذه المرويات هي ما انحدر الى ابن خير عن طريق الزيدي ، ولكنني اعتقد ان ما حصله الزيدي اكثر بكثير منها ، وأنه لم يكن يقل في سعة اطلاعه اللغوي عن العدي الذي رسمته حين تحدثت عن احمد بن ابان بن سعيد (٣) . وقد تشبهت الحكم باستبقاء الزيدي في قرطبة حتى انه ذات مرة منعه من العودة الى اهله باشيلية (٤) حينما استأذنه في ذلك . ويبدو انه عوّل على الإقامة في قرطبة من بعد ٤ ولما كبر المؤيد هشام اضطلع الزيدي بتأديبه . وقد أضحى ابن حبان

(١) انباء الرواة ٣ : ١٠٦ .

(٢) هذا التقدير راجع الى الفرض الأول ، أما اذا قدرنا أن الزيدي كان صغير السن يوم قدوم القالي فمعنى ذلك أن صلته بقرطبة تمت في تاريخ متأخر كثيرا وأن ذلك لم يتم قبل عام ٣٥٠/٩٦٦ على وجه التقريب .

(٣) راجع صفحات متفرقة من ابن خير .

(٤) جذوة المقتبس : ٤٥ .

هذه الحادثة في المقتبس تحت عنوان " ذكر ادناء الزبيدي " فقال : وفي يوم الاحد  
للنصف من ذى القعدة منها ( اى ٣٦٢ / ٩٧٣ ) نفذ العهد الى محمد بن حسن  
الزبيدي ثم الاشبيلي النحوى بالتزام مدينة الزهراء لمجالسة الامير ابي الوليد هشام  
ابن امير المؤمنين ومفاتحته للنظر في المريضة وقد اعتدت لنزوله فيها الدار التي كان  
يسكنها صاحب الشرطة أحمد بن سعيد الجعفرى في حياة والده ، وأجريت الارزاق الواسعة  
عليه واستقبل في هذا اليوم بصلة سنية وخلعة فاخرة ، جزاء على الذى تولاه من اختطوه  
لكتاب العين للخليل بن أحمد ، واقامته على الترتيب والتضعيف اللذين حدهما له أمير  
المؤمنين فيها ، فارتضى صلته فيه عند تصفحه له وأجزل صلته وأدنى مكانه وأوصله الى  
نفسه يومه هذا ، ففاوضه في صلته الذى برع فيه ، واستثار له من غوامض فنونه ،  
وناظره بين يديه يومئذ الوزير الكاتب الأديب جعفر بن عثمان في غرائب من فنه فسي  
النحو واللفة والشعر ، فتباريا في الشأو وتسايقا في ميدان الاصابة ، فسرّ بهما فيسوم  
المعرفة . وانتظم اتصال الزبيدي من يومئذ بالخليفة الحكم وابنه هشام الامير ونال  
حظوة<sup>(١)</sup> . وقد تولى الزبيدي القضاء في قرطبة يقول ابن الفريسي : وولاه القضاء  
بموضعه ، يعني الخليفة الحكم ، ومعنى هذا أنه كان قاضيا في المحلة التي يقطن  
فيها ، ولذلك لا يرد اسمه بين القضاة المشهورين في عصر الحكم ، فلما توفي الحكم  
ولاه هشام الشرطة<sup>(٢)</sup> . وقد جعلته صلته بالدولة من أهل الثراء حتى انه " نال  
دنيا عريضة ، وحصل له نعمة ضخمة لمسهها بنوه من بعده زمانا "<sup>(٣)</sup> . ويبدو انه عاد  
في اواخر ايامه الى اشبيلية حيث توفي فيها سنة ٣٧٩ / ٩٨٩<sup>(٤)</sup> . وتختلف المصادر  
بين سنة ٣٧٩ و ٣٨٠ / ٩٩٠ في تاريخ وفاته .

\* ربما كانت التصيف .

(١) المقتبس : الورقة ٨٠ .

(٢) تاريخ ابن الفريسي ٢ : ٩٢ ، وفيات الاعيان ٤ : ٧ .

(٣) وفيات الاعيان ٤ : ٧ ، وانظر أيضا تاريخ ابن الفريسي ٢ : ٩٢ .

(٤) وفيات الاعيان ٨٢٤

وليس في المصادر أخبار نستمد منها احكاما على شخصية الزبيدي ولكن  
اضطلاله بالقضاء اولا ثم بولاية الشرطة ثانيا يدل على قدرته الادارية مثلما يدل  
على تضلعه في الشريعة . ولعل كتابه الذي الفه في الرد على ابن مسرة  
يدل على تمسكه بالسنة والمحافظة الدينية التي كانت تؤهله لذلك المنصب القضائي .  
اما غيرته على اللغة فشيء تشهد به مؤلفاته نفسها ، ودقته الصارمة في تعقب  
الاطعاء . واما علمه فقد كان العلم الغزير الذي اظنت المصادر في الثناء عليه  
حتى قيل فيه : " كان اوحده عصره في علم النحو وحفظ اللغة ، وكان أخبر  
اهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر ، الى علم السير والاخبار ، ولم يكن  
بالاندلس في فقه مثله في زمانه " وقد تردت هذه الرواية بلفظ او بأخر في  
الكتب التي ترجمت له (١) . ويدل تتلمذه للقالي وانتسابه اليه على تواضع علمي  
أصيل فيه والا فقد كان غيا بنفسه عن ان يطلب العلم مستأنفا يوم وصل القالي  
الى قرطبة .

وقد كان الزبيدي شاعرا يذهب في شعره ناحية حكيمية تعليمية أحيانا .  
وتغلب على بعض شعره معرفته اللغوية كقصيدته التي رثى فيها القالي ، فهي  
قصيدة " جزلة الالفاظ كثيرة الغريب صاغها صوغ فحول العرب ، وضمنها قطعة  
من غريب كلامهم " (٢) . وله مقطعات ضمنها بعض مشاعره الذاتية كتلك التي كتبها  
الى جاريته سلمى حين لم يأذن له المستنصر بالعودة الى اشبيلية ومطلعها (٣) :

ويحك يا سلم لا تراعي      لا بدّ للبين من زماع

- (١) راجع ثبت هذه الكتب في أول ترجمة الزبيدي .  
(٢) يتيمة الدهر ٢ : ٧١ ، ومطلع هذه القصيدة :  
تالله لا يبقى لصرف النوى      ذو جسد في رأس نيق منيف  
(٣) انظر جذوة العقبس : ٤٥ ، والمصادر الاخرى .

## مؤلفاته في النحو واللغة :

للزبيدي مؤلفات جمّة في النحو واللغة ، أجمل القول فيما لم يصلنا منها وما لم يتح لي ان اطلع عليه ، ثم اعود الى دراسة ثلاثة من كتبه الهامة .  
 ١- كتاب مختصر العين<sup>(١)</sup> ، رواه عنه اسماعيل والد اللغوي المشهور ابن سيده ، وابو بكر عمادة بن ماء السماء الشاعر ، وعن طريقهما انحدرت روايته الى ابن خبير<sup>(٢)</sup> .  
 وقال فيه الفتح : " وله اختصار العين للخليل وهو معدوم النظير والمثيل"<sup>(٣)</sup> . وكان هذا الكتاب من الكتب التي يتنافس فيها أهل المغرب لانه " اتعمه باختصاره وزاد فيه ما عساه كان مفتقرا اليه"<sup>(٤)</sup> . وهو كتاب ألفه للحكم المستنصر ونال اعجاباه .

وجاء في المزهر : " قال أبو الحسن الشاربي في فهرسته : كان شيخنا ابو نر يقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة : مختصر العين للزبيدي ومختصر الزاهر للزجاجي ومختصر سيرة ابن اسحاق لابن هشام ومختصر الواضحة للفضل ابن سلمة . قال الشاربي : وقد لهج الناس كثيرا بمختصر العين للزبيدي فاستعملوه وفضلوه على كتاب العين لكونه حذف ما أورده مؤلف كتاب العين من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلة وفضلوه أيضا على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة ، مثل جمهرة ابن دريد . . . . . ومذهبي ومذهب شيخي أبي نر الخشني وأبي الحسن بن خروف أن الزبيدي أخلّ بكتاب العين كثيرا لحذفه شواهد القرآن والحديث

(١) من هذا الكتاب نسخة في مجلد واحد في الرق بخزانة القرويين بفاس ١٢٤٦ - ١٢٤٧ مجلة معهد المخطوطات ٥ : ١٥ ) ونسخ في القاهرة ( ٣٨٦ ، ٤٠٦ ، ٥٩٧ لغة ) ونسخة بمكتبة فيض الله رقم : ٢٠٩٨ ، ونسخة في برلين ٦٩٥٠ - ٥٢ ، ونسخة في باريس ٥٣٤٧ ، ومدريد ثالث : ٤٩ ، وكوبنلي : ١٥٧٤ ، ( انظر بروكلمان ٢ : ١٣٣ )

(٢) فهرسة ابن خبير : ٣٥٠ .

(٣) مطمح الانفس : ٥٤ ، ونفع الطيب ٩ : ٢٥٠ .

(٤) معجم الادباء : ١٨ : ١٨١ .

وصحيح أشعار العرب" (١).

ويمكن أن أجمل ما صنعه الزبيدي في هذا الكتاب بأنه حذف المواد المصحفة أو المشكوك فيها ، ووضع المادة في موضعها الصحيح ، وأثبت الاختلاف في اقوال اللغويين الآخرين الى جانب ما ورد في العين ، وحذف المصادر والأفعال المضارعة والابنية القياسية واختصر ما في العبارات التفسيرية من طول وبالرغم من أنه يضع مختصرا فقد زاد بعض الألفاظ والمواد التي لم يتضمنها الكتاب الاصيلي (٢).

٢- الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين (٣).

٣- المستدرک من الزيادة في كتاب البارج لأبي علي البغدادي على كتاب العين للخليل بن أحمد رواه عنه عبادة بن ماء السماء (٤).

٤- استدراك الخطأ الواقع في كتاب العين (٥) نقل منه السيوطي في الزهر، ومن أمثلة ما استدركه الزبيدي من الألفاظ المصحفة : باب همع ، الهميع : الموت فصحفه والصواب الهميع بالخير المعجمة . باب ققع ، الققاعي من الرجال : الاحمر ، وهو غلط ، والصواب ، فقاعي ، يقال : هو احمر فقاعي ، للذي يخالط حمرته بياض . باب عنك ، عرق عانك : اصفر : والصواب : عاتك (٦).

٥- الانتصار للخليل فيما رد عليه في العين . وقد نقل السيوطي في الزهر ما سماه مقدمة الاستدراك ، ولكن الزبيدي يشير في تلك المقدمة الى مهاجمة الناس له

- 
- (١) الزهر ١ ، ٤٤ .  
 (٢) عن المعجم العربي : ٢٨٤ - ٢٨٦ بايجاز .  
 (٣) لحن العوام : ٢٨ .  
 (٤) فهرسة ابن خير : ٣١١ .  
 (٥) فوات الوفيات ٤ : ٧ .  
 (٦) انظر الزهر ٢ : ١٩٣ - ١٩٦ .



فيما أخذ على الخليل فما أخرى أن تكون هذه المقدمة مقدمة للانتصار . وقد جاء فيها : " وصل إلينا - أيدك الله - كتابك تذكر فيه ما أولس به قوم من ضعفة أهل النظر من التحامل علينا والتسرع بالقول فينا بما نسبوه إلينا من الاعتراض على الخليل بن أحمد في كتابه والتخطئة له في كثير من فصوله ، وقلت انهم قد استمالوا جماعة من الحشوية الى مذهبهم وعدلوا بهم الى مقالتهن بما لبسوا به وشنعوا القول فيه ، وسألت ان احسم ما نجم من افكهم وارد ما ندر من غيب السننهم ببيان من القول مفصحا واحتجاج من النظر موضع . وقد كتبت ، ايدك الله ، في صحة تمييزك وعظيم النعمة عليك في نظرك ، جديرا ان لا تعرج على قوم هم بالحال التي ذكرت ، وأن يقع لهم العذر لديك بوجوه جملة منها : تخلفهم في النظر وقلة مطالعتهم للكتب وجهلهم بحدود الأدب ، مع ان العلة الموجبة لمقاتلتهم والباعثة لتسرعهم علة الحسد الذي لا يداوى سقمه ولا يوسى جرحه ، فقد قال الحكيم :

كل العداوات قد ترجى افاقتها الا عداوة من عاداك عن حسد

أوليس من العجب العجيب والنادر الغريب ان يتوهم علينا من به مسكة من نظر او رمق من فهم تخطئة الخليل في شيء من نظره والاعتراض عليه فيما دق او جل من مذهبه . الخ . (١) ويمضي الزبيدي فيبين أن ما وقع في العيين من خطأ لا يمكن أن يقع فيه الخليل ودلّ على مبلغ حذقه فيما رسم أو ألف قال : "ولو أن الطاعن علينا يتصفح صدر كتابنا المختصر من كتاب العيين لعلم أنا نزهنا الخليل عن نسبة المحال اليه ونقينا عنه من القول ما لا يليق به . . . وذلك أنا قلنا في صدر الكتاب : ونحن نرى بالخليل عن نسبة الخلل اليه أو التعرض للمقاومة له بل نقول ان الكتاب لا يصح له ولا يثبت عنه " ويوضح ذلك بأقوال لعلماء مشاركة في استبعاد نسبة الكتاب في

شكله الذي وصلنا الى الخليل وبالتفصيل في نسخه والاضطراب في روايته والاستشهاد بالمرزول من اشعار المحدثين وأن فيه رواية عن ناس لا يمكن أن يكون الخليل قد روى عنهم وأن جميع ما وقع فيه من معاني النحو انما هو مذهب الكوفيين والخليل بصرى، ثم ان في الكتاب تداخلا لا يعجز الخليل تثقيفه (١).

٦- الواضح في النحو (٢) : هكذا استمه اكثر المصادر وذكره صاحب المغرب باسم " الايضاح " وفي الوافي بالوفيات وبغية الوعاة وروضات <sup>الجنات</sup> الخليل أنه " الموضح " ، ورواه عنه ابو بكر عباد بن ماء السماء (٣) وقيل فيه " انه مفيد جدا " (٤) ، شرع في شرحه ابن وليد النحوى فبلغ منه نحو النصف وتوفي قبل اكتماله (٥).

٧- كتاب رسالة التقويظ، رواها عنه عباد بن ماء السماء (٦) . ولعلها هي رسالة الانتصار للخليل .

٨- كتاب طبقات النحويين واللغويين (٧).

ترجم فيه للنحويين واللغويين من عهد ابي الاسود حتى محمد بن يحيى اليرباعي (١٦٩ / ٣٥٨) وقد كان مصدرا لكثير من المؤلفين الاندلسيين والمشاركة مثل ابن الفريسي وياقوت والقاضي والسيوطي والمقريزي . وقد بين الزبيدي في مقدمة الكتاب انه ألفه بأمر من الحكم المستنصر . قال : " فألفت هذا الكتاب على الوجه

(١) المزهر : ٥٠ - ٥٣ .

(٢) من هذا الكتاب نسخة بالاسكوريال (انظر بروكلمان ٢ : ٢٨٠) ونسخة مصورة بدار الكتب عن نسخة المكتبة المتوكلية بجامعة صنعاء الكبير .

(٣) فهرسة ابن خير : ٣١١ .

(٤) وفيات الاعيان ٤ : ٧ .

(٥) الصلاة : ٢٥٣ .

(٦) فهرسة ابن خير : ٣٥١ .

(٧) طبع بمصر سنة ١٩٥٤ ، بتحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم .

الذي امرني به امير المؤمنين ، رحمه الله ، وأتمته على الشكل الذي حدّده ، وأمدني ، رضي الله عنه ، في ذلك بعنايته وعلمه ، وأوسعني من روايته وحفظه ، اذ هو البحر الذي لا تعبر اواذيه ولا تدرك سواحله ، لا ينزج غمره ولا تنضب مادته " (١) . وقوله في هذه العبارة ، رحمه الله ، يدل على ان الكتاب نجز تأليفه بعد سنة ١٧٧/٣٦٦ وكان المنهج الذي اتبعه الزهيدى في هذا الكتاب هو الترجمة لعلماء اللغة والنحو على حسب التسلسل الزمني ذاكرا مولد المترجم له وتاريخ وفاته ، وبتنظيم اخباره والحكايات المتضمنة لفخائله والمشتعلة على محاسنه . وقسم كتابه على طبقات ، فجعل النحويين البصريين في عشر طبقات ثم اورد بعدهم النحويين الكوفيين في ست طبقات ، حتى اذا انتهى منهم عاد فأفرد فصلا للنحويين البصريين وجعلهم في سبع طبقات ، وشفعهم بالكوفيين وجعلهم في خمس طبقات . ومنح بين النحويين واللغويين المصريين في فصل واحد وجعلهم في ثلاث طبقات . وجاء بعدهم بالنحويين واللغويين القرويين في أربع طبقات . وختم الكتاب بتراجم النحويين واللغويين الاندلسيين في ست طبقات . أما الأساس الطبقي في هذا التقسيم فهو الأساس الزمني ، وهي قسمة تقويمية . ولم يذكر الزهيدى مصادره التي اعتمدها في كتابه ، ولكن كثيرا من الاخبار تسند الى القالي رواية ، وعن ابن النازي ، احد الاندلسيين الراحلين الى المشرق . كما ان فيه روايات عن استاذة قاسم بن أصبغ ، وعن الرباعي . ولست أظن ان الزهيدى اكتفى بالروايات الشفوية وانما اعتمد على كتب في اخبار النحويين واللغويين ككتاب السيراني . على ان الكتاب يعد أصلا هاما في كتب التراجم ، ولا تظهر قيمته الا عند مقارنته بما ألف في مثل موضوعه . اما في تراجم اللغويين والنحويين الاندلسيين فيكاد يكون المصدر الوحيد حتى منتصف القرن الرابع .

(١) طبقات الزهيدى : ١٠ .

٩ - الاستدراك على سيبويه :

### أ - دواعي التأليف

نظر الزبيدي في المؤلفات النحوية الكثيرة ، فرأى أن الغثاظ فالبة عليها: في طريقة التأليف وفي شدة الاطالة وعدم التجديد والتكرار لموضوعات سابقة، فعبّر عن سخطه هذا بقوله : " فاني رأيت علماء النحو في زماننا هذا وما قاربه قد اكثروا التأليف فيه وأطالوا القول على معانيه فأملوا الناظرين واتعبوا الطالبين بتكرار معان قد بيّنت وركوب اساليب قد نهجت فلم يخلّ اكثرهم بخير اعادة ما تقدم اليه والتكثير فيما سبق الى القول عليه . وقد كان ينبغي لمن هم بذلك منهم ان يتصفح كتاب عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه فينظر الى مبادئ كتابه وعنوانات ابوابه ويرى لطائف معانيه ودقائق حجاجه الى الايجاز في قوله والايحاب لمراة فيزجره ذلك ان كان ذا حجي \* عن تكلف ما لا حاجة اليه ويمنعه الاعتناء بما لا معول عليه" (١). فالزبيدي اذن معجب اشدّ الاعجاب بكتاب سيبويه ينعي على الاخرين تأليفهم كتبها هي في حقيقتها تكرار ومسح لما قاله صاحب الكتاب من قبل .

غير ان هذا الاعجاب من قبل الزبيدي لم يمنعه من وزن كتاب سيبويه بميزان الحقيقة . فهو يعرف ماله وما عليه . ويبدو انه كان لفترة طويلة يصاحب الكتاب ويدرسه ويتدارسه فعرف من اموره ما لم يعرفه غيره ، او هكذا هو يزعم (٢) . ولعل اكثر ما جذب انتباه الزبيدي في الكتاب ما كان متعلقا بأبنية الاسماء والافعال : " وقد كت ايام مطالعتي هذا الكتاب كلفا بما تضمنه من ابنية الاسماء والافعال التي هي زمام الكلام والسور المضروب دونه والحد المنتهى اليه فاستخرجتها يومئذ مختصرة منه

(١) الاستدراك على سيبويه : ١ .

(٢) المصدر نفسه

ليقرب حفظها لمن آثر ان يقف على معرفة البناء العربي من الدخيل اما من مصنوع  
 فولط به او اعجمي اتحم فيه " (١). ولكثرة مطالعة الزبيدي لهذه الابواب استطاع  
 ان يكتشف، وهذا ما لم يستطعه غيره، كما يقول، نقضا كثيرا : " وكان جلّة المشايخ  
 من اهل النحو فيما روينا عنهم يزعمون ان ما ألفه سيبويه منها يستوفي جميع ابنية  
 الكلام ما خلا ثلاثة ابنية شذت عن جميعه ، فاستقصيت البحث عن ذلك وانعمت النظر  
 فيه فألفت نحو الثمانين بناء لم يذكرها سيبويه في ابيته ولا دلّ عليها احد من  
 النحويين من بعده " (٢). فكان هذا المنطلق الذي بدأ الزبيدي منه بالتفكير في سد  
 الثغرة التي خلفها سيبويه .

على كل حال ، لم يكن الدافع هذه العرة رغبة امير المؤمنين في المؤلفات  
 وتشجيعه لها ، كما كان الامر في كتابي الزبيدي الاخرين : لحن العوام ، وطبقات  
 النحويين واللغويين (٣). ربما كان زمن تأليف الكتاب سابقا لاتصال الزبيدي بالحكم  
 (او بعد وفاة الحكم) ، فقد عرفنا من سيرة حياة الزبيدي انه اتصل بال خليفة بعد ان  
 توطدت قدمه في دنيا العلم . فالزبيدي ، اذن ، يرجع كل الفضل في هذا المؤلف  
 لنفسه .

واعتقد ان الدافع الأول لاستدراك الابنية التي لم يذكرها سيبويه انما كان  
 اظهار العلم والادلال بالمعرفة . والحقيقة ان لهجة التعامل - وهي لهجة مستعربة  
 عن الزبيدي المتواضع - باذية تماما في الكتاب اجمع . وسوف نرى بعد قليل كيف  
 ان الزبيدي تتبع سيبويه مفندا كلامه متتبعها اخطاءه ، وكيف انه استقصى غاية الاستقصاء

(١) الاستدراك على سيبويه : ١

(٢) المصدر نفسه :

(٣) مقدمة الكتابين .

بحيث لم يترك شاردة ولا واردة • وكان حريصا على ذكر ما اورده سيبويه ثم اتبعه  
بما لم يذكره ، مما يشير الى رغبة المقابلة وابرار التقص •

### ب - منهج الكتاب :

جاء في مقدمة الكتاب : " •• فرأيت ان افرد في الابنية  
كتابا الخّصّ ذكرها فيه وأبدأ بما يجب ان يكون صدرا لها ومدخلا اليها مما يشاكلها  
وينتظم بها بل هو أصل لها وهي فرع منه مبنية عليه ، وذلك بان ابتدئ بذكر اقل  
أصول الاسماء والافعال والحروف واكثر أصولها غير مزيدة واتصى ما تنتهي اليه بالزيادة •  
ونذكر حروف الزيادة والبدل ، ثم نعقب من بعد بأبنية الاسماء والافعال على حسب ما  
ذكرها سيبويه بناء بناء ونعد ما نورد منها في كل باب حتى تأتي احاطة العدد على  
جميع ابنية الاسماء والافعال ••" (١) . ومن هذا النص يمكننا ان نقسم الكتاب الى  
مقدمة والى موضوعين رئيسيين • فالمقدمة هي التي تشمل الابواب التالية :

- ١ - باب ذكر اقل أصول الاسماء واكثر اصولها •
- ٢ - باب ذكر اقل أصول الافعال واكثر اصولها •
- ٣ - باب ذكر الحروف •
- ٤ - باب الحروف الزوائد وهي عشرة •
- ٥ - باب حروف البدل وهي اثني عشر حرفا •

وهذه الابواب دراسات تمهيدية وتعريفات للدخول من بعدها في صلب  
الموضوع وهو الابنية • وبطبيعة الحال لم يصنف الزبيدي كتابه هذا التصنيف ، وانما  
ادرج الابواب بصورة متتالية ودون ان يميز بين ما هو تمهيد وما هو أصيل •

(١) الاستدراك على سيبويه : ١ - ٢ •

واما البابان الرئيسان فانهما أيضا يتفرعان الى ابواب ثانوية، ويدخل أثناء ذلك أيضا ابواب فرعية . والبابان هما :

اولا - باب ذكر ابنية الاسماء

١- باب البناء الثلاثي غير المزيد

أ- نكر لحاق الزوائد في البناء الثلاثي :

- باب لحاق الههزة - باب لحاق الالف - باب لحاق الياء
- باب لحاق النون - باب لحاق التاء - باب لحاق الميم
- باب لحاق الواو .

ب- باب الزيادة من موضع التضعيف في العين واللام .

ج- باب الزيادة من موضع العين واللام اذا ضعفتا .

٢- باب البناء الرباعي غير المزيد

أ- باب لحاق الزوائد للرباعي

- باب لحاق الواو - باب لحاق الياء - باب لحاق الالف
- باب لحاق النون .

ب- باب التضعيف في الرباعي .

٣- باب ابنية الاسماء والصفات الخماسية .

أ- باب لحاق الزوائد بالخماسي .

ب- باب ما اعربت العرب من الاسماء الاعجمية .

ثانيا : نكر ابنية الافعال

١- باب لحاق الزوائد للفعل الثلاثي .

- ٢ - باب ما تسكن اوائله من الافعال العزيدة .
- ٣ - باب ما لحق من الافعال الثلاثية بالرابعة .
- ٤ - باب الافعال الرباعية .
- ٥ - باب لحاق الزوائد بالرابعي .

ومن هذا التبسيط لمواد الكتاب يلاحظ ان هناك بعض الاضطراب في المنهج . فباب " ما امرت العرب من الاسماء الاعجمية " لا يختص بأبنية الاسم الخماسي، ولكن الزبيدي الحق بهذا الباب . كما ان باب " ما تسكن اوائله من الافعال العزيدة " ، الحق بباب " لحاق الزوائد للفعل الثلاثي " . غير ان ذلك لا يعدّ طبعنا بالفارسي منهج الكتاب ؛ والواقع انه من المؤلفات ذات المنهج الواضح . وربما ساعد على ذلك الانتظام ، ضيق المجال وتقيّد المؤلف بناحية معينة من اللغة واتباعه لكتاب سيبويه في ردّه عليه .

بعد ذلك يعتمد الزبيدي الردّ على سيبويه في ناحيتين :

١ - تبيان تناقض سيبويه وغلطه في ما ذكر، ويشير الزبيدي الى ذلك قائلا : " وندلّ في خلال ذلك على ما اختلف فيه قوله وما نقض به أصله " (١). ومثل هذا التبع كثير، بل الواقع ان الهدف من الكتاب هو هذا الاستدراك على سيبويه ، مثاله : " ٠٠٠ وعلى فَعْلِيلِ فالاسم زنج وزئبر وحفرد والصفة دلقم وعنفس وخرمسل وزهلق ، قال ابو بكر : قد قال في باب زيادة الميم في الثلاثة ان دلقم فَعْلِمِ والميم زائدة وجعلها هاهنا اصلا على فَعْلِيلِ " (٢).

٢ - افراد فقرة تابعة خاصة لايراد ما لم يورده سيبويه من اصول الابنية . قال الزبيدي :

(١) الاستدراك على سيبويه : ٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٨ .



" ونذكر باشور كل باب منها ما اقله سيبويه من اصول الابنية فيه " (١). فبعد باب لحاق التاء يورد الزيادة التالية : " الزيادة ، قال ابوبكر قد جاء تَفَعَّلَ قالوا تَوَطَّوْط اسم لطائر ، فعدتها ثمانية عشر بناء ، للاسماء والصفات ثلاثة ابنية ولل اسم اثنا عشر بناء وللصفة ثلاثة ابنية " (٢). وتختلف الزيادة من باب الى آخر فأحيانا تطول (٣) وأحيانا تقصر (٤).

حتى اذا خلاص من ذلك كله عد الى تفسير الغريب . قال شارحا منهجه في هذه الناحية : " ثم نشرح بعد كل باب منه ما وقع فيه من غريب الابنية شرحا مختصرا كافيا ، وان كان اهل اللغة قد تحاموا شرحها وتقادوا من تفسير غريبها وشهدوا لسبويه بالتقدم في علم اللغة بما اثبت في كتابه منها حين ايقنوا انه لم يعن بنقلها الا بعد احاطته بعلمها وتفسير مشكل غريبها " (٥). فالزيدى يرى من واجبه ان يشرح ما هو عسير على الفهم . وربما ظهر التعالم ومحاولة التفوق على سيبويه في هذا الكلام ، اذ انه يغمز سيبويه ويتهمه بانه لم يكن يعرف تفسير الالفاظ الغريبة كلها . وهو لا يؤمن بكلام العلماء الاخرين الذين يثقون بسبويه ، فيقرر ان يفرد جزءا خاصا بالتفسير يلحقه بكل باب من ابواب كتابه . ولكن الزيدى يعترف بأنه لم يستطع ان يحيط بكل شيء صعب : " وقد ارجأنا منها شرح حروف يسيرة لم ينته اليها علمها فأتيننا بها في اواخر الابواب ولم نياس بعد من ادراكها عند استقصاء البحث عنها ان شاء الله تعالى " (٦).

وهذا التفسير التابع ، ليس قليل الشأن ، او ، اذا اردنا ان نكون دقيقين ،

- (١) الاستدراك على سيبويه : ٢ .
- (٢) المصدر نفسه : ٢٣ .
- (٣) زيادة باب لحاق النون ص ٢٢ ، زيادة باب لحاق الالف ص : ١٤ - ١٥ .
- (٤) زيادة باب ابنية الاسماء والصفات الخماسية ص : ٣٦ ، زيادة باب لحاق التاء ص : ٢٣ .
- (٥) الاستدراك على سيبويه : ٢ .
- (٦) المصدر نفسه

ليس قليل الحجم ، فهو كثيرا ما يفوق في حجمه المادة الاصلية والزيادة عليها  
مجتمعتين . ولعل السبب في ذلك ان المجال هاهنا يفتح امام الاخبار والاقوال  
والامثال وأشعار العرب : " والاسليح نبت من فاضل المرعى ، وتنافر الى ابنة الخس  
امراتان تمارتا في مرعى ابويهما . فقالت احدهما : اهل ابي ترعى الاسليح ، فقالت  
بنت الخس : رغبة وصريح وسنام اطويح " (١) . والزبيدي هاهنا يرد الروايات التي  
قائلها ولكنه لا يذكر ما اذا كانت مصادره شفوية ام مختارة من الكتب ، ولا يورد اسماء  
المؤلفات . فهو يقول : " قال النضر بن شميل " (٢) و " قال يعقوب " (٣) و " ذكر  
الاصمعي " (٤) .

ويكثر الشعراء التفسير ، ولكنه يذكره للاستشهاد به ، ولا تجره الفتحة  
الادبية الى ذكر مقطوعات بكاملها . بل انه كثيرا ما اكتفى بشرط من بيت حرصا على  
الايجاز .

ويمكننا ايجاز التقسيم داخل كل باب - ولفظة باب عنده مائة الدلالة فقد  
تعني ابنية الاسماء اجمع ، وقد تعني لحاق التاء في الثلاثي المزيد فقط - بما يلي :

١ - ما اورده سيبويه من الباب ، وازهار التناقض والخطأ احيانا .

٢ - الزيادة التي حققها الزبيدي لما فات سيبويه ذكره .

٣ - تفسير غريب الباب .

- 
- (١) الاستدراك على سيبويه : ٩ .  
(٢) المصدر نفسه  
(٣) المصدر نفسه  
(٤) المصدر نفسه

## ج - خصائص الكتاب :

يتميز هذا الكتاب بصفتين بارزتين اولاهما الاستقصاء وثانيتهما

وضوح شخصية المؤلف :

فأما الاستقصاء فقد تتبع ابوبكر الزبيدي سيبويه تتبعاً عنيفاً، ولم يتركه لحظة الا ليعود فيمسك بتلابيبه مرة أخرى . وقد أحس الزبيدي نفسه بأن مثل هذا التصرف قد يعرضه لهجوم الناس عليه ، فاستبق هجوم الناقدين ودافع عن نفسه قائلاً : " ولعل عاقلاً يتوهم اننا ادعينا مدانة سيبويه في علمه او موازاته في نفاذه وفهمه بما زدنا عليه من الابعية التي اغل ذكرها ولما دللنا عليه من تناقض بعض قوله او بمعارضتنا له في اليسير من معانيه فمخالنا افكاً ويظن بنا عجزاً وأنى لنا بما توهمه وانما تكلفنا على أصوله وعارضنا بعض قوله / <sup>بعضه</sup> ورفقنا عليه من علمه ، والاحاطة على البشر ممتعة والحصمة عنهم مرتفعة " (١). وهذا الكلام له اهميته لأن فيه تأكيداً على ان الزبيدي يجد نفسه قادراً على مقارعة سيبويه واكتشاف اخطائه وتتبع عثراته +

وهذا الاستقصاء يظهر لنا واضحاً في مثل ، من جملة الامثلة الكثيرة التي يمكن ايرادها ، جاء في باب لحاق الألف : " ... قال سيبويه وعلى تفاعل فالاسم التناضب والتناقل ولم يأت وصفاً ، قال ابو بكر قد جاء ناقة تحلبة والجمع تحالب . قال سيبويه وعلى يفاعل فالاسم يرايبع ويعاقب ويعاسيب والصفة يحاميم ويخاضير جمع يخضور ويحموم . وعلى يفاعل فالاسم اليحامد واليرامح ، قال ابو بكر : قد جاء ناقة يعملة صفة والجمع يعامل . قال سيبويه وعلى فعامل فالصفة قراويح وجلويح لا نعلمه جاء اسماً ، قال ابو بكر : قد ذكر في هذا الباب عسواد وقرواش اسمان فيجب ان يجمعاً

(١) الاستدراك على سيبويه : ٢ .

على عساويد وقرائش الخ ... (١).

وأما من حيث وضوح شخصية الزبيدي في كتابه فالواقع ان طبيعة الكتاب تستدعي من المؤلف فرض شخصية قوية وبارزة . فهو مؤلف قائم على استدراك اخطاء الآخرين وسد النقص وتتبع السقطات ، وهذا كله يحتاج الى عالم يبدي رأيه بصراحة وبصورة جازمة .

فالزبيدي يبدي رأيه في المشكلات اللغوية المعقدة ويكون شديدا حتى على العلماء الثقات : " وليست الياه في مسلمين ببدل من الف مسلمان ولا ياء مسلمين ببدل من واو مسلمون كما زعم سيبويه لأنه ليس منها شيء بأصل لانم لاسم هو اولى به من غيره وانما هي ادلة على اعراب الاسم لكان قد ذهب في ذلك مذهبا " (٢) ويلاحظ ان الزبيدي لا يعترض فحسب وانما يبدي الحجة . ومثل هذا دفاعه عن الكوفيين : " قال ابو بكر : الكوفيون ومن نحا نحوهم من البغداديين يجعلون هذا من الثلاثي وأصله عندهم كفت وزلت فكروها اتصال التضعيف فحالوا بينه بحرف مثل فاء الفعل وقولهم عندي اولى بالصواب لا طراد مقالتهن وصحبة الاشتقاق لعدهمهم ، الا ترى ان قولك ككفت في معنى كفت وحلحلت في معنى حللت " (٣).

## ١٠ لحن العامة

تذكره المصادر بهذا الاسم وأحيانا باسم كتاب ما تلحن فيه عوام

الاندلس، وحينما ثالثا باسم لحن عوام الاندلس أو لحن العوام ، وقد قال فيه ابن

(١) الاستدراك على سيبويه : ١١ - ١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٦ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٠ .

خير : " كتاب لحن العامة لأبي بكر الزبيدي التأليف الأول والثاني " (١) فلكتاب صورتان متفاوتتان كتبهما الزبيدي في تاريخين مختلفين . ثم ذكر كتاب " مختصر لحن العامة " وقال عنه انه في جزء واحد (٢) وقد أخذه اجازة ولم يقرأه . وقد نشرت صورة من هذا الكتاب قام بتحقيقها الدكتور رمضان عبد التواب بعنوان " لحن العوام " (٣).

ويقول محقق الكتاب : انه هو الاسم الذي وجدته على المخطوطة الوحيدة التي استخدمها في التحقيق . ويبدو أن هذا المنشور اما أن يكون مختصر لحن العامة أو الصورة الموجزة من التأليفين اللذين ذكرهما ابن خير .

#### ( أ ) الداعي الى تأليف الكتاب

يريد الزبيدي ، في هذا الكتاب ان يرد فضل التأليف الى الحكم المستنصر،

يقول : " وكان الذي قد دعانا الى تأليف هذا الكتاب ما أملناه في الثقة التي اسندها الى المؤلف الامام الفاضل ، والخليفة العادل ، الذي لا اسام في الارض غيره ، ولا خليفة لله على الخلق سواء ، الحكم المستنصر بالله ، امير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، محيي العلم وواعيه ، الراسخ في فنونه ، العوفي على دقيقه وجليله ، المشرف لسه ولحامليه ... " (٤) . غير اننا لا نستطيع ان نرد من الفضل للحكم سوى ما يمكن ان يكون قد ساهم به من تشجيع ورعاية وعطاء . اما الفضل العلمي فاننا نرده كله الى الزبيدي ان هذا الكتاب يختلف في منهجه عن كتاب طبقات النحويين واللغويين .

ولقد نظر الزبيدي الى لغة الناس من حوله فأحس ان هناك فارقا ما بين

(١) فهرسة ابن خير : ٣٤٦

(٢) المصدر نفسه : ٢٤٧

(٣) طبع القاهرة : ١٩٦٤

(٤) لحن العوام : ٩

لغتهم وهويين اللغة الفصيحة ، فأراد ان يبين هذه الاخطاء ، او ما اعتبره من الأخطاء .  
ويشرح لنا في المقدمة هذا الامر فيقول : " ولم تنزل العرب في جاهليتها و صدر من  
اسلامها ، تبرع في نطقها بالسجية وتتكلم على السليقة ، حتى فتحت العدائن ، ومصرت  
الامصار ، ودونت الدواوين ، فاختلف العربي بالنبطي ، والتقى الحجازي بالفارسي ، ودخل  
الدين اخلاط الام ، وسواقت البلدان ، فوقع الخلل في الكلام ، وبدأ اللحن في السنة  
الصوام " (١).

وقد ذكر الزبيدي ان هناك قوما حاولوا ان يصلحوا من هذا الامر " فكان اول  
من استدرك ذلك ، وحاول اصلاح فساد ، ابو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي فألف ابوابا  
من النحو ، ذكر فيها عوامل الرفع والنصب والجر والجزم ، ودل على الفاعل والمفعول  
والعضاف " (٢).

ويورد الزبيدي بعد ذلك ذكرا لبعض الاسهامات التي شاركت في التأليف النحوي  
ووضعت قواعد لضبط اللغة ومحو الجهل فيها (٣) . ثم يقول موضحا الهدف من التأليف :  
" ثم آلف من بعده - بعد الخليل - من اهل العلم في النحو والغريب واصلاح العنطق ،  
على قدر الحاجة ، وبحسب الضرورة ، تحصينا للغتهم ، واصلاحا للمفسد من  
كلامهم " (٤) . فالهدف ان من تأليف لحن العامة هو اتمام تلك السلسلة من الكتب  
اللغوية التي تحاول ان تضبط اللغة وتمنع فشو اللحن فيها .

وهنا نسأل انفسنا هذا السؤال : هل آلف الزبيدي كتابه على غير مثال

(١) لحن الصوام : ٤

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه : ٤ - ٥

(٤) المصدر نفسه : ٥

سابق ؟ الواقع ان الزبيدي نفسه يقول : " وقد وضع ابو حاتم كتابا اعتم به تقويم ما غيره اهل عصره من كلام الحرب ، وسماه كتاب لحن العامة " (٢) . فالفكرة اذن ليست من ابتداء الزبيدي ، وضوان الكتاب أيضا ليس جديدا .

فما الذي يختلف فيه كتاب الزبيدي عن كتاب ابي حاتم ؟ ان مثل هذه الزيادة او مثل هذا الاختلاف هو المبرر لتأليف لحن العوام ، والا يكون الكتاب بمجمعه نفلا .

يقول الزبيدي : " واني لما تصفحت كتابه - كتاب ابي حاتم - هذا رأيته مشتغلا على ما يشتمل عليه سائر الكتب الموضوعة في اللغة ، ورأيت الفن الذي تصده ، والضرب الذي اعتمده ، ووسم الكتاب به نزواً فيما ضمنه من تفسير الغريب ، وتصريف الافعال ، وتوجيه اللغات " (٣) . فالزبيدي يهاجم طريقة التأليف عند ابي حاتم ويرى انه لم يحقق فكرته ، فلقد شذ عن الموضوع وراح يبحث في المشكلات التي بحسبها من جاء قبله من العلماء ، " فكان الكتاب مؤلفا لغير ما نسب اليه ، وعرف به " (٤) . وهذا موطن ضعف استطاع الزبيدي ان يستغله .

غير ان هناك مبررات اخرى دفعت الزبيدي الى ان يكتب هذا الكتاب . فأبو حاتم السجستاني يبحث في ما يلحن فيه عوام المشرق لا ما يلحن فيه عامة الاندلس . لذلك فالزبيدي يقول : " ورأيت كثيرا من اللحن الذي نسبه الى أهل المشرق ، قد سلمت عامتنا من موافقته ، ونطقت بوجه الصواب فيه ، كقولهم ود ، وظفر ، وعنتق ، وحدوتة ، وعود مستوي ، وقهوس ، وفلفيل ، وذهب الى المكاريين ، وفلان يوزن بكذا اي يزن به .

(١) ابو حاتم السجستاني .

(٢) لحن العوام : ٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٥ - ٦ .

(٤) المصدر نفسه : ٦ .

ثم نظرت في المستعمل من الكلام في زماننا وأفئنا ، فألفت جملا لم يذكرها ابو حاتم ، ولا غيره من اللغويين ، فيما نسبوا اليه ، ودلوا عليه ، مما افسدته العامة عندنا ، فأحالوا لفظه ، او وضعوه غير موضعه " (١) .

### (ب) العامة : ماذا تعني ؟

عامة الناس وعوامهم غير الخاصة من الناس . هذا المفهوم الصام للكلمة لم يكن المقصود في كتاب الزبيدي . فلقد أحس ابو بكر انه لو اراد ان يحيي ما يلحن فيه الدهماء وسقاط الناس لاستغرقه ذلك زمنا طويلا ، قال وسوف " ادع اجتلاب ما افسده دهماؤهم ، وسقاطهم ، مما عسى ان لا يعزب عن تمسك بطرف من الفهم ، ان لو استوعبنا ذلك لطال الكتاب به " (٢) . فاذا كان اللحن قد نشأ بين العامة فلقد " تابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضعفتهم الشراء اشعارهم ، واستعمله جلّة الكتاب ، وعلية الخدمة في مسائلهم ، وتلاقوا به في محافلهم . فرأيت ان انبه عليه ، وابين وجه الصواب فيه ، وان أفرد لما يحضرنى منه كتابا احصره به ، واجمعه فيه " (٣) . وقد اكد فكرة الخطأ لدى الخاصة فقال : " وانما نذكر منه ما يتوقع الغلط من الخاصة فيه . . . نحو ما حدثني بعض اهل النظر عن رجل من اجلاء الحرمة ، ينسب اليه فنون العلم ، وضروب الاداب ، قال : " ورد كتاب من بعض الكتاب ، كتب فيه الجخطب ، بالطاء ، فأنكرت ذلك فلم يصح الي حتى عدوت اليه ببعض كتب اللغة ، فأرثته الحرف مقيدا فيه ، الى كثير من هذا . . . " (٤) .

(١) لحن العوام : ٦ - ٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٧ - ٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٨ .



غير ان هناك ملاحظة مهمة ينبغي الاشارة اليها ، وهي اذا كان الخاصة هم المقصودين من هذا الكتاب ، فان الالفاظ التي تعالج والتي طرأ عليها التحول والتبدل ، ليس من الالفاظ الغريبة والمغرقة في فصاحتها في اكثر الحيات . فالكتاب موجه او يقصد به اخطاء الخاصة من الناس ، والخاصة الفاظهم مختارة . غير انه يعالج ايضا الالفاظ السوقية والعامية . وقد تبه ابو بكر الى ان مثل هذا الاعتراض وارد فقال : " ولعل طاعنا يطعن في كتابنا هذا بما ذكرناه من الكلام السوقية ، واللفظ المستعمل العامي ، جهلامنه ان الفساد انما يقع في المستعمل على اللسنة ، وان الوحشي مصون عن التغير والاحالة ، بقلّة استعماله ، وجهل عوام الناس به " (١).

#### (ج) منهج الكتاب :

ينقسم الكتاب الى ثلاثة ابواب رئيسية :

أ - " ذكر ما افسدته العامة وما وضعوه غير موضعه " . وهو أكبر الابواب الثلاثة ان يستغرق من ص ١١ - ٢٠٥ . " ويقولون للنبت الكثير الشوك المنبسط بالارض خرشف . قال محمد : والصواب ، حرشف . " (٢).

ب - " وبما وضعته العامة في غير موضعه " ، وهو باب متوسط ان يستغرق من ص ٢٠٦ - ٢٣٩ . والعامة في هذا الباب لا تغير في الالفاظ وانما تغير من معانيها ودلالاتها . مثل ذلك : " ويقولون : درهم " واف " اذا كان يزيد في وزنه . قال محمد : اللواني الذي لا زيادة فيه ولا نقص . وهو الذي وفي بزننه " (٣).

(١) لحن العوام : ٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٧ .

(٣) المصدر نفسه : ٢١٠ .

ج - " وما يوقعونه على الشيء " وقد يشركه فيه غيره " . وهو اقصر الابواب  
 ان يستغرق من ص ٢٤٠ - ٢٤٢ ، ولا يبحث الا في ثنائي مواء فقط . مثاله :  
 " قولهم الوادى للنهر خاصة . قال ابو بكر : و الوادى كل بطن مطعن من الارض .  
 وربما استقر فيه الماء ... " (١).

### (د) أنواع الخطأ :

تقص الزبيدي في الفاظ العامة انواعا مختلفة من الخطأ .

١ - خطأ لياقة . ويتمثل لنا ذلك في المثال التالي : " ومن ذلك قولهم :  
 هو الله الازلي قبل خلقه ، ولم يزل واحدا في ازليته ، وكان هذا في الازل .  
 قال محمد : وذلك كله خطأ ، لا أصل له في كلام العرب . وانما يهودون  
 المعنى الذى في قولهم : لم يزل عالما . ولا يصح ذلك في اشتقاق ولا تصريف .  
 وقد اولع بالخطأ في هذا اهل الكلام والمدعون لحدود المنطق ، حتى غرّ ذلك جماعة  
 من الخطباء ، فأدخلوه في خطبهم . ولا يجوز لاحد ان يصف الله عزّ وجل ، بغير  
 ما وصف به نفسه في محكم كتابه وحياء ، او ما ثبت به الخبر عن رسوله (ص) ،  
 ولو صحت الكلمة في الاشتقاق وتمكنت في التصريف " (٢).

٢ - خطأ لغوى ، ومثاله : " وكذلك قولهم فيه تبارك وتعالى : هذه  
 صفة ذاته ، وهو مبين بالذات .

قال محمد : ولا يجوز ان يلحق الألف واللام نو ولا ذات في حال انفراد  
 ولا تشبية ولا جمع ، ولا تضاف الى الضمرات . وانما تقع ابدا مضافة الى الظاهر،

(١) لحن الصوام : ٢٤٠ .

(٢) المصدر نفسه : ١١ .

الا ترى انك لا تقول : الذو ولا الذوان ولا الذون ولا الذات ولا الذوات  
ولا ذوك ولا ذوه ولا ذوهما ولا ذوهن ولا ذواتها . ولا تقول مررت بذاته  
ولا بذاتك . وقد غلط في ذلك اهل الكلام ، واكثر المحدثين من الشعراء والكتاب  
والفقهاء " (١) .

٣ - خطأ كتابي وليس خطأ لفظيا ، ومثاله : " ويقولون لضرب من  
الشجر دفلة .

قال محمد : والصواب دفلى ، على مثال فعلى ، والالف للتأنيث " (٢) .

٤ - خطأ ناتج عن زيادة حرف ، ومثاله : " ويقولون سمعنا الآذان .

قال محمد : .. والصواب الأذان على وزن فعال .. " (٣) .

٥ - خطأ ناتج عن تغيير حركة احد الاحرف ، ومثاله : " ويقولون لما  
يبع من المتاع سلعة .

قال محمد : والصواب سلعة بكسر اوله .. " (٤) .

٦ - خطأ ناتج عن قلب حرف وحذف آخر ، ومثاله : " ويقولون لبعض

الفئوس التي يقطع بها الخشب شقور بالشين .

قال محمد : والصواب ، صاقور . والجمع الصواقير " (٥) .

٧ - قلب حرف واحد ، ومثاله : " ويقولون لما طحن من البر وغيره غليظا ديش .

(١) لحن المصوام : ١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٩٩ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٩ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه : ٩٧ .

قال محمد : والصواب جشيش بالميم ، يقال جششت البر أجشه جشا فهو مجشوش وجشيش ، وهو طحن كالهرس " (١) . وملاحظ ها هنا ان قرب المخرجيين من بعضهما أدى الى مثل هذا القلب . والامثلة على هذا للقلب كثيرة في الكتاب (٢) ، وفي لغتنا العامية الحاضرة في لهجاتها المختلفة .

#### (هـ) طريقته في وصف المادة :

مما سبق عرفنا شيئا من طريقة الزيدي فهو يذكر الكلمة السـتي يخطئ فيها عامة الاندلس، مسبوقه دائما بعبارة " ويقولون " ، ثم يذكر الصواب مسبوقا بعبارة : " قال محمد " او : " قال ابو بكر " .

ولكي نستطيع اخذ فكرة واضحة عن عمل الزيدي لا بد من دراسة مادة او اكثر من الكتاب . وعلى سبيل المثال نأخذ مادة " ابزيم " (٣) ،

" ويقولون بزيم ، للحديدة التي تكون في طرف حزام السرج ، يسرج بها ، وقد تكون في طرف المنطقة ولها لسان يدخل في الطرف الاخر من الحزام والمنطقة .

قال محمد : والصواب ابزيم ، على مثال افميل . وفيه لغة اخرى ،

يقال : ابزام والجمع ابازيم . قال العجاج :

يدق ابزيم الحزام جشمه

ويقال ايضا ابزين ويجمع على ابازين . وقال ابو داود الايادي :

من كل جرواء قد طارت عقيقتها وكل اجرود مسترخى الابازين

(١) لحن العوام : ٢٠ - ٢١ .

(٢) المصدر نفسه : ١٥٨ ، ١٦٨ ومواضع اخرى كثيرة .

(٣) المصدر نفسه : ١٥ - ١٨ .

ويقال للإهزيم أيضا زَزَفَنَ وَزَزَفَنَ . وفي الحديث : ان دَرَعَ رسول الله (ص) كانت ذات زرافن ، اذا علق بزرافنها شمعت ، واذا ارسلت مسست الارض . وقال مزاحم ، يبارى سويساها اذا<sup>ما</sup> تلجمت شبا مثل اهزيم السلاح المؤسّل .

يصف ناقة . والمؤسل المحدّد ، الذي رقت اسلته . ويقال للقتل أيضا اهزيم . وهذه العبارات كلها متفقة ، لان الاهزيم افعيل من بزيم ، اذا عَضَّ . وقال ابو زيد : بزمت أهزيم بزما ، اذا عضضته بالثيايا ، دون الانياب والرباعيات . وكذلك السبزم في الرمي ، هو اخذك الوتر بالابهام والسبابة ، ثم ترسل السهم . فأما قول تميم ابن ابي بن مقبل :

على كل ملواح يزلّ برؤسها      تعاطي اللجام الفارسيّ وتصرف

فهو البريم بالراء . وكذلك انشديه قاسم بن اصبح عن السكري عن ابي حاتم عن ابي عبيدة . والبريم جبل مفتول ، يكون فيه لوان ، وربما شدته المرأة على وسطها . وانشد الاصمعي :

اذا المرضع العوجاء جال برؤسها

وليس بالاهزيم الذي ذكرنا . والبرمان أيضا ."

وهكذا نرى ان المشكلة لم تعد مشكلة كلمة عامية وما يقابلها من الفصح ، بل ان الامر تعدى ذلك فدخلنا في تفرعات وتشعبات واستشهادات ، كل ذلك بدقّة متناهية وبخطة مرسومة ، تتكرر في الكتاب اجمع .

ويمكننا ان نستنتج من هذه المادة ومن سواها الأمور الآتية :

١ - استشهاد الزبيدي بالحديث :

فقد بلغ مجموع ما استشهد به من احاديث ستة وثلاثين

جديشا (١).

## ٢ - الاستشهاد بالآيات القرآنية :

لم يكثر الاستشهاد بالآيات القرآنية ، اذ كان مجموع ما استشهد به خمس عشرة آية فقط ، من سور مختلفة (٢).

## ٣ - الاستشهاد بالامثال وأقوال العرب :

وهو أيضا يقل من الاستشهاد بالامثال والاقتوال . وقد بلغ مجموع ما استشهد به منها أربعة عشر مثلا وقولا (٣).

## ٤ - الاستشهاد بالشعر :

وهذه ظاهرة عامة في الكتاب تتردد في اكثر الاوقات . غير ان الزبيدي سار في الاستشهاد أحيانا على مثال ما يرد في كتب النوادر من ايراد قطعة كاملة من الشعر دون الاكتفاء بموطن الشاهد وحده (٤).

- (١) لحن العامة : ٨٤ ، ١٢٠ ، ١٩٢ ، ٢٧٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ ، ٢٤٦ الخ ...  
 (٢) المصدر نفسه : ٥٩ ، ١٨٣ ، ٣٠١ ، ١٣٨ ، ٢٦١ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ الخ ...  
 (٣) المصدر نفسه : ٤٠ ، ٦٢ ، ٨٣ ، ٩٩ ، ١٢٧ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٨٤ ، ٢٩٣ الخ ...  
 (٤) من ذلك ايراده لمقطوعة " بعض الهذليين " في اثناء حديثه عن لفظة حنش (لحن العوام : ١٠٢ - ١٠٣) :

" يا رب ان كان ابو خير ظلم  
 فاقدر له في بعض اعراض الظلم  
 قد عاش حتى صار ما يعيشي بدم  
 حتى اذا نام ابو خير ولم  
 سرى اليه غير وان في الظلم  
 معذب اخرجه من جوف كم  
 وخاني في علمه وقد علم  
 ليمية من حنش أعمى أصم  
 فكل ما أسأرنه الدهر سم  
 يمسن منه واهن فلا ألم  
 فشاكه بين الشرك والقلم  
 المحته عاد ذات ارم \*

\* هكذا في الكتاب المطبوع .

٥ - ايراد لغات الصواب المختلفة :

وقد ظهر ذلك في المثل <sup>السابق</sup> السابق : فالصواب " ابزيم ، على مثال افعيل .  
وفيه لغة اخرى ، يقال : ابزام ، والجمع ابازيم " (١) . " والصواب مينا بالقصر  
وميناء بالمد ، والقصر فيه اكثر " (٢) .

٦ - ذكر اصل الاشتقاق :

لفظ ميناء في المثل السابق " مشتق من الونى ، وهو الفتور  
والسكون ، كأنه السفن جرت حتى قرت وسكنت هنالك فسمي مكان سكونها مينا " (٣) . ولا  
يهمنا اذا كان هذا التعليل صحيحا او لا ولكن يهمننا البحث عن الأصول عند  
الزبيدي . وفي مثال آخر : " وانما قيل له القمع : لانه يدخل في الاناء . يقال  
منه قمعت الاناء اقمعه . ويقال للانسان قد انقمع وقمع ، اذا دخل في الشيء او  
دخل في بعضه " (٤) .

٧ - مرادفات اللفظ :

" ويقال للابزيم أيضا : زَرَقَن وَزَرَقَن " (٥) . ومثال ذلك أيضا : " ويقال  
للمينا أيضا حبس وحصر وضح ومصنعة " (٦) .

٨ - تعليل اسباب دخول اللحن :

" ويقولون للقلة الصغيرة صئانة .

- 
- (١) لحن العوام : ١٥ - ١٦ .  
(٢) المصدر نفسه : ١٨ .  
(٣) المصدر نفسه  
(٤) المصدر نفسه : ٣٩ .  
(٥) المصدر نفسه : ١٦ .  
(٦) المصدر نفسه : ١٩ .

قال محمد : والصواب صؤابة وجمعها صؤاب ثم تجمع الصؤاب صئباناً . ويقال  
قد صئبت رأسه ، اذا كثر فيها الصئبان . وانما دخل عليهم ، لقولهم صئبان ، فتوهموا  
ان واحده صئبانة وظنوه الجمع الذي ليس بينه وبين واحدة الا الهاء " (١) .

٩ - ذكر وزن البناء :

وقد اكثر الزبيدي ، حرصاً على الدقة ، من ذكر وزن اللفظة حتى لا  
يكون هناك مجال للخطأ مثال ذلك : " وهذا البناء على فعالة يأتي اسماً لما سقط  
من الشيء ، ولما بقي منه ، وما أخذ منه ، مثل : الفحاحة ، والبراية ، والسقاطة  
وهو اسم لما يسقط مما تحته او تبرسه ، والصباية ، وهي بقية الماء " (٢) .

١٠ - شرح الالفاظ :

يحسن الزبيدي احياناً ان هناك من الالفاظ الواردة الفاظ تعسر  
على الفهم فيشرحها ، مثال ذلك :

" وكم دون بيتك من مهمه ومن حنش جاحر في مكا  
والمكا الجحر ، وهو يكون للفأر واليربوع والقفد " (٣) .

١١ - الاستقصاء :

وهذه احدى ميزات الكتاب ، مثالها : " وقال ابو علي عن ابن  
الانباري عن الفراء قال : العرب تتادى على تسع لغات ، يقولون : يا رب ، وهيا  
رب ، وأرب ، وآرب ، وأي رب ، وآى رب ، وأي رب ، وأيا رب ، ووارب ، ورب " (٤) .

- 
- (١) لحن العوام : ١٩ - ٢٠ .  
(٢) المصدر نفسه : ٣٠ - ٣١ .  
(٣) المصدر نفسه : ١٠٢ .  
(٤) المصدر نفسه : ١٤٦ - ١٤٧ .



١٢ - اختلاف العاميتين : المشرقية والاندرلسية ، واتفاقهما :

يلاحظ ان مما يورده الزبيدي من الالفاظ العامة الفاظا لحن بها  
اهل الاندلس ، ولم يفعل ذلك المشاركة ، مثال ذلك : " ويقولون للحديدة التي يفلح  
بها الارض سَكَّة فيفتحون .

قال محمد : والصواب : سِكَّة " (١) . ويصو وكان الزبيدي يتببه الى  
ذلك ويشير اليه احيانا ، كما فعل في المثل التالي : " ويقولون لموقف الدابة صبل  
ويجمعونه على صبول .

قال محمد : والصواب اصطلح ، وهو من كلام اهل الشام وجمعه اصاطب " (٢)  
غير ان العاميتين تتفان في احيان اخرى على الخطأ ، وأمثلة ذلك كثيرة ،  
من ذلك : " ويقولون : فلان شديد الغيرة على أهله . قال ابو بكر : والصواب ،  
الغيرة بالفتح .. " (٣) . ومن ذلك أيضا : " ويقولون للذي يسلط به البيوت جير .  
قال محمد : والصواب جيار ، على مثال فعال .. " (٤) .

١٣ - اعتماد اللغويين والرواة بكثرة دون ذكر المؤلفات :

فالزبيدي ليس دقيقا في هذه الناحية من البحث ، فرغم انه يرد كل  
قول الى صاحبه ، الا انه لا يذكر المصدر الذي استقى منه : " وروى ابو عبيدة :  
كما يخشي السفائن مع اللجة العرك .. " (٥) . و " قال سيبويه في الطرءاء كمثلته

- 
- (١) لحن العوام : ١٣٦ .  
(٢) المصدر نفسه : ١٣٣ .  
(٣) المصدر نفسه : ١٤٤ .  
(٤) المصدر نفسه : ١٤٥ .  
(٥) المصدر نفسه : ٥٧ .

في الحلفاء " (١). وتتردد عنده عبارة : زعم او يقول بعض اللغويين دون تعيين هذا البعض : " وزعم بعض اللغويين انه يقال له القرنفل " (٢) ، " وزعم بعض اللغويين ان اهل اليمن يقولون كلوة بالضم وهذا مردود " (٣). " وقال بعض اللغويين : جمع اصطلح صطابل ، وتصغيره صطيبل " (٤). ومثل هذا لا يحدد للمؤلف وان كان علاشائما آنذاك . وقد نال الأصمعي اوفى نصيب من الاستشهاد بأقواله ، فلقد وردت اقواله (٥) في خمس وثلاثين صفحة من الكتاب ، ووردت احيانا اكثر من مرة واحدة في الصفحة الواحدة . ونال يعقوب بن السكيت نصيبا وافيا ولكن اقل من نصيب الاصمعي ، از ورد ذكره (٦) في سبع وعشرين صفحة . وبعد هذين يأتي ابو حاتم السجستاني ثم سيبويه ثم لغويون آخرون كثر .

ونال ابو علي القالي ، استاذ الزبيدي وصديقه ، اكبر نصيب من عناية المؤلف (٧) وهو يتفوق حتى على الاصمعي . غير ان اهمية القالي دون اهمية الآخرين لأنه يروى اقوال الآخرين ويتحدث برواياتهم .

وهناك كثير ممن استشهد بأقوالهم مرة واحدة فحسب ، من هؤلاء مثلا : سعيد الاخفش (٨) ، ابو داود السجستاني (٩) ، شعبة بن الحجاج (١٠) ، ابن ابي

- 
- (١) لحن العوام : ٧١ .  
 (٢) المصدر نفسه : ٦٥ .  
 (٣) المصدر نفسه : ٦٧ .  
 (٤) المصدر نفسه : ١٣٤ .  
 (٥) المصدر نفسه : ١٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٥ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ٢٢٤ الخ ...  
 (٦) المصدر نفسه : ٢٢ ، ٧٢ ، ١٧٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٦٠ الخ ...  
 (٧) يرد ذكره في ٤٧ صفحة ، منها : ٢٣ ، ٤٦ ، ٩٣ ، ١٦٢ ، ١٩١ ، ٢٢٩ الخ ...  
 (٨) لحن العوام : ٩١ .  
 (٩) المصدر نفسه : ٤١ .  
 (١٠) المصدر نفسه : ٢٤٤ .

شيبية<sup>(١)</sup>، بكر بن حماد<sup>(٢)</sup>، بسطام بن قيس<sup>(٣)</sup>، وآخرون .

غير انه ، كما سبق القول ، لم يكن يورد اسماء المؤلفات التي اخذ عنها .  
وقد ورد ذكر عدد قليل من الكتب في هذا المؤلف ، هي : كتاب للمؤلف نفسه ~~هو~~  
"أبنية الاسماء والافعال"<sup>(٤)</sup> ، وكتاب لابي علي القالي ، الصديق والاسناذ ، هو :  
المددود والمقصور<sup>(٥)</sup> ، وكتاب "لحن العامة"<sup>(٦)</sup> لابي حاتم السجستاني الذي بنى  
الزبيدي كتابه على خطته ؛ ثم اخيرا كتاب يدعى بـ "كتاب الأدب"<sup>(٧)</sup> ، لم يذكر  
الزبيدي اسم مؤلفه أو شيئا عنه .

١٤ - وضوح شخصيته :

للزبيدي شخصية تمتاز بالاصالة . وهو ليس كاستاذ القالي مختبئاً  
ابدا وراء اللغويين والاعراب . وانما هو يفاضل ويقترح الحلول ويقابل ويعترض .  
وتكثر الامثلة على نضج هذه الشخصية ولكن نكتفي ببعض الامثلة الدالة : " وتلنست  
رأسي بالقفسوة ، وتلنست ، على مثال فعنلت وتفعنلت . ولا نعلم لهذين المثالين  
نظيرا في الكلام"<sup>(٨)</sup> . ووضح من ذلك هذا المثال : " قال محمد : وهذا عندي  
غلط من ابي زيد .."<sup>(٩)</sup> . وهو يعترض قائلاً : " ولا اعرف في كلام العرب ما على

- 
- (١) لحن العوام : ٢٣٧ .  
(٢) المصدر نفسه : ٢١٤ .  
(٣) المصدر نفسه : ١٠٧ .  
(٤) المصدر نفسه : ٢٨ ، ٨٩ .  
(٥) المصدر نفسه : ٧٥ ، ١٠٨ .  
(٦) المصدر نفسه : ٥ .  
(٧) المصدر نفسه : ١٨٩ .  
(٨) المصدر نفسه : ٢٧ - ٢٨ .  
(٩) المصدر نفسه : ٥٣ .

هذا المثال اعني فعنلول " (١). وهو يفاضل : " قال محمد : والقول الأول احب اليّ لأن القياس ان يأخذ التصغير والجمع حقهما . " (٢). وربما كان اوضح الامثلة واكثرها دلالة هو المثال التالي : " . . . واهل الكوفة يعدون ما جاء من نحو هذا ثلاثيا ، ويشتقونه منه ، ويذهبون الى ان مصامة من صم ، ولكنهم كرهوا اجتماع الامثال ، ففرقوا بينهما بحرف مثل الأول ، وكذلك ككفت وصللت وحلحلت . والبصريون يعدون هذا كله رباعيا . وقول الكوفيين عدى اولى لأن الاشتقاق يحكم بصحته ، والقياس يشهد له " (٣).

فكتاب لحن العامة لهذا كله ليس صورة لاحاطة الزبيدي وصبره على الجمع والتسيق والردّ وحسب ، وانما هو كنز لمن شاء أن يتصور العدى الذى بلغته اللغة في الاندلس من الخضوع للتغير والتبديل في النطق ، وواضح أن كثيرا جدا من الاخطاء التي عدّها الزبيدي انما تؤخذ سماعا لا كتابة وان أصرّ في مقدمة كتابه أنه يتحدث عن أخطاء الخاصة . وكثير ما عدّه الزبيدي من الخطأ لا يزال دارجا في لهجات المشرق حتى اليوم ولم يكن قاصرا على الأندلس ، فالناس اليوم في الاستعمال العام يقولون : بكرة (بفتح الكاف لا تسكينها) ورقوة (بدلا من رقية) وقرابا (في جمع قهوة) وسكرانة (بدلا من سكرى) والغيرة (بكسر الخين) والجبس (بدلا من الجص) وخيز (بدل خبازة) ، بينما يعد كثير من الاخطاء الاخرى " لهجة " أندلسية ظلت عالقة بالألسنة ولم يجد فيها كثيرا اصرار الزبيدي على تبيان وجه الصواب فيها .

- 
- (١) لحن العوام : ٦٥ .  
 (٢) المصدر نفسه : ١٣٤ .  
 (٣) المصدر نفسه : ١٣٧ .

## ثانيا - ابن القوطية ( - ٣٦٢ / ٩٧٨ ) ومؤلفاته :

هو ابوبكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم<sup>(١)</sup>. ويعرف بابن القوطية ، وهو لقب يرى بعض اصحاب التراجم انه ورثه عن جدة اسبانية من أهل الاندلس الأصليين<sup>(٢)</sup>. " وهي ام ابراهيم بن عيسى بن مزاحم جد ابي بكر المذكور ، وهي ابنة وبة بن غيطشة ، وكان من ملوك الاندلس ، وعليه وعلى اخوته اربطاس وقميس الأندلس وسيدة افتتح طارق مولى موسى بن نصير مع المسلمين بلاد الاندلس ، وكانت القوطية المذكورة وفدت على هشام بن عبد الملك متظلمة من عمها اربطاس المذكور فتزوجها بالشام عيسى بن مزاحم المذكور ، وهو من موالي عمر ابن عبد العزيز الاموي رضي الله عنه ، وسافر معها الى الاندلس فكان ذلك سبب انتقال عيسى بن مزاحم الى الاندلس وانسأله بها . وجاءت القوطية بكتاب هشام الى الخطاب الشعبي الكلبي<sup>(٣)</sup> ، وكان عامله على الاندلس ، بالوصاية عليها ، فكف عمها عنها وانصفها مما كان لها قبله ورعى حرمتها وعادت بها الحال وظالت حياتها الى ايام الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الداخل الى الاندلس من بني أمية ، فكانت تدخل عليه وتقضي حاجتها ، وغلب اسمها على ذريتها وعرفوا بها الى اليوم "<sup>(٤)</sup>. ولا نستطيع ان نؤكد او ننفي صحة هذه الرواية انما هي تثبت

(١) ترجمته في : تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٨ ، جذوة المقتبس : ٧١ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، انباء الرواة ٣ : ١٧٨ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، يتيمة الدهر : ٧٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، معجم الابداء ١٨ : ٢٧٢ .

(٢) وفيات الاعيان ٤ : ٥ - ٦ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ .

(٣) كذا في ابن خلكان وليس في الولاة أيام هشام من يحمل هذا الاسم ولعله ابو الخطار حسام الكلبي ( ١٢٥ - ١٢٧ / ٧٤٣ - ٧٤٥ ) .

(٤) وفيات الاعيان ٤ : ٥ - ٦ ، وانظر : الديباج المذهب : ٢٦٢ .

على كل حال ان لابن القوطية أصلاً اسبانيا ، من طرف واحد على الاقل . اما تفاصيل الرواية فلا شأن لنا بها . فأما عيسى بن مزاحم الجد فهو مولى عشرين عبد العزيز من أصل بهري ، فهو في الاندلس يعدّ من موالي الامويين . ولهؤلاء مكانة خاصة اذا استطاع المرء منهم ان يبرز في ناحية من النواحي الاجتماعية او الثقافية ، وذلك ما حققه والد محمد ، فقد " استفضاه الناصر على استجة سنة احدى وثلاثمائة<sup>(٢٨١٤)</sup> ، ثم على اشيلية سنة ثنتين وثلاثمائة ، واستمر في الولايتين سبعة اعوام وسبعة اشهر " (١).

وليس لدينا الكثير من الاخبار عن نشأة ابن القوطية . وكل ما نعرفه عنه ان اصله من اشيلية وانه قرطبي (٢) . ولعله ولد في اشيلية ونشأ بها لان له اساتذته كثيرين من الاشيليين . ففي اشيلية " سمع من محمد بن عبد الله بن القوق ، وحسن بن عبد الله الزبيدي ، وسعيد بن جابر ، وعلي بن ابي شيبة وسيد أبيه الزاهد " (٣) . وسمع بقرطبة من ظاهر بن عبد العزيز وابن ابي الوليد الأعمى ومحمد بن عبد الوهاب . . . . . وظاهر بن الوليد ومحمد بن المغيث وابن لبابة وابن ابي تمام واسلم القاضي وابن ايمن وابن الاغش وابن يونس وقاسم بن أصحح ونظرائهم ، ومن احمد بن خالد ، ومحمد بن مسور (٤) . ويصعب حصر الفئة التي درس ابن القوطية عليها ، اذ انه " لقي أكثر مشايخ عصره بالاندلس فأخذ عنهم واكثر النقل من فوائدهم " (٥).

- 
- (١) الذيل والتكملة ٥ : ٥٤٩ ، وانظر الديباج المذهب : ٢٦٢ .  
 (٢) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٨ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٣ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ .  
 (٣) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٨ - ٧٩ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ .  
 (٤) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ .  
 (٥) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ .

ويقول ابن فرحون انه كانت فيه غفلة وسلامة وتكشف في ملبسه وورع<sup>(١)</sup> . وتصفه المصادر بانه كان من أهل النسك والعبادة . وقد تضافرت اخلاقه وعلمه على اكتساب قلوب الناس اليه ونال من احترام الطلاب على تفاوت درجاتهم الاجتماعية احتراماً بالغاً ، وشهد له علماء عصره بالتقدم حتى كان القالي نفسه يباليخ في تعظيمه ، ولما سأله الحكم من أنبل من رأيت ببلدنا في اللغة قال : محمد بن القوطية<sup>(٢)</sup> . وبلغ من نسكه - وخاصة في الدور الاخير من حياته - ان توقف عن قول الشعر زهداً وورعاً مع انه فيما يقول بعض من ترجموا له كان يبلغ فيه " حد الاجادة مع الاحسان في المطالع والمقاطع ، وتخير الالفاظ الرشيقة والمعاني الشريفة "<sup>(٣)</sup> .

غير ان ما تبقى<sup>ت</sup> شعره ، لا يسمح لنا بحكم منصف عليه ، واذا كان لنا حق الحكم من دراسة الابيات القليلة التي وصلتنا ، فاننا لا نضع ابن القوطية في فئة الشعراء المجيدين<sup>(٤)</sup> .

ولم يقتصر ابن القوطية على ناحية واحدة من العلم بل كان يأخذ من العلوم المتيسرة آنذاك ما استطاعت ظروفه ان تتيحها له . فكان " من اعلم أهل زمانه باللغة والعربية ، وكان مع ذلك حافظاً للحديث والفقه ، والخبر والنوادر ، واروى الناس للشعار ، وأدركهم للآثار ، لا يلحق شأوه ولا يشق غباره ، وكان مضطرباً بأخبار الاندلس ، ملياً بخواص سير أمراءها ، واحوال فقهاءها وشعرائها ، يعلي ذلك عن

(١) الديباج المذهب : ٢٦٣ .

(٢) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٣ .

(٣) الديباج المذهب : ٢٦٢ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٤ .

(٤) راجع قطعة له في وصف الربيع وردت في بغية الوعاة : ٨٥ ، معجم الادباء

١٨ : ٢٧٦ - ٢٧٧ ، وقطعة له في الحنين وردت في اليتيمة ٢ : ٢٤ - ٧٥ ،

ومعجم الادباء ١٨ : ٢٧٦ .

ظهر قلبه " (١) . وله في هذا الباب كتاب وصلنا وهو " تاريخ افتتاح الاندلس " (٢) .  
ويبدو ان اهتمام ابن القوطية الاول كان منصبا على اللغة ، وقد عرف لسه  
المؤرخون هذه المقدرة فأفاضوا في صفات المديح والتبجيل حين تحدثوا عن مقدرته  
اللغوية ، كما مر معنا آنفا ، وكانت " كتب اللغة اكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه " (٣) .  
وقد اتفقت المراجع على انه كان مبرزاً في نواحي العلوم الاخرى من رواية شعر  
وخبر ومعرفة بسير الملوك والامراء . غير ان هذه المراجع ترى ان ابن القوطية " لم  
يكن بالضابط لروايته في الحديث والفقهاء ، ولا كانت له اصول يرجع اليها ، وكان ما يسمع  
عليه من ذلك انما يحمل على المعنى لا على اللفظ " (٤) . ولهذا عدّ من المدلسين  
في الحديث (٥) .

وهذه هي أهم مؤلفاته اللغوية :

١ - شرح رسالة أدب الكتاب : وسماه ابن خير كتاب شرح صدر أدب الكتاب ، ولعل  
هذه التسمية أدق لأن ابن القوطية لم يتجاوز في شرحه مقدمة ابن قتيبة ، ومن هذا  
الكتاب أيضا جزء مختصر (٦) .

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، الوفيات ٤ : ٤ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ،

يتيمة الدهر : ٧٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٣ ، بغية الوعاة : ٨٤ .

(٢) نشرة جايانجوس في مدريد سنة ١٨٦٨ وترجمة خوليان بيبيرا ١٩٢٦ ، وشك في انه من

تأليفه وذهب الى ان الكتاب لأحد تلامذته . وطبع ببيروت ١٩٥٧ . وقد ذكرت

المصادر ان لابن القوطية تأليف في تاريخ الاندلس : (الديباج المذهب : ٢٦٣) .

(٣) وفيات الاعيان ٤ : ٤ .

(٤) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، الديباج المذهب : ٢٦٣ ، معجم الادباء ٧٣ : ٨

(٥) الديباج المذهب : ٢٦٣ .

(٦) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، فهرسة ابن خير : ٣٤٤ ، معجم الادباء

١٨ : ٢٧٥ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ - ٢٦٣ .



٢ - المقصور والممدود (١) : " وقد جمع فيه ما لا يحدد ولا يوصف ، ولقد اعجز من يأتي بعده وفاق من تقدمه " (٢). ولم يذكر ابن خير هذا الكتاب في فهرسته ، ومن الغريب أن لا تتصل به روايته .

٣ - الافعال : يسمى في بعض المراجع " تصانيف الافعال " (٣). وموضوعه البحث عن صيغتي فعل وأفعال سواء اتفقتا في المعنى او اختلفتا ، اوحين لا يورد للعرب الا احدهما .

ويبدو ان الاهتمام بالافعال سبق الاهتمام بالاسماء عند الباحثين العرب الأول ، ولعل السبب في ذلك التغيرات التي تدخل الافعال وكثرة تصرفها ودخول عامل الزمن عليها . ولم يكن ابن القوطية اول من أولى الافعال اهتماما ، وانما سبقه الى مثل هذا النوع من المؤلفات سلسلة طويلة من اعلام المشرق (٤) . ويبدو ان ابن القوطية قد استعان ، على الأقل ، ببعض هذه المؤلفات . غير انه من العسير ان نحدد اى

- 
- (١) تاريخ ابن الفري ٢ : ٧٩ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ .
- (٢) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ .
- (٣) تاريخ ابن الفري ٢ : ٧٩ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، يتيمة الدهر : ٧٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
- (٤) وأول من روى انه الف فيه قطرب (- ٢٠٦ / ٨٢١) والفراء (- ٢٠٧ / ٨٢٢) ثم ابو عبيدة (- ٢٢٠ / ٨٢٥) والاصمعي (- ٢١٣ / ٨٢٨) وابوزيد الانصارى (- ٢١٥ / ٨٣٠) وابوعبيد القاسم بن سلام (- ٢٢٤ / ٨٣٩) وابو محمد عبد الله بن محمد التوزى (- ٢٣٣ / ٨٤٨) ويعقوب بن السكيت (- ٢٤٦ / ٨٦٠) وابو حاتم سهل بن محمد السجستاني (- ٢٥٥ تقريبا / ٨٧٠) وابو العباس الأحول تلميذ ابن الاعرابي ، وخصمه ابن قتيبة (- ٢٧٦ / ٨٨٩) ابوابا من كتاب الابنية في ادب الكتاب . والف فيه الزجاج (- ٣١١ / ٩٢٣) وابن دريد (- ٣٢١ / ٩٣٣) في ختام الجمهرة وابن درستويه (- ٣٤٧ / ٩٥٨) والقالي (- ٣٥٦ / ٩٦٧) - راجع كتاب المعجم العربي : ١٥٩ .

المؤلفات هي التي أكثر الأخذ عنها ، فابن القوطية ، كما سنرى ، يأخذ المواد مجردة من كل ما يوحي بمصدرها الأصلي .

وابن القوطية يبرز فضل الافعال في مقدمة كتابه فيقول : " اعلم ان الافعال اصول مباني أكثر الكلام ، وبذلك سمعتها العلماء الابنية ، ويعلمها يستدل على أكثر علم القرآن والسنة ، وهي حركات متقضيات . والاسماء غير الجامدة والأصول كلها مشتقات منها ، وهي أقدم منها بالزمان وان كانت الاسماء اقدم بالترتيب في قول الكوفيين . والجامدة لا يشتق منها فعل مثل حجر وباب وما أشبههما ، فانك لا تقول : حجر يحجر ، ولا باب يبوب . والبصريون يقولون يقدم الاسماء وأن الافعال مشتقة منها ، ولكل وجه (١) .

وصف لمنهج الكتاب وقيمه في اللغة :

يحتوى المؤلف على :

اولا - مقدمة .

ثانيا - صلب الكتاب .

أولا - المقدمة لا تتعرض لمنهج الكتاب وطريقة المؤلف في التأليف ، كما فعل الزبيدي

في أبيته (٢) ، وانما يدخل في موضوعات تمهيدية ، فيتحدث عن الافعال الثلاثية (٣) واضربها : صحيحة ومعئلة ومضاعفة ومتعدية الخ . . . . وعن مصادر الثلاثي (٤) ، والشواذ في ذلك ، واختلاف المصادر بالنسبة لاختلاف الصيغ . وعن مصادر الرباعي كذلك (٥) ،

- 
- (١) الافعال ، ابن القوطية : ١ .  
 (٢) الاستدراك على سيبويه : المقدمة .  
 (٣) الافعال : ١ .  
 (٤) المصدر نفسه : ٣ .  
 (٥) المصدر نفسه : ٥ .

وما يدخل من اختلاف في المصادر حين تدخلها احرف الزيادة<sup>(١)</sup>، والصفات في الالوان<sup>(٢)</sup>، والصفات بالجمال والقبح والعلل والاعراض<sup>(٣)</sup>، ثم يتحدث عن اقل بنية الكلمة<sup>(٤)</sup>. وهو يعهد بهذا الكلام لكتاب الافعال ليعين الدارس فان " هذا جملة ما يحتاج المتأدب اليه في الافعال وما ينصرف منها "<sup>(٥)</sup>. ومن هنا نستطيع ان نتصور ان هذا التصهيد هو، حسبما اراده ابن القوطية، مدخل الى دراسة كتابه، ووسيلة لفهم مواد هذا الكتاب.

### ثانيا - صلب الكتاب :

ينقسم الكتاب الى اقسام ثلاثة رئيسية :

- ١ - القسم الاول لما فيه فعل وأفعال<sup>(٦)</sup>.
- ٢ - القسم الثاني لما فيه أفعال وحدها<sup>(٧)</sup>.
- ٣ - القسم الثالث لما فيه فعل وحدها<sup>(٨)</sup>.

وفي هذه الاقسام الثلاثة جميعا اتبع ابن القوطية الترتيب التالي : الهمزة ، الهاء ، العين ، الغين ، الخاء ، الحاء ، الجيم ، القاف ، السين ، الشين ، الصاد ، الضاد ، اللام ، الراء ، النون ، الطاء ، الظاء ، الذال ، الدال ، الباء ، التاء ، الثاء ، الزاي ، الفاء ، الميم ، الواو ، الياء<sup>(٩)</sup>.

(١) الافعال : ٢ .

(٢) الافعال : ٧ .

(٣) المصدر نفسه : ٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٨ .

(٥) المصدر نفسه : ٩ .

(٦) المصدر نفسه : ٩ - ١٦٢ .

(٧) المصدر نفسه : ١٦٣ - ١٧٥ .

(٨) المصدر نفسه : ١٧٦ - ٣٠٤ .

(٩) انفرد ابن القوطية بهذا الترتيب وهو غير جار على ترتيب المفارقة للأبجدية أو على ترتيب سيبويه أو الخليل في العين أو القالي في البارح وللمقارنة أورد هنا ترتيب الخليل:

ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د ظ ن

ث و ل ن ف ب م و ي ا ء . ولكن قد يلحظ انه آثر نوعا مسن الترتيب على مخارج الحروف حسبما تراءت له .

وهذا الترتيب هو الترتيب الرئيسي داخل كل قسم ، اما الترتيب الفرعي داخل كل صيغة فان له شأنا آخر ، سنتبينه بدراسة اوسع فيما يلي :

للكتاب الافعال خطوط عريضة ، يمكن ان نصفها بأنها متسقة ومنسجمة ، ولكن ان نحن دخلنا في التفاصيل فسوف نبتعد شيئا فشيئا عن دقة التنظيم واتساق المنهج . لذلك فان أفضل طريقة ، حسب ما ارى ، لفهم منهج الكتاب فهما دقيقا هي في :

أ - رسم الخطوط العامة والاستشهاد عليها ، ثم :

ب - عقد مقارنة موجزة ، ولكنها دقيقة وواضحة ، بين ثلاثة أحرف لتبيان الفروق في التفاصيل بين أجزاء الكتاب .

أ - الخطوط العريضة :

بأخذ ابن القوطية الحرف الواحد ويقسمه الى قسمين : اولهما لما وردت فيه الصيغتان مع اتفاق في المعنى ، وثانيهما لما وردت فيه الصيغتان مع اختلاف في المعنى . ثم انه تناول كل قسم من هذين القسمين على الصورة التالية ، الافعال المضاعفة ثم الافعال الصحيحة ثم الافعال المعتلة . واما الافعال المضاعفة فلا اقسام تحتها . واما الافعال الصحيحة فانه جعلها اقساما بحسب صورة ماضيها ، فقسم خاص بـ فَعَلَ ، وآخر بـ فَعِلَ ، وثالث بـ فَعُلَ ، واقسام أخرى غير هذه الثلاثة اثبت فيهما ما ورد من الصيغ على اكثر من صورة واحدة مثل : فَعَلَ وفَعِلَ ، فَعَلَ وفَعِلَ ، وفَعُلَ وفَعِلَ ، وفَعَلَ وفَعِلَ ، الى ما سوى ذلك من صيغ . كما ان ابن القوطية قد جعل من المبهوز قسما قائما برأسه قبل المعتل . وفصل في المعتل بين الاجوف والناقص ، وفصل بين المعتل الذي سلم حرف عله وبين المعتل الذي ابدل حرف عله ، وفصل

بين المعتل بالواو وبين المعتل بالياء : وفصل بين المعتل بحرف واحد وبين المعتل بأكثر من حرف أو المعتل المهموز ، وفصل بين صيغ الافعال المختلفة في الماضي من المعتل ، كما فعل في الصحيح .

وأما في القسمين الآخرين - لما فيه افعل وحدها ، ولما فيه فعل وحدها - فانه اتبع التقسيم السابق ، سوى انه ها هنا لم يكن هناك الا صيغة واحدة فسي كل قسم . فلم يوجد صيغتان بمعنى متفق او بمعنى مختلف . اما ما عدا ذلك فانه اتبع الاسلوب الدراسي نفسه .

وقد التزم ابن القوطية ان يذكر الماضي والمصدر من كل ما اورده ، ومعانيهما الكثيرة دون ان يقتصر على واحد من المعاني .

هذي هي ، بصورة عامة ، الخطوط العريضة التي نهجها ابن القوطية في كتابه . والواقع ان مثل هذا الوضع المبسط قد لا يعطينا صورة دقيقة عن الكتاب . فيها هنا منهج متسق ، واما الكتاب فلم يكن كذلك . ولكي نستطيع ان نتبين حقيقة الوضع بالتفصيل سنعمد الى مقارنة ثلاثة احرف ، نختارها من اماكن متباعدة ، لنرى الى اى حد تقيّد ابن القوطية بمنهجه السابق . وسوف يكون لنا ، على كل حال ، في هذه الاحرف الثلاثة شواهد تجسّم الخطوط العريضة السابقة وتوضح دالاتها . غير انني سأعرضها بصورة موجزة ، ولكنها دقيقة ، تحافظ على الهيكل الأصلي ، كما ورد في الكتاب .

جدول بالأحرف : الجيم<sup>(١)</sup> ، الظاء<sup>(٢)</sup> ، والهاء<sup>(٣)</sup> :

(١) الافعال : ٤٦ - ٥٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١٢٠ .

(٣) المصدر نفسه : ١٢ - ١٤ .

حرف الجيم :

- الجيم على فَعَلَ وَأَفْعَلَ بمعنى واحد ، المضعف :

جَنَّهُ الليل جنانا وجنونا وأجنه : ستره

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ :

جهدته جهدا وأجهدته : بلغت مشقته .

- على فَعِلَ :

جَنِفَ في الحكم جَنَفًا وأجنف : جار .

- وعلى فَعِيلَ :

جُلِدَ المكان جلدا وأجلد : أصابه الجليد .

- المهموز على فَعَلَ :

جَفَأَتِ البابَ جَفْئًا وأجفأته : اغلقتة .

- المهموز على فَعِلَ :

جزئت المرأة وأجزأت : ولدت الاناث دون الذكور .

- المعتل بالواو في عين الفعل :

جَازَ الوادي جوازا وأجازه : قطعه .

- المعتل بالواو في لام الفعل :

جَزَا الشيءَ جزوا وأجزى : انتصب .

- المعتل بالياء في لام الفعل :

جويت الى الشيءَ جويها وجراء ، وأجويت : اسرعت .

- وعلى فَعَلَ وَأَفْعَلَ باختلاف معنى المضاف :

جززت الشعر والصوف جزاً : قطعتها .. وأجز النخل والبر : حان ان يجزأ .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ :

جَهَضَ جَهَاضَةً وجَهَاضَةً : حدث نفسه ، وأجهضت الناقة : القتل ولدها قبل تمامه

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ وَفَعَلَ وَفَعِلَ :

جزلت السنام والصيد جزلاً : قطعته بنصين .. وَجَزَلَ الشئُ : جزأته : عظم ..

وَجَزَلَ البعير جزلاً : انفج كاهله فرجة لا تبرا ، وأجزل العطية : كثرها .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ وَفَعَلَ :

جَمَلْتُ الشحم جملاً : أذنته ، وَجَمَلْتُ الشئُ : جملاً ، تم حسنه ، واجملت

الشئُ والحساب : جمعته .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ وَفَعِلَ :

جَحَمْتُ النار جحوماً : توقدت ، وَجَحِمْتُ العين جحمة : احمرت ،

وأجحمت عن الامر : تأخرت .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلُوا فَعِلُوا وَفَعِلُوا :

جَدَّرَ جدارةً : صار جديراً .. وَجَدَّرَهُ جدراً : أصابه الجدرى ، وَجَدَّرَ

الظهر جدراً : صارت فيه جدرة شبه الحدبة ، وأجدرت الأرض : انبتت الجدر .

- الثلاثي الصحيح على فَعِلَ :

جَمِهَلَ جمهلاً : ضد علم ، وأجهلته : وجدته جاهلاً .

- الثلاثي الصحيح على فَعُلَ :

جَبِنَ جبناً : ضعف قلبه ، وأجبنته : صادفته جبانا .

- المهموز على فَعَلَ :

جزأت بالشيء جزأ : اكتفيت به ... وأجزأ الشيء : كفى .

- المهموز المعتل في عينه :

جاء جيئة وجياً : أقبِل ٠٠ وأجاتك الى الشيء : اضطررتك اليه .

- المعتل بالواو في عين الفعل :

جاب الغلاة والثوب وكلّ شيء جوبا : خرّقه ٠٠ وأجاب : ردّ الجواب .

- وبالياء على فَعَلَ من السالم ، وبالواو على فَعَلَ من المعتل :

جيد جيداً : طال جيد ، وجيد جواداً : عطش ، وجاد الشيء جودة :

أى صار جيداً ، ٠٠ وأجاد الرجل أجود : أتى بجيد من قول أو فعل .

- وبالياء في لامه من السالم على فَعَلَ ، والمعتل بالواو على فَعَلَ :

جلي جلى : انحسر الشعر من مقدم رأسه ، وجلوت السيف وغيره جلاء :

صقلته ٠٠ وأجلى الأمر عن كذا ٠٠ : كشف .

- وبالواو والياء في لامه معتلاً :

جبا الخراج جباوة وجباية ٠٠ : جمعه ، وأجبى : باع الزرع قبل ادراكه .

- وبالواو في لامه معتلاً :

جفا الشيء والجسم جفاء : غلظ خلقه ٠٠ وأجفى الراعي العاشية :

اتعبها بالسوق ومنعها الرعي .

- وبالياء في لامه معتلاً :

جرى الفرس جراً وجرياً ٠٠ وأجرت الكلبة والذئبة : كان لهما جراً .



## حرف الظاء

- الظاء على فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى واحد ، المضاعف :  
ظَلَّ اليوم ظلاله ، وأظْلَّ : صار ذا ظِلٍّ .
- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ :  
ظَلَفَتْ اثري ظلغا وأظلقته : مشيت في صلابة الأرض .
- فَعَلَ وأَفْعَلَ باختلاف معنى ، المضاعف :  
ظَلَّ يفعل كذا وكذا : فعله نهارا ، وظَلَّلت أفعله ظلولا ، والشئ : طال  
ودام ، وأظْلَّ الأمر : أشرف .
- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ :  
ظلم العبد بالشرك ربّه ظلما ، والاسم الظلم .. وأظلمنا : صرنا في الظلام
- وعلى فَعَلَ وَفَعَلَ :  
ظهرت على الحدو .. : ظهورا .. : علوت .. وأظهرنا : صرنا في الظهيرة
- وعلى فَعَلَ :  
ظَرَفَ الغلام والجارية ظرفا وظرافة : بَرَعَا وأدبها .. وأظرف الوالد ، ولد  
ولدا ظرفيا .
- المهموز :  
ظارت الناقة ظارا : عطفتها على بئها فأظارت .

## حرف الهاء

- الهاء من الثلاثي الصحيح على فَعَلَ وأفعل بمعنى واحد :
- هدرت الدم هدرًا ، وأهدرته فهدر : أى بطل .
- وعلى فُعِلَ وأُفْعِلَ :
- هرع الانسان هرعًا وأُهرِع : سبق وأعجل .
- المهموز على فَعَلَ :
- هراء البرد هراء وأهراء : بلغ منه .
- المعتل بالياء في عين الفعل :
- هال الطعام والتراب هيلًا : صبّه ، وأهاله لفة .
- وبالياء في لامه :
- هديت المرأة الى زوجها هداءً ، واهديتها لفة .
- المضاعف على فَعَلَ وأُفْعَلَ بمعنى مختلف :
- هلّ المطر هلاً : انصب بشدة ، وأهلّ الهلال : طلّمع .
- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ :
- هرب هربًا وهروبًا ، فرّ ، وأهرب : أسرع .
- وعلى فَعَلَ وفُعِلَ :
- هدّبت كل محلوبة هدّبا : حلبت بأطراف الاصابع .. وهدّب الانسان هدّبا : طالت أشفاره .. وأهدب الشجر : كثرت اغصانه وهي الهدب .
- وعلى فَعَلَ وفُعِلَ :
- هضمت الشيء هضما : نقصته .. وهضمت الجارية .. : لطف حشاها .



## الجزء الثاني :

- الجيم ، الثلاثي الصحيح على فعل
- الظاء ، " " " " " "
- الهاء ، الثلاثي على فُعِلَ وأُفْعِلَ .

## الجزء الثالث :

- الجيم ، وعلى فَعِلَ
- الظاء ، وعلى فَعَلَ وَأَفْعَلَ باختلاف معنى ، المضاعف
- الهاء ، المهموز على فَعَلَ .

والمفروض، لو ان منهج ابن القوطية متسق ومتساو، ان تكون كل مجموعة من هذه المجموعات تحمل نفس التقسيم . ونحن نستطيع باستعارة بعض التعبيرات الرياضية ان نصور هذه المجموعات بالصورة التالية :

١ - ج = ظ والاشتان لا تساويان : هـ

٢ - " " " " " " " "

٣ - ج لا تساوي ظ و ظ لا تساوي هـ

وطبيعي اننا نستطيع ان نستمر، بمراجعة الجدول الفائق، في عقد هذه المقارنة وسنكتشف عندئذ مبلغ ما خرج به ابن القوطية عن الخطوط العريضة التي رسمناها لمنهجه، في كلام سابق .

وهذا الجدول السابق قد اختير بحيث تقل الاختلافات قدر الامكان . ويعهود السبب في ذلك الى انني تعمدت ان تكون الاحرف الثلاثة من قسم واحد من الكتاب،

وهو القسم الاول ، - الصيغة على فعل وأفعل - ولونحن قارئاً بين صيغة من القسم الاول وصيغة من القسم الثاني - أفعل - او الثالث - فعل - فان الفروقات ستصبح أشد بروزاً ، مع صرف النظر ، بطبيعة الحال ، عن الفروقات التي نجمت عن طبيعة كل حرف .

ومما زاد في التشويش ان ابن القوطية لم يعتبر الا الحرف الاول من المادة فقط . وهذا أدى الى زيادة الصعوبة في العثور على اللفظة المطلوبة .

ويمكن لدارس الكتاب ان يلحظ في يسر كيف تدر فيه أسماء اللغويين . وما ذلك الا لان الموضوع غير قائم على الاستثناس بالرواية ، فهذه هي طبيعة الافعال في اللغة ولا ينفرد فيها عالم دون آخر برأيه الا في النادر ، وانما هم المؤلف حصراً في نطاق لا يشذ عنه شيء .

وهذا الكتاب جدول او مجموعة من الجداول ، ولو انه طبع على هذا الشكل لكان استخراج الفوائد منه اسرع . وهو اقرب الكتب اللغوية القديمة الى موضوع اللغة ، واكثرها التصاقاً بهذا الموضوع . " فالافعال " لابن القوطية كتاب لغوي صرف ، ليس كتاب اخبار ولا كتاب أدب ، ولا تشويه الروايات والمقطوعات الشعبية مثل ما كان الامر بالنسبة لكثير من الكتب اللغوية . وحتى كتاب الاستدراك على سيبويه ، وهو كتاب أبنية ، لم يجرد من الاخبار والاشعار ، وبخاصة في تفسير الغريب الذي قام به الزبيدي تعقياً على النصوص والالفاظ المستغلة .

كذلك يندر فيه الاستشهاد بالشعر والاحاديث والآيات وأمثال العرب . والاستشهاد بالاحاديث النبوية اكثر من سواء (١) . فاذا استشهد ببيت شعر لم يكذب ينسبه لقائله الا في ما ندر .

وقد لاقى الكتاب شهرة واسعة ، وامتدحه اصحاب التراجم والمؤرخون فجاء في انباء الرواة : " وله كتاب في الافعال لم يؤلف مثله " (١) . وأشار بعض المؤرخين الى انه اول من استن هذا الفن - وقد رأينا انه لم يكن كذلك . ولكن كتابه كان ذا أثر في التأليف من بعده فاحتذاه ابن القطّاع كما بسطه تلميذه سعيد بن محمد المعافى القرطبي المعروف بابن الحداد (٢) .

---

(١) انباء الرواة ٣ : ١٧٨ ، وانظر : جذوة المقتبس : ٧٢ ،  
يتيمة الدهر : ٧٤ .

(٢) من هذا الكتاب نسخة بدار الكتب المصرية (٣٤٣ صرف) . فقد اطلع عليها الدكتور حسين نصار ووصفها في كتاب " المعجم المربي " ( ١٦٥ - ١٦٦ ) . وخلاصة ما ذكره ان المعافى صدر كتابه بمقدمة قرظ فيها كتاب استأذنه ، ثم غير في ترتيب الحروف الذي اتبعه ابن القوطية واختار ترتيب سيبويه ، وزاد ابواب الرباعي المجرد ، والمزيد من الثلاثي والرباعي ، وغير في ترتيب فصول ابن القوطية ، وكرر الفعل مع كل معنى جديد ، وزاد في الشرح واستكثر من الشواهد ، واتى بأفعال لم يتعرض لها ابن القوطية جعلها استدراكا في خاتمة كل فصل ، وميز بين ما كان لدى ابن القوطية وما زاده بالتصريح باسمه حيث اقتضى الامر ذلك .

ثالثا - ابو علي القالي \* ( - ٣٥٦ / ٩٦٧ ) ومؤلفاته :

نسبه ونشأته :

هو اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان (١).  
ويبدو انه لم يتحدر من أصل عربي صريح ، نستنتج ذلك من ان جده سليمان كان  
" مولى عبد الملك بن مروان " .

وقد ولد ابو علي بمنازجرد من ديار بكر ، وهي من أعمال أرمينية (٢). وكانت  
ولادته عام ثمان وثمانين ومائتين (٣) (٩٠٧) ، في رواية ، وفي رواية اخرى انه ولد عام  
ثمانين ومائتين (٤) (٨٩٧).

وفي منازجرد نشأ (٥) ، وأغلب الظن انه أقام في تلك الجهات فترة من  
الزمن الى ان كبر واشتد عوده . وتاريخ حياته في تلك الفترة غامض للغاية ، وليس  
هناك من الاخبار عن طفولته وأول شبابه سوى ما اوردته من رواية ولادته ، ورواية

\* ألف ابو محمد الفهرى كتابا في نسب ابي علي البغدادي ورواياته ودخوله الاندلس  
( نفع الطيب ٤ : ٧٢ ) ، ولكن الكتاب لم يصلنا .

(١) انظر ترجمته في : طبقات الزبيدي : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، تاريخ ابن الفرضي ١ : ٨٣ ،  
جذوة المقتبس : ١٥٤ ، بغية الملتبس : ٢١٦ ، فهرسة ابن خير : ٣٩٥ .  
انباء الرواة ١ : ٢٠٤ ، وفيات الاعيان رقم ٩٢ ، بغية الوعاة : ١٩٨ .  
شذرات الذهب ٣ : ١٨ ، معجم الادباء ٧ : ٢٥ ، معجم البلدان ،  
مادة قاليقلا ، نفع الطيب : ٤ : ٧٥ - ٧٥ ، بروكلمان ٢ : ٢٧٧ -  
٢٧٨ ( الترجمة الصربية ) .

(٢) انباء الرواة ١ : ٢٠٤ ، بغية الوعاة : ١٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ١ : ٢٠٧ ، تاريخ ابن الفرضي ١ : ٨٣ .

(٤) جذوة المقتبس : ١٥٧ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٤ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ ،

معجم الادباء ٧ : ٢٧ .

(٥) جذوة المقتبس : ١٥٤ .

نشأته في منازجرد . وتظل الحقبة ما بين ولادته وبين انتقاله الى العراق حقبة غير معروفة . غير اننا نستطيع ان نحدد هذه الحقبة زمنيا حين نعرف ان القالي نفسه يقول " ورحلت الى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة ( ٩١٦ م ) " (١) .

### تلقبه بالقالي :

وغلب عليه لقب القالي . وهو نسبة الى مدينة قالي قلا . وهرى لنا القالي نفسه سبب تلقبه بهذا اللقب فيقول : " لما احدثنا الى بغداد كما في رقعة فيها اهل قالي قلا ، فكانوا يحافظون لمكانهم من الثغر ، فلما دخلت بغداد ، انتسبت الى قالي قلا وهي قرية من منازجرد ، رجوت ان انتفع بذلك عند العلماء ، فعسى عليّ القالي " (٢) ، ونحن نجد روايات مشابهة لذلك في اللفظ والمعنى - اللاحق ينقل عن السابق - في غير مصدر من المصادر التي ترجمت له .

والقالي قلا هذه بلدة قريبة من مسقط رأس أبي علي ، اذ ان ذكرها في كتب التاريخ يرد في كثير من الاحيان مرتبطا بذكر منازجرد . يقول ياقوت : " قاليقلا ؛ بأرمينية المعظمى من نواحي خلاط ثم من نواحي منازجرد من نواحي أرمينية الرابعة " (٣) . فالبلدتان اذن من أعمال ارمينية . ويقول القطي : " قاليقلا ، وهي قرية من منازکرد " (٤) . غير انه يبدو غريبا ان ينتسب ابو علي الى قاليقلا في حين انها قرية من قرى منازکرد . فالأولى في مثل هذه الحال ان ينتسب الى بلده الأصلي . ومهما يكن من أمر فانه كان لقاليقلا ، على ما يبدو ، مكان في قلوب الناس ، ففي تلك

- 
- (١) انباء الرواة ١ : ٢٠٧ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٤ .  
 (٢) طبقات الزبيدي : ٢٠٥ .  
 (٣) معجم البلدان : مادة قاليقلا .  
 (٤) انباء الرواة ١ : ٢٠٨ .



الرحلة " كانت معهم خيل ، فكلما دخلنا بلدا حافظ اهله اهل قاليقلا ، وكانت معهم دواب ، فأراد بعض العمال اخذها منهم ، فلما انتسبوا الى قاليقلا تركوها ، ورأيت الناس يعظفونهم " (١) .

فیر ان هذه المظاهر كلها لم تنفع القالي كثيرا ، فلقد غره في بداية الامر هذا الاستقبال والترحاب فقرر ان يختتم الفرصة ويستفيد من هذه الميزة ، وهو يقول : " فلما دخلت بغداد انتسبت الى قاليقلا ، ورجوت ان ينفعني ذلك عند العلماء ، فلم انتفع بذلك ، وعرفت بالقالي " (٢) . وقد تلبسه اللقب وفاته الحظوة .

### دخوله العراق :

في سن الخامسة عشرة او في سن الثالثة والعشرين - تبعا للرواية التي نأخذ بها من روايتي مولده - دخل ابو علي العراق . وأمیل الى تفضيل سن الثالثة والعشرين ، اذ انها تناسب الرحلة والانتقال لأخذ العلم . فمن المشكوك فيه ان يتمكن من هو في الخامسة عشرة من السفر أو كوكب المشقات ، ما لم يكن مصحوبا بمن يهتم بشئونه ، وهذا ما لم يذكره التالي في احاديثه عن نفسه ، بل كان يشير دائما الى نفسه بصيغة المفرد .

اتفق المؤرخون على ان ابا علي ترك بلده عام ثلاث وثلاثائة ، ولكنهم لم يتفقوا على تحديد الطريق التي اتبعها . فمنهم من يدعي انه " دخل بغداد في سنة ثلاث وثلاثائة " (٣) ، ومنهم من يرى انه عرج على الموصل قبل دخوله بغداد ،

(١) انباء الرواة ١ : ٢٠٩ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) تاريخ ابن الفري ١ : ٨٣ ، جذوة المقتبس : ١٥٤ ، بخية الوعاة : ١٩٨ ، معجم الادباء ٧ : ٢٦ .

وقد نقل عنه قوله : " ورحلت الى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة فأقمت بالموصل ، وكتبت عن ابي يعلى الموصلي وغيره ، ثم دخلت بغداد سنة خمس وثلاثمائة " (١) . وربما كانت هذه الرواية اقرب الى الصدق ، اولا : لانها لا تنفي قدوم القاضي السلي بخداد وانما تؤجل هذا القدوم ، ثانيا لان الموصل في طريق القادمين من ارمينية ويغلب الظن ان القاضي عرج عليها لياخذ من علماءها ، ثالثا : ورد في غير مرجع تحديد لاسم عالم او اكثر ممن اخذ عنه ابو علي في الموصل ، وتحديد للعلم الذي تلقاه ، رابعا : في بعض المصادر التي ربطت دخول ابي علي بخداد بعام خمسة وخمسة اشارة تجعلنا نميل الى الاعتقاد بدخول ابي علي الموصل قبل وروده الى بغداد ، هذه الاشارة هي : " وقيل : انه كان سمع من ابي يعلى أحمد بن علي بن العثني الموصلي " (٢) . ومعنى ذلك أن ابا علي أقام في الموصل سنتين يكتب " عن ابي يعلى الموصلي وغيره " . وكان للحديث اكبر نصيب من هذه الدراسة اذ يحدد آخرون طبيعتها فيقولون : " وأقام بالموصل لسماع الحديث " (٣) . واجتذبت بخداد فانقل اليها ، او هو تابع طريقه الى بغداد وفق الخطة التي كان قد رسمها لنفسه في انتقاله من بلده منازجرد . ودخلها عام خمسة وخمسة ، كما رأينا في الروايات السابقة . وكان سنة آنذاك خمسة وعشرين عاما فهو شاب ناضج قادر على مواجهة اعباء الحياة والدخول في المجالس العلمية والدينية .

### اساتذته :

يمكن تقسيم الاساتذة الذين اخذ عنهم في بخداد الى قسمين رئيسيين :

- (١) طبقات الزبيدي : ٢٠٤ ، انباء الرواة ١ : ٣٠٧ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ .
- (٢) جذوة المقتبس : ١٥٥ . وقول هذه الرواية " وقيل " بصيغة التعريض لا داعي له فان الزبيدي وهو اقرب الى القاضي من غيره يقول بصيغة القطع : فأقمت بالموصل وكتبت عن ابي يعلى الموصلي وغيره (٢٠٤)
- (٣) وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ .

أ - اساتذة في الحديث والعلوم الدينية . ومن هؤلاء : " ابو بكر عبد الله بن ابي داود السجستاني وابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد وابو هرير يوسف بن يعقوب القاضي ، وابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي المعروف بابن بنت منيع ، وابراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي من ولد الامام ، واحمد بن اسحق بن البهلول القاضي ، وابو عبد الله الحسين القاضي وابو عبيد اخوه القاسم ، ابنا اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن الضبي المعروف بابن المحاصلي ، وابو بكر محمد بن يوسف بن يعقوب بن بهلول الأزرق الكاتب ، وابو بكر احمد بن محمد البستبان ، وابن قطن الاسكافي ، وابو سعيد الحر بن علي بن زكريا بن يحيى العدوي " (١).

ب - اساتذة في الأدب واللغة والخبر : وهؤلاء فئة أخرى من الاساتذة تلقى عنهم التالي ، ولازمهم تلك الفترة الطويلة من اقامته في بغداد .  
وقد عدد لنا ابو علي جماعة ممن أخذ عنهم فقال : " وسمعت الاخبار واللغة من ابي بكر محمد بن الحسن بن دويد الازدي البصري (٢) ، وابي بكر محمد

(١) طبقات الزبيدي : ٢٠٤ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٧ .

(٢) ولد في البصرة سنة ٢٢٣ / ٨٣٨ ، ومات سنة ٣٢١ / ٩٣٣ ، وكان أعلم الناس في زمانه باللغة والشعر وأيام العرب وانسابهم . من مؤلفاته كتاب الجمهرة ، كتاب السج واللجام ، كتاب الاشتقاق ، كتاب الخيل الكبير ، كتاب الخيل الصغير ، كتاب الانواء ، كتاب المجتنى ، كتاب المقتبس ، كتاب الملاحن ، كتاب رواية العرب ، كتاب ما سئل عنه لفظا فأجاب عنه حفظا ، كتاب اللغات ، كتاب السلاح ، كتاب غريب القرآن ، كتاب ادب الكاتب .  
انظر : طبقات الزبيدي : ٢٠١ ، وانباء الرواة ٣ : ٩٢ - ١٠٠ .

ابن بشار الانباري (١) وامي عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف  
بنفطويه (٢) ، ومن ابي بكر محمد بن السري السراج النحوي (٣) ومن ابي بكر محمد  
ابن شقير النحوي (٤) ، ومن ابي اسحق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج النحوي (٥) ،

- (١) ولد سنة ٢٢١ / ٨٨٤ وتوفي سنة ٣٢٨ / ٩٤١ . سمع من الائمة في زمانه  
وروى عنه مثل ذلك . وكان احفظ الناس للغة والنحو والشعر وتفسير القرآن . من  
مؤلفاته : كتاب المشكل في معاني القرآن . كتاب الاضداد في النحو ، كتاب  
الزاهر ، كتاب الكافي في النحو ، كتاب ادب الكاتب ، كتاب المقصور والمعدود ،  
كتاب المذكر والمؤنث ، كتاب الموضح في النحو ، كتاب نقض مسائل ابن شنبوذ ،  
كتاب غريب الحديث ، كتاب الهجاء ، كتاب اللامات ، كتاب الوقف والابتداء ،  
كتاب السمع الطوال المطول ، كتاب المجالس ، كتاب شرح العفضليات ، وكتب أخرى .  
(انظر : انباء الرواة ٣ : ٢٠١ - ٢٠٨) .
- (٢) توفي ببغداد سنة ٣٢٣ / ٩٨٥ او ٣٠٣ / ٩١٥ ، كان ادبيا متفننا في الأدب  
حافظا للشعار ، وكان ضعيفا في النحو . (انظر طبقات الزبيدي : ١٢٢ ،  
وانباء الرواة ١ : ١٧٦ - ١٨٢) .
- (٣) كان احد العلماء المذكورين بالادب وعلم العربية ، ومن تلامذة المبرد . من  
مؤلفاته : كتاب الاشتقاق ، كتاب شرح سيبويه ، كتاب الجمل وكتب أخرى . (انظر :  
طبقات الزبيدي : ١٢٢ - ١٢٥ ، وانباء الرواة ٣ : ١٤٥ - ١٥٠) .
- (٤) ذكره القحطي بغير تعريف (الانباء ٣ : ١٥١) ، وذكره الزبيدي في الطبقة  
التاسعة من النحويين البصريين ، ضمن اصحاب المبرد وهم : ابو اسحاق الزجاج ،  
ومحمد بن السراج ، ومبرمان ، وابو زرعة الغزاري ، وعلي بن سليمان الاخفش ،  
وابن درستويه ، وابو بكر بن ابي الازهر ، وابن الخياط . (طبقات الزبيدي :  
١٢٨) .
- (٥) توفي في بغداد سنة ٣١٦ / ٩٢٨ ، من تلاميذ المبرد . من مؤلفاته : كتاب  
الاشتقاق ، كتاب العروض كتاب الفرق ، كتاب خلق الانسان ، كتاب خلق الفرس ،  
كتاب مختصر في النحو ، كتاب فعلت وأفعلت ، كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف ،  
كتاب شرح ابيات سيبويه ، كتاب النوادر ، كتاب الانواء . (انظر : طبقات  
الزبيدي : ١٢٢ - ١٢٥ ، وانباء الرواة ١ : ١٥٩ - ١٦٦) .

ومن ابي الحسن علي بن سليمان بن الفضل الاخفش<sup>(١)</sup>، ومن ابي بكر محمد بن ابي  
الأزهر<sup>(٢)</sup>، ومن ابي محمد عبد الله بن جعفر درستويه<sup>(٣)</sup>، اخذت منه كتاب  
سيبويه عن المبرد، ومن ابي جعفر بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة<sup>(٤)</sup>، اخذت  
منه كتاب ابيه، ومن ابي بكر احمد بن محمد بن موسى بن مجاهد المقرئ، قال:  
قرأت عليه القرآن بحرف ابي عمرو بن العلاء<sup>(٥)</sup> غير مرة، واخذت كتابه في  
القراءات السبع وغير ذلك، ومن ابي عمر بن عبد الواحد العطرز<sup>(٦)</sup> غلام ثعلب،  
حدثنا عن ثعلب، ومن ابي بكر محمد بن عبد الملك التايخي<sup>(٧)</sup>، ومن احمد بن  
يحيى المنجم النديم اخذت منه كتاب الزبير بن يكار في النسب، ومن الدمشقي

- 
- (١) توفي ببغداد سنة ٣١٥ / ٩٢٢، اخذ عن ثعلب والمبرد وغيرهما . وقد رحل  
الى مصر سنة ٢٨٧ / ٩٠٠ وعاد منها سنة ٣٠٦ / ٩١٨ . ولم تعرف له  
مصنفات . (انظر طبقات الزبيدي ١٢٥ - ١٢٢، وانباء الرواة ٢ : ٢٧٦ - ٢٧٨)
- (٢) توفي (٣١٣ / ٩٢٥)، من تلاميذ المبرد . من مؤلفاته : كتاب اخبار الهجر  
والهج ، وكتب اخبارية اخرى . (انظر طبقات الزبيدي : ١٢٢ ، فهرسة ابن  
النديم : ١٤٢ - ١٤٨)
- (٣) توفي ٣٤٧ / ٩٥٨ ، وهو من تلاميذ المبرد ، له تفسير لكتاب الجرمي ، تفنن  
فيه وجمع اصول العربية . وله كتاب الارشاد في النحو (طبقات الزبيدي : ١٢٧)
- (٤) ولد ببغداد ، وانتقل الى مصر لتولي القضاء سنة ٣٢١ / ٩٣٣ ، وبقي فيها  
الى ان مات سنة ٣٢٢ / ٩٣٤ ، وروى كتب ابيه . (انظر انباء الرواة  
١ : ٤٥ - ٤٦)
- (٥) لغوى بصرى ، وكان من جلة القراء والموثوق بهم . توفي سنة ١٥٤ / ٧٧١ .  
(انظر طبقات الزبيدي ٢٨ - ٣٤)
- (٦) من تلاميذ ثعلب ويعرف بغلام ثعلب . توفي ببغداد سنة ٣٤٥ / ٩٥٦ .  
(انظر طبقات الزبيدي : ٢٢٩)
- (٧) هناك ترجمة اوردها القطني لمحمد بن عبد الملك النحوي البغدادي . ولعله  
هو الذي اخذ عنه القالي . (انظر : انباء الرواة ٣ : ١٧٠)

احمد بن سعيد (١) « (٢) . وهذه مجموعة ممتازة من العلماء ، استطاع القالي ان يستفيد من صحبتهم فترة طويلة من الزمن .

وفي امكاننا ان نحدد ما درسه على كل واحد من هؤلاء العلماء ، وانما اكتفي بذكر اكبر عالين أثرا فيه ووجهها دراسته وهما ابن دريد ونفطويه .

فقد أخذ عن الاول منهما كتب أبي حاتم السجستاني ككتاب لحن العامة قال : قرأته غير محبوب على أبي بكر بن دريد . وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب الفرق وكتاب الحشرات وكتاب الوحوش وكتاب الطير . ثم كتب ابن دريد نفسه كالجمره والعلاحن ، وكتب أبي زيد الانصاري ، وكتب الأصمعي ونوادير أبي زياد الكلابي والاشعار الستة الجاهلية وأشعار هذيل وشعر أعشى بكر وأراجيز العجاج ورؤفة وشمر طفيل الغنوي وشعر عمرو بن أحمد الباهلي وشعر جميل وشعر أبي النجم وشعر النابغة والشماخ والمثقب وعروة بن الورد وشعر كثير والقطامي وعدى بن زيد والافسوه والمرقشين وسلامة بن هندل وقيس بن الخطيم والطرماح وامرئ القيس ودريد بن الصمة وأبي خلدة وطفيل الغنوي (٣) .

وقرأ على نفطويه كتاب اطرفش في اللغة والابخار والنقاظ وشعر ذى الرمة وعمرو بن قيسه وعلقمة بن عبدة ، والنابغة الجعدي وأوس بن حجر والاخلط وعمرو بن أبي ربيعة وجوير . (٤) .

- 
- (١) النحوي الاخباري الفقيه . كان يؤدب اولاد المعتز . (انظر: انباء الرواة ١ : ٤٤ - ٤٥)  
 (٢) طبقات الزبيدي : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، وانباء الرواة ١ : ٢٠٧ - ٢٠٨ .  
 (٣) فهرسة ابن خبير : ٣٤٨ ، ٣٦١ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ - ٣٩٧ .  
 (٤) المصدر نفسه : ٣٧٢ ، ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٥ - ٣٩٧ .

والقالي في هذه الفترة العراقية يدون خطواته في هذا الجهاد العلمي الذي نذر له نفسه ويقيّد كل ما قرأه وزمان قراءته على نحو تفصيلي دقيق فاذا تحدث عن كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد قال : " ابتدأت بقراءة هذا الكتاب على أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري سنة ٣١٧ / ٩٢٩ يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة في مسجده على باب داره في درب البقر بسر من رأى وأكملته يوم الثلاثاء لخمس مضيّن من ذى القعدة سنة احدى وعشرين (٩٣٣م) وكانت قراءتي عليه في الثلاثاوات وكانت مدة قراءتي اياه عليه أربعة أعوام وأربعة أشهر وسبعة عشر يوما" (١). واذا ذكر كتاب الالفاظ ليعقوب ابن السكيت قال : " بدأنا بقراءة هذا الكتاب على أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٣٢١ / ٩٣٣ " (٢).

وفي هذين النصين حقائق هامة ، فمنهما نعلم نظام الطلب العلمي والدراسة فهناك تعاقب وترتيب في التدريس ، وذلك أن القالي بعد انتهاء من الكتاب الاول توقف اسبوعا أو نحوه وابتدأ الكتاب الثاني الا انه قرأ الكتاب الاول منفردا لقوله : " قرأت " ثم أخذ يقرأ الثاني مع مجموعة من الطلبة لقوله : " قرأنا " وبدلّ النصان كذلك على أن ابن الانباري كان قد خصص يوما معيناً للتدريس في الاسبوع ، وأن الطالب لذلك كان يقضي في دراسة كتاب واحد عدة سنوات ، كما يدلنا النصّ الأول على أن أبا علي القالي لم ينفق كلّ وقته في بغداد ، إذ نراه يدرس أيضا في سر من رأى .

لكل هذا كانت السنوات التي قضاها في العراق هي الاعوام التي جعلت

(١) فهوسة ابن خير : ٣٢٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٢٩ .

من القالي عالما يتميز بسعة الاطلاع والتوثيق في ما يأخذ ويدرس مثلما يتميز بروح علمية غاية في الدقة ، وستكون دقته العلمية أكبر العوامل التي امالت اليه قلوب الاندلسيين ، وأثرت في طلابه تأثيرا بعيدا ، ووضعت الأصول الصحيحة للحياة اللغوية في الاندلس . ولم يشب علمه تزيد أو ادعاء ، فاذا حمل من بعد الى الاندلس كتبنا لم يقرأها على الشيخ قال انه لم يقرأها ، فقد كان أتقى لله وأشد اخلاصا لروح العلم من أن يكذب ، قال وهو يتحدث عن ديوان زهير " شعر زهير بن أبي سلمى تام في جزء رواية مجاهد عن ثعلب - فرع لا أصل له ، خلفت الأصل ولم يتسع الوقت فأقابل " (١) ، وقال : " شعر أبي نواس ولم أقرأه " (٢) ، وقال : " ومقاتل الفرسان نسخة غير مرضية ولا مسموعة " ، وجزء فيه عدة من أيام العرب ومعاني الشعر للباهلي تام ، وقد كنت اشتهيت هذه النسخة على أن أقابلها فقطعني عن ذلك الشغل " (٣) .

فلا عجب بعد هذا اذا أثنى المؤرخون على أبي علي فقالوا فيه " كان أحفظ أهل زمانه للغة ، وارواهم للشعر الجاهلي ، واحفظهم له ، واعلمهم لعلل النحو على مذهب البصريين ، واكثرهم تدقيقا فيه " (٤) .

وهناك من الاخبار ما يشير الى ان ابا علي لم يقف عند حدود الاخذ فحسب ، وانما تعدى ذلك الى المشاركة الفعلية في المناقشات . ويظهر لنا ذلك واضحا في اتصاله بابن درستويه : " قرأ على ابن درستويه كتاب سيبويه أجمع ، واستفسره جمعه ،

(١) فهرسة ابن خير : ٣٩٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه : ٣٩٨ .

(٤) طبقات الزبيدي : ٢٠٢ . وانظر أيضا جذوة العقاب : ١ : ٢٠٥ ، ووفيات الاعيان

١ : ٢٠٤ ومعجم الادباء ٧ : ٣١ وبغية الوعاة : ١٩٨ .



ونأظوه فيه ، ودقق النظر ، وكتب عنه تفسيره ، وعلل العلة ، وأقام عليها الحجّة ، وأظهر فضل البصريين على الكوفيين ، ونصر مذهبه على من خالفه من البصريين أيضاً ، وأقام الحجّة " (١) . ومن هذا الخبر يمكننا ان نستنتج ان ابا علي كان يتطلّب العمق في دراسته والشمول ، وكان له الى جانب ذلك شخصيته التي تؤيد وتدحض ، وتتصر مذهبها على مذهب وعالمها على عالم .

وليس هناك ، بين ما عثرت عليه من أخبار ، ما يشير الى طبيعة المناقشات التي كان ابو علي يشارك بها . وليس لدينا امثلة من هذه المناقشات لنعرف مدى ما اثاره القالي من جدل ومدى ما احرزه من تفوق . انما يهمننا ان نعرف ان ابا علي بعد ثلاثة وعشرين عاماً من اقامته في بغداد ودراسة الجادة هناك ، وبعد ان بلغ من العمر ستة واربعين عاماً ، وجد نفسه في موضع لا يمكن وصفه بانه موضع القصة . ويبدو انه أحس بأنه لن يبلغ القمة في بغداد أبداً . ذلك انه وجد في عصر " الجبارة " - ان صح القول - " وادرك المشايخ ببغداد كابن الانباري ، وابن درستويه ، وابن دويد ، ومن في عصرهم " ، وسمع من سائر العلماء الاعلام الذين عدت اسماءهم من قبل . ولم يكن يستطيع ان يتفوق عليهم او يبرز له اسم بينهم لو ظل مقيماً ببغداد ، ولذلك كانت هجرته الى الاندلس مجالاً حسناً للتفرد والشهرة .

وفي الطويق بين العراق والاندلس تقع مصر . ولنا نملك من اشارة السي مكوث ابي علي فيها سوى عبارة قصيرة وردت في انباء الرواة وهي : " . . . ابو علي القالي المعروف بالبغدادى نزل مصر " (٢) ، ولا يمكننا بالضبط كشف ما تطوى عليه

(١) انباء الرواة ١ : ٢٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٢٠٤ .

هذه العبارة ، وما يمكن ان تدل عليه من زمن . غير اننا اذا عرفنا ان الطريق بين العراق والاندلس استغرقت عامين ، لممكننا عندئذ ان نستنتج بان اقامته في مصر - لو تحققت - لم تستغرق اكثر من شهرين قلائل .

### في قرطبة :

" قال ابو علي : وخرجت عن بغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (١٤٠ م) ، ثم دخلت الاندلس في سنة ثلاثين وثلاثمائة (١٤٢ م) ، ثم دخلت قرطبة في شعبان لثلاث بقين منه سنة ثلاثين وثلاثمائة " (١).

وقد " وفد على الاندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن " (٢). وبعد ان يذكر المقرئ تاريخ دخول القالي لقرطبة يقول : " وهو مما يعين انه قدم في زمن الناصر ، لا في زمن إقبته الحكم ، . . . وقد صرح بذلك الصفدي في السوافي فقال : ولما دخل المغرب قصد صاحب الاندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن " (٣). ومما مضى نرى ان خلافاً نشأ حول زمن وفادة ابي القالي الى الاندلس منشؤه الوهم الخالص ، ذلك ان الذين ظنوه وفد أيام المستنصر لم يعلموا أن هذا الامير كان مهتماً بتشجيع العلوم والعلماء في حياة الناصر أيه . وصرح المقرئ بوجود مثل هذا الخلاف فقال : " وبعض المؤرخين يزعم ان وفادة ابي علي القالي انما كانت في خلافة الحكم المستنصر بالاندلس ، لا في خلافة اييه الناصر ، والصواب ان وفادته في أيام الناصر ، لما ذكره غير واحد من حصره وعيّه عن الخطبة يوم احتفال

(١) طبقات الزبيدي ، انباء الرواة ١ : ٢٠٨ .

(٢) نفع الطيب ٤ : ٧٠ .

(٣) المصدر نفسه ٤ : ٧٣ .

## الناصر لرسول الافرنج" (١).

ولم يكن القالي في طريقه الى الاندلس كثير التفاؤل بحال اللغة فيها، فلقد عرف من امر اللغة في طريقه ما جعله يتخوف من هذه البلاد النائية، وهذا النص الذي اورده المقرئ يشير الى مثل ذلك التوقع المؤلم الذي كان القالي يعيش فيه : " وذكر ان ابا علي البغدادي صاحب الامالي الوافد على الاندلس في زمان بني مروان قال : لما وصلت القيروان وانا اعتبر من امر به من اهل الامصار فأجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم ، بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد ، كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصة ومقايسة . قال ابو علي : فقلت ان نقص اهل الاندلس عن مقادير من رأيت في انهامهم يقدر نقصان هؤلاء عن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان في هذه الاوطان" (٢). غير ان اهل الاندلس لم يكونوا كما توقع القالي ، وفي ختام القصة السابقة يقول المقرئ : " فبلغني انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من اهل هذا الأفق الاندلسي في ذكائهم ، ويتغطى عنهم عند المباحثة والمناقشة ، ويقول لهم : ان علي علم رواية ، وليس علم دراية، فخذوا عني ما نقلت، فلم آل لكم ان صححت، هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات، والأخذ عن الثقات " .

واستقبل ابو علي استقبالا حافلا و " أمر . . . الحكم - وكان يتصرف عن امر ابيه كالوزير - عاملهم ابن رماحس ان يجيء مع ابي علي الى قرطبة ، ويتلقاه

(١) نفع الطيب ٤ : ٧١ ، وقد تقرر يقينا أن القالي وصل الاندلس عام ٣٣٠ / ٩٤٢ وكان الناصر هو الخليفة يومئذ وقد عاش القالي في ظل خلافته عشرين عاما فلا داعي لهذا الخلاف من أساسه .

(٢) نفع الطيب ٤ : ١٥٠ .

في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض اهل الكورة تكرومة لأبي علي ، ففعل ، وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل ، فكانوا يتذاكرون الادب في طريقتهم ، ويتشادون الاشعار " (١) .

ولعل الناصر استقبل ابا علي في احتفال خاص وأنشد الشعراء يومئذ قصائدهم . وكان في من أنشد الشاعر الرمادي قصيدته : " من حاكم بيني وبين عدولي " ، وتقدم القالي نفسه فأنشد قصيدة من نظمه في مدح الناصر (٢) ، وكان ذلك في شعبان من عام ٩٤٢ / ٣٣٠ .

واستقر القالي بقرطبة يدرّس ويؤلف وهو ينال التشجيع والاكرام ولعل من الحوادث البارزة التي عرضت له في السنوات الاولى ، موقفه يوم وفدت سفارة امبراطور القسطنطينية الى بلاط الناصر (٩٤٦ / ٣٣٤) ، وسئل القالي ان يقوم بالخطبة بين يدي الخليفة فأدركه الحصر ، ولم ينفذ الموقف يومئذ الا منذر بن سعيد البلوطي (٣) . ثم مضت به الايام من بعد في التأليف والتدريس بقرطبة والزهراء وحوله اعلام قرطبة وطلاب الثقافة فيها ، فله مجلس في الزهراء كل يوم خميس يعلي فيه النوادر ، ونراه يقرئ الغريب المصنف لطلابه عام ٩٥٤ / ٣٤٣ (٤) ، ويدرس خلق الانسان لثابت عام ٩٤٩ - ٣٥٠ / ٩٦٠ - ٩٦١ (٥) . وهو في اثناء ذلك يؤلف ، فيبدأ عمله في البارع سنة ٩٥٠ / ٣٣٩ ويظل يعمل فيه حتى سنة ٩٦٦ / ٣٥٥ ، وتدرّكه منيته في العام التالي قبل ان ينقحه (٦) - ستا وعشرين

(١) نفع الطيب ٤ ، ٧٠ .

(٢) فهرسة ابن خير : ٤٢٢ .

(٣) انظر تاريخ قضاة الاندلس : ٦٦ وأزهار الرياض ٢ ، ٢٧٣ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٢٨ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٦٣ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٥٥ .

سنة قضاها في خدمة العلم وتخرج الطلاب في الاندلس ، حتى وافته المنية ودفن بمقبرة متممة بظاهر قرطبة .

ويصعب التأكد من حقيقة السبب الذي جعل ابا علي يترك بغداد ويتوجه لقضاء بقية حياته في بلاد الاندلس . وربما كان الامر يعود الى اكثر من عامل واحد:

أحد هذه العوامل رغبة القالي في ان يفتش عن آفاق جديدة لكسب المال والشهرة ، وقد كان القالي في ذلك منسجما مع الاتجاه العام الذي كان سائدا في ذلك الوقت . ويورد ياقوت ما يؤيد ذلك فيقول : " فلما تأدب ببغداد ، ورأى انه لا حظ له بالعراق ، فوافاها في ايام المثلث بالحكم المستنصر بالله ... فأكرمه صاحب الغرب ، وأفضل عليه افضالا عه ، وانقطع هناك بقية عمره " (١) .

عامل الشهرة والمال هذا له اهميته ، ولكن ربما لم يكن العامل الاهم . فالروايات تذكر ان القالي دخل الاندلس بعد دعوة وجهها اليه الحكم المستنصر ايام ولاية ابيه الناصر . واذا صحت هذه الرواية تكون العوامل الأخرى متممة ومرجحة ولكن ليست عوامل رئيسية . ففي معرض الحديث عن الحكم جاء في الجذوة : " ويقال انه هو كان كتب اليه ورغبه في الوفود عليه " (٢) ، ونجد مثل هذه الرواية في المقرئ : " ويقال ان الناصر هو الذي استدعاه من بغداد لولائه فيهم " (٣) .

ومهما يكن السبب في رحلة ابي علي الى الاندلس فان وجوده فيها كان كسبا ثقافيا لتلك البلاد . وقد تجلّى هذا الكسب واضحا في :

الكتب التي جلبها والاخبار التي رواها ، وفي المؤلفات التي كتبها في الاندلس،

(١) معجم الادباء ٧ : ٢٨ .

(٢) جذوة المقتبس : ١٥٥ ، معجم الادباء ٧ : ٣٠ - ٣١ .

(٣) نفح الطيب ٤ : ٧٥ .

وفي جمهور التلامذة الذين تخرجوا عليه . وقد عرضت للمسألة الاولى في ما تقدم وبقي  
ان أقف عند أثر القالي في التأليف ، وفي المتخرجين .

### مؤلفات القالي في اللغة

صرف ابو علي من عمره ستة وعشرين عاما قضاها في التعليم والرواية والتأليف ،  
فاستفاد الناس منه وعولوا عليه ، واتخذوه حجة فيما نقله ، وكانت كتبه على غاية  
التقييد ، والضبط والاتقان (١) . وامتدحه المؤرخون لما ألف من كتب واملى من  
اخبار ، از " الف في علمه الذي اختص به توأليف مشهورة تدل على سعة روايته ،  
وكثرة اشرافه " (٢) .

ولقد كان القالي ، على ما يبدو ، يتمتع بذاكرة قوية للغاية فله " اوضاع كثيرة  
املاها عن ظهر قلب " (٣) . وله " كتب كثيرة . . ارتجل جميعها واملاها عن ظهر قلب  
كلها " (٤) . وهذه الرواية التي رددتها المراجع المختلفة توضح لنا كيف استطاع القالي  
ان يؤلف التأليف الكثيرة الواسعة .

وهناك سؤال لا بد ان يرد على خاطر المرء : هل ألف القالي هذه التأليف  
جميعها في الاندلس ؟ اظن الظن انه كان قد بدأ بالتأليف قبل ذلك بكثير .  
فأولا : من غير المحتمل ان يصرف الانسان ستة واربعين عاما من عمره بغير ان يحاول  
التأليف ، ثم ، وبعد ان يخير البلد ، يصبح ، فجأة ، مؤلفا طويل الباع قادرا  
مقتدرا . صحيح ان حاجة البلد الاندلسي اقتضت من ابي علي ان يساهم في الانتاج ،

(١) جذوة المقتبس : ١٥٥ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) طبقات الزبيدي : ٢٠٢ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٥ ، معجم الادباء ٧ : ٢٨ .

(٤) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٣٠ .

غير ان من يساهم في ذلك يجب ان يكون مستعدا له وكفؤا قادرا على القيام بمشقاته .

وربما كان للقالي أصول تأليف وضعها أو فكر فيها قبل ان يصل الاندلس ، انما لم يقدر لهذه التأليف ان تنتشر وان تضيع ، لأن بلاد المشرق كانت تعيش في فيض من العلماء الافذاذ والمؤلفات العلمية العظيمة .

ومع ذلك فان هذه المحاكمة المنطقية ليست تدلنا على مؤلف واحد تنص الروايات صراحة على انه من مؤلفات العهد المشرقي . الرواية الوحيدة التي نجدها في الكتب تشير الى ان هناك مؤلفات وضعت في غير قرطبة ، وجاءت هذه الرواية بصورة عارضة وبغير توضيح : " واكثر كتبه بها - اي بقرطبة - وضعها " (١) . فاذا كان اكثر كتبه وضعها في قرطبة ، فلا بد ان القلة من الكتب وضعت في غير قرطبة . وأغلب الظن أن تكون تلك القلة من الكتب مما ألفه بالمشرق .

وتقع مؤلفات القالي في ثلاثة أنواع : أخبار ومؤلفات أدبية ومؤلفات لغوية .

غير انه يستحسن ان نقرر منذ البداية ان مثل هذا التصنيف ليس دقيقا . اذ لم يكن مفهوم الاختصاص واضحا في اذهان الناس . ولا يختلف القالي في هذا عن غيره من العلماء ، بل ربما كان اكثر ايمالا من غيره في الجمع بين الخير واللغة والادب في الكتاب الواحد . وسهنا ان نعرف هنا ان القالي جاء ليحلم ولم يجس ليؤلف ، فاذا كانت ثقافته تشتمل على اكثر من نوع من انواع المعارف فبهدي ان يظهر مثل هذا الجمع في تأليفه . وهذه هي اهم المؤلفات التي ذكرتها المصادر :

(١) الوفيات ١ : ٢٠٥ .

١- المدود والمقصور (١)

"بناء على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق، مستقصى في بابه لا يشذ عنه شيء من معناه" (٢). وأشارت بعض المصادر الى الكتاب بخير ان تعلق بشيء (٣). وأشارت مراجع اخرى اليه ووصفته بأنه "لم يوضع له نظير" (٤). وقد خالف الحميدى المصادر الاخرى فسماه "المقصور والمدود والمهموز" (٥)، وقال ابن خبير انه في عشرة أجزاء (٦).

ولم يصلنا هذا الكتاب، وانما أورد القطني أن نسخة من نسخه شوهدت وقد كتب عليها: "قرأ جميع المقصور والمدود محمد بن ابراهيم بن معاوية القرشي ومحمد بن أبان بن سيد وعبد الوهاب بن أصبغ ومحمد بن حسن الزبيدي" (٧).

٢- فعلت وأفعلت (٨)

"وصله لأئير المؤمنين (يحيى الناصر أو الحكم) حتى جعله ثلاثة أمثال ما كان للزجاج"، فالاساس فيه كما يبدو كتاب الزجاج المعروف بهذا الاسم ثم زاد القالي فيه كثيرا.

- 
- (١) منه نسخة خطية بالقاهرة ثاني ٢ : ٤٠ ( بروكلمان ٢ : ٢٨٠ ) .
  - (٢) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
  - (٣) الوفيات ١ : ٢٠٤ ، البغية : ١٩٨ .
  - (٤) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
  - (٥) جذوة العقبس : ١٥٦ .
  - (٦) فهرسة ابن خبير : ٣٥٣ .
  - (٧) انباء الرواة ١ : ٣٠ .
  - (٨) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٤ ، بغية الوعاة : ١٩٨ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، وفهرسة ابن خبير : ٣٥٢ .



٣- كتاب في الابل ونتاجها وما تصرف منها ومعها (١)

وسماه ابن خير " كتاب الابل ونتاجها وجميع أحوالها " وذكر انه في خمسة أجزاء .

٤- مقاتل الفرسان

لم يردنا من هذا الكتاب سوى اسمه (٢). وقد سماه السيوطي : " مقاتل العرب " (٣).

٥- كتاب في حلى الانسان والخيول وشياتها (٤)

٦- كتاب في تفسير القصائد والمعلقات وتفسير اعرابها ومعانيها (٥)  
وقد سماه ياقوت : " كتاب تفسير السبع الطوال " (٦). وهنا أيضا

٧- فهرسة ابي علي البغدادي ، اخباره وتسمية كتبه وتواليفه برواية أحمد بن أبان بن سيد عن القاضي نفسه (٧).

- 
- (١) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ ،  
وفيات الاعيان ١ : ٢٠٤ ، بخية الوعاة : ١٩٨ ، فهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
- (٢) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
- (٣) بخية الوعاة : ١٩٨ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
- (٤) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
- (٥) بخية الوعاة : ١٩٨ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
- (٦) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ ،  
بخية الوعاة : ١٩٨ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
- (٧) معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
- (٧) فهرسة ابن خير : ٤٣٤ .

## ٨ - البارع

## أ - وصف عام للكتاب والدوافع الى تأليفه

لا نستطيع ان نعرف بالضبط الدافع المباشر الى مثل هذا التأليف، وربما كان ذلك بطلب من الحكم المستنصر او بتشجيع منه على الاقل . ومثل هذا نقوله اعتمادا على اتجاه الحكم العام في تشجيع التأليف وتشجيع ابي علي بنوع خاص . ثم ان هناك من الروايات ما يشير الى مثل هذا التشجيع .

ولم يكن هذا العمل يسيرا او متيسرا ، وكان يحتاج الى مجهود عظيم . وقد " شوهده بخط ولده ما مثاله : ابتداء ابي - رحمه الله تعالى - بعمل كتاب " البارع " في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ( ١٥٠ م ) ، ثم قطعه علل واشغال ، ثم عاود النظر فيه بأمر امير المؤمنين وتأكيد عليه ، فعمل فيه من سنة تسع واربعين وثلاثمائة ( ١٦٠ م ) ، فأخذه بجد واجتهاد ، وكمل له ، وابتداء بنقله فكمل لنفسه الى شوال سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ( ١٦٦ م ) كتاب الهمز ، وكتاب الهاء ، وكتاب العين ، ثم اعتل في هذا الشهر " (١) .

ويصعب ، اعتمادا على هذا الكلام ، التحقق بدقة من الزمن الذي استغرقه العمل في الكتاب انما نستطيع القول انه عمل فيه ستة عشر عاما ، لم يعمل فيها بصورة متواصلة وانما قطعه اثنا ذلك " علل واشغال " . ويبدو لنا من هذا النص ما ذكرناه قبل قليل من اهتمام الحكم المستنصر ، امير المؤمنين ، وتشجيعه للقالي في هذا المؤلف ، كما كان يشجعه في غيره من المؤلفات .

وقد عاجل المرض ابا علي ولم يمضه الوقت الذي يسمح له بنسخ ما عمله

(١) انباء الرواة ١ : ٢٠٩ .

وتهذيبه . وقد رأى بعض المؤرخين انه " الف كتاب البارغ في اللغة في خمسة آلاف ورقة لكن لم يتمه " (١). ويورد آخرون هذه الرواية بألفاظ مختلفة ، مع اختلاف عدد الاوراق ، اذ يرى ياقوت ، مثلا ، انها ثلاثة آلاف ورقة فقط (٢).

وكان لا بد لمثل هذا العمل ان يخرج الى الناس . فتولاه وراقان ممن كان يساعد القالي في اعماله ، واحدهما : محمد بن الحسين الفهرى ، عمل على مساعدة القالي في هذا المشروع منذ عام ٣٥٠ / ٩٦١ ، والاخر : محمد بن عمر الجياني . وقد تعاون الوراقان فاستخرجا المادة من الصكوك والرقاع ، وهذبا الاصول التي هي بخط القالي ، والاصول التي بخطيهما والتي كانا قد كتبها بين يديه . ولما تم الكتاب رفع الى الحكم المستنصر ، الذي رعى المشروع وشجعه منذ البداية (٣).

وقد امتدح الناس منذ ذلك العهد كتاب البارغ قال الزبيدي : " ولا تعلم احدا من المتقدمين ألف مثله " (٤). وهو " لم يصنف مثله في الاحاطة والاستيعاب " (٥)

ومع هذا الاعتراف بعظمة الكتاب فان الناس لم يعيلوا اليه ولم يألوه و " لم يعرجوا " . على بارغ ابي علي البغدادي " (٦). وربما كان ضيق المجال الذي انفتح امام الكتاب واحدا من الاسباب التي ساعدت على فقدان اكثره . فمن المائة المجلد التي ورد ذكرها لم يبق لنا الآن سوى قطعتين احدهما في المكتبة الاهلية بباريس

- 
- (١) شذرات الذهب ، ابن العماد ٣ : ١٨ .  
 (٢) بخية الوعاة : ١٩٨ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .  
 (٣) فهرسة ابن خير : ٣٥٤ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٩ ، التكملة ، ابن الابار : ٣٧١ .  
 (٤) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ - ٢٠٤ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ .  
 (٥) المصدر نفسه .  
 (٦) المزهر ١ : ٤٥ .

والاخرى في المتحف البريطاني . وقد كتبت الاثنتان بخط اندلسي وفي عصر يعود الى حوالي القرن بعد زمن تأليف الكتاب (١) .

والمتبقي من البارغ يقع ، بحسب مخطوطة المتحف البريطاني ، في مائة وثمان واربعين صفحة (٢) ، وهو ما يقارب ثلاثة امثال قطعة باويس ونصفها (٣) . والقطعتان لا تشتركان الا في ثماني صفحات من مصورة فلتن (٤) . وليست هذه الاوراق متتابعة ، على اية حال ، بل هي متفرقات (٥) .

غير ان كلتا القطعتين ليست تحتوى على مقدمة للمؤلف . ولسنا نقصد من ذلك انه وجد في يوم من الايام مقدمة للمؤلف . فان مثل هذا الامر يصعب البت فيه . فأبو علي مات قبل ان يتم الكتاب كما رأينا . لذلك فان الهدف من تأليف الكتاب والخطة التي اتبعها المؤلف غير معروفين بدقة ، انما يمكن استنتاجهما استنتاجا . وقد رأينا ان القالي قام ، بتشجيع من الحكم المستنصر ، بتأليف بارعه ليضع بين ايدي اهل الاندلس معجما يعاثل معجمات المشاركة او يتفوق عليها ، وقد قصد الى ان يسهل عمليات التفسير والشح التي كان يقوم بها هو وامثاله من العلماء في تلك الفترة من حياة الاندلس اللغوية والادبية .

### ب - منهج القالي في كتاب البارغ

رتب القالي كتابه بحسب مخارج الحروف . وكما يستتج من

- 
- (١) مقدمة فلتون (بالانكليزية) ص : ١ .
  - (٢) مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٩٨١١ Or.
  - (٣) مقدمة فلتن : ١
  - (٤) المصدر نفسه
  - (٥) المصدر نفسه

القطعة المتبقية من كتابه يمكن ترتيب الحروف كما يلي :

ه ح ع خ غ ق ك ض ج ش ل و ن ط د ت  
ص ز س ظ ذ ث ف ب م و ا ي (١).

اما الهزة فقد كان مكانها موضع خلاف ، ويرى فلتن : " كذلك ليس لدينا  
اى شاهد مخطوط عن موضع الهزة ، ذلك الصامت الذى سبب كثيرا من المتاعب  
للقدماء من النحويين واللغويين في تحديده ، ولا بدان القالي تناوله في بداية  
الالفباء او في فصل خاص في النهاية ، وهو لا يضع الالفاظ التي تحتوى على هذا  
الصامت بين الاصول المعتلة من الكتاب ، كما فعلت معاجم الخليل والازهرى وابن  
سيده " (٢). اما موضع الحرفين الحاء والخاء فلم يمكن القطع بموقعهما وقد وضعا  
بحسب الترتيب السابق دون الجزم بذلك ، وقال فلتن بهذا الصدد : " ولا تبين لنا  
نسخة المتحف البريطاني ولا نسخة باريس من كتاب القالي الوضع الصحيح للحرفين  
الساكنين ح ، خ ، والوضع الذى نسبناه لهما هنا افتراضي ، ومن المحتمل  
صحته " (٣).

والابواب في بارع القالي ستة ، هي بالترتيب : ابواب الثنائي الضاعف  
(الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة) ، ابواب الثلاثي الصحيح ، ابواب الثلاثي المعتل ،

(١) انظر كذلك مقدمة فلتن : ٨ .

(٢) مقدمة فلتن : ٨ ، وانظر المعجم العربي : ٢٨٩ .

(٣) مقدمة فلتن : ٨ .

ابواب الحواشي او الاوشاب<sup>(١)</sup> ، ابواب الرباعي ، ابواب الخماسي .

وفي كل باب من هذه الابواب تتكرر عبارة " ومن مقلوبه " ، وهو النظام الذي يتيح للقالي ، ولغيره من اصحاب هذه المدرسة في تأليف المعجمات ، سيلا لاستقصاء تنقل كل حرف من نظامه في كل بناء من الابنية<sup>(٢)</sup> .

### ج - خصائص الكتاب :

نستطيع ان نأخذ صورة واضحة عن خصائص الكتاب اذا حللنا

سادة من مواده . لنأخذ مثلا :

الجيم والشين والنون في الثلاثي الصحيح<sup>(٣)</sup>

" قال ابو علي قال يعقوب : يقال اتيته بعد ما مضى جوشن من الليل .

قال ابن احمد :

يضي صيرها في ذي خبي جواشن ليلها بينا فيينا

(١) شرح القالي ابواب الحواشي او الاوشاب بقوله : " هذه ابواب تتصل بالثلاثي المعتل مما جاء على حرفين احدهما معتل ، او ثلاثة منها حرفان معتلان " (البارع ٢٦) . وقام بشرحها أيضا في مكان آخر فقال : " انما سميناه اوشابا لأننا جمعنا فيه الحكايات والزجر والاصوات والمنقوصات ، وما اعتل عينه ولامه او فاؤه ولامه او فاؤه وعينه او كان فاؤه ولامه او فاؤه وعينه او لامه وعينه بلفظ واحد " . (البارع ٢٦) . وقد شمل بهذا الشرح الثنائي المخفف الصحيح او المعتل بحرف واللفيف والمضاعف بحرفين غير مدغين .

(٢) الامثلة متوفرة في مواد البارع المختلفة .

(٣) البارع : ١٢١ - ١٢٢ .

اي قطعة من الارض بعد قطعة ، يعني البين والبين من البصر . قال لـ  
ابوالحسن بن كيسان رحمه الله : الصير الخيم الابيض الشديد البياض . وقال  
ابو عبيدة : الجوشن الصدر . قال : وقال آخر بل الجوشن الوسط بفتح  
 الجيم والشين وسكون الواو وانشد لرؤبة :

ونازح الماء عرض الجوشن

قال الجوشن الوسط . وقال الخليل : الجوشن ما عرض من وسط الصدر ،  
 وجوشن الجراءة ونحوها صدرها ، والجوشن من السلاح .

مقلوبه

قال ابو علي قال ابو حاتم : يقال نشج ينشج نشيجا على مثال فصل  
 يفعل فميلا بفتح الفاء والعين في الماضي وكسر العين في المستقبل وفتح الفاء  
 وكسر العين في المصدر . وقال ابو زيد : النشيج اشد البكاء . وقال  
الاصمعي : النشيج بالحلوق ، وهو هامة تأخذ بالنفوس ، وهي ارتفاع النفس مثل  
 الفؤاد . قال ابو ذؤيب :

لهن نشيج بالنشيل كأنها ضرائر حرمي تفاحش غارها

وقال الخليل : نشج الباكي ينشج نشيجا وهو اذا غص البكاء في حلقه ولما  
 ينتحب . والحماس ينشج بصوته نشيجا وهو صوت في حلقه عند الفزعة . والطعنة  
 تتشج عند خروج الدم ، تسمع لها صوتا كالنفخة ، فاذا كان ذلك قلت نشجت الطعنة .  
 والقدر تتشج عند الغليان . وقال الشاعر :

وناشج عنه منهلة تكف . "

يبدو ان القالي كان يشعر بالاطمئنان حين يورد اسماء العلماء الثقات ،  
 ففي هذا الجزء من المادة الذى نقلناه نجد اسما يعقوب بن السكيت وابي الحسن  
 بن كيسان وابي عبيدة والخليل وابي زيد والاصمعي . " وهذا احصاء بمن وردت  
 اسماءهم في الصفحات العشر الاولى : ابو زيد الانصارى ، الخليل بن احمد ، يعقوب  
 بن السكيت ، ابو السمع ، الاصمعي ، ابو عبيدة ، الكسائي ، الرزاحي ، ابو حاتم  
 السجستاني ، ابو عمرو ، الاحمر ، ابو العباس ، الاموى ، الفراء ، ابن الاعرابي ،  
 الاحرزى . وهذا الاحصاء لا يبين لنا تساما كثيرة ورود اسمائهم لأنه لا يظهر  
 مرات وجودهم ، وهي كثيرة . . . . . ومنهم من كان يظهر اسمه في جميع المواد كالخليل ،  
 ويقاربه في ذلك ابو زيد ، ويليها الاصمعي ويعقوب . وكان في بعض الاحيان يأتي  
 بالمادة كلها من قول الخليل ، وابي زيد (١) . ومن الطبيعي انه لم يكن المذكورون  
 آنفا جميع من رجع اليهم . فهناك غيرهم ظهروا بعد الصفحات العشر الاولى ، من  
 امثال الباهلي ، والنضر بن شميل ، واللحياني ، وسلعة بن عاصم ، والرؤاسي ، وقطرب ،  
 ولزاز ، وابن كيسان ، وابن قتيبة ، وثابت ، وابن دريد ، وغيرهم من اللغويين وابي  
 الجراح ، وابي العطف النوى ، وابي خيرة ، وام الحمارس الكلية ، وابي زياد  
 الكلابي ، وابي جميل الكلابي ، وابي صاعد ، ورداد الكلابي ، وابي الفادية النيمري ،  
 وابي مسمع ، وضيفة ، من الاعراب والرواة " (٢) .

ومن العادة السابقة أيضا يظهر لنا بوضوح حرص القالي الشديد  
 على عدم الالتباس . وهذا الحرص يتمثل في ظاهرتين ، الاولى النص على حركة الحرف  
 كتابة وربما شاركه هذا الفضل الوراقان اللذان ساعدها على النسخ ورتبا وهذبنا

(١) البارع : ٢٣ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ وغيرها من الصفحات .

(٢) المعجم العربي : ٢٩٦ - ٢٩٧ .



بارعه بعد وفاته • والثانية النص على الوزن •

ويتبين لنا كذلك حبه لرواية الشعر والاستشهاد به • وقد تجاوز في كثير من الاحيان حد الاستشهاد الى ايراد مقطوعات قصد بها الامتاع والاخبار (١).  
ولعل هذا اثر من آثار الامالي وروايات الاشعار والاخبار (٢).

ومن الظواهر تفسير الالفاظ التي ترد في النصوص • فاذا احسان هناك لفظة او اكثر تستغلق على الفهم عمد الى شرحها (٣).

كذلك فانه ينقل عن اللغويين بعض لغات العامة • ففي مادة :

الجيم والشين والراء في الثلاثي الصحيح :

" مقلوبه : قال ابو حاتم : العامة يقولون الشجر بكسر الشين وهو لغة والجيد  
الفتح كما يقرأ في القرآن : ' والنجم والشجر يسجدان ' (سورة الرحمن آية : ٦) . " (٤)

(١) فهو حين يتحدث عن مادة : الجيم والشين والراء في الثلاثي الصحيح وعن تقاليبها  
يقول : (البارع ١١٩)

" ... وقال ابو زيد الشوبان الخلطان وانشد لقطبة بن ارومة :

عسا الرس فاللعباء من ام عامر	فشرك فأحسى واسط ففنيهم
عفت غير حقب ترتعي اخدرية	شوبجان منها واضح وبهيم
فهاجت عليك الدار ما لو ترومه	لعهد الصبا لم تدر كيف تروم
لملك ان طالت حياتك ان ترى	حيائك الآتي * بهن تهيم
اجدك ما ينسيكهن ملمة	العت ولا عهد بهن قديم ..

\* ربما كان الاصح : اللاتي •

(٢) ترد في بارعه روايات واخبار ليس لها صلة بالمعجم وانما يروونها لأنها من جملة  
الروايات المسلية • (انظر البارع، ص : ١٠) •

(٣) انظر البارع : ٣ •

(٤) المصدر نفسه : ١١٩ - ١٢٠ •

وبعني القالي باللغات المختلفة . " واننا نرى عنده من اللغات العنسية لغات الكلايين والنميريين والطائيين والقيسيين والاسديين والتميعيين وبنى غنى ، واهل مصر والمدينة والحجاز والجزيرة والعراق . والكلايين خاصة لهم خطرهم في كتابه ، ان يرد اسمهم في خمس صفحات من الصفحات العشر الاولى ، ويكثر بصورة واضحة في جميع انحاء القطعة الباقية . وليس هذا وحده بل تكثر اسماء الاعراب والرواة الكلايين عنده أيضا ، مثل ام الحمارس وابي زياد وابي جميل ورداد . ومن اسباب هذه الظاهرة اكثر المؤلف الاقتباس من ابي زيد الانصاري ، الذي يروى عنهم كثيرا " (١).

وكان من نتيجة ايراده الاقوال المختلفة للغويين المختلفين بغير مناقشة او تشذيب ان تراكت التفسيرات المتناقضة ، واحدا الى جنب الآخر دون ادنى تحليل . والواقع ان شخصية القالي ضعيفة ولانحس بها الا من وراء ستار ، فشخصيات العلماء الآخين اكثر وضوحا . وهذا ادى الى ان يكون معجمه أقرب الى الجمع .

والقالي يأخذ عن العلماء دون ذكر المؤلفات . وجزء من كتابه مبني على الرواية الشفوية ، غير ان لكثيرين من العلماء كتب لا يدان القالي استفاد منها . وبرغم المجهودات الكبيرة التي قام بها القالي ، فان هناك مواطن ضعف في الكتاب . ولعل اهم هذه المواطن وابرزها صعوبة البحث عن المواد في المعجم بسبب ذلك النظام العسير القائم على المخارج والابنية والتقاليب . وقد أشار الى مثل هذا الضعف اكثر من عالم ولاموا في ذلك أيضا معجمات اخرى اعتمدت نفس الاسس . قال ابن دويد " قد ألف الخليل بن احمد كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته ، وعنّى من سما الى نهايته . . ولكنه رحمه الله

١٦٢ وقد وجهت الى العين - وهذا الكتاب الأول الذي سمى المنهج - نزهة مماثلة

الف كتابه مشاكلا لثوب فهمه ، وذكاء فطنته " (١) . <sup>و</sup> " كتاب العين لا يمكن طالب الحرف منه ان يعلم موضعه من الكتاب من غير ان يقرأه ، الا ان يكون قد نظر في التصريف ، وعرف الزائد والاصلي والمعتل والصحيح والثلاثي والرباعي والخماسي ، ومراتب الحروف من الحلق واللسان والشفة ، وتصريف الكلمة على ما يمكن من وجوه تصريفها في اللفظ على وجوه الحركات والحاكمات ما تحتل من الزوائد ، ومواضع الزوائد بعد تصريفها بلا زيادة ، ويحتاج مع هذا الى ان يعلم الطريق التي وصل الخليل منها الى حصر كلام العرب ، فاذا عرف هذه الاشياء ، عرف موضع ما يطلب من كتاب العين " (٢) . وهذه الاتهامات <sup>حقيقية</sup> اتت في كتاب البارع بنسب متفاوتة . فالبارع واحد من فئة المعجمات التي اتخذت مخارج الحروف والابنية والتقاليد اساسا لها .

ومع ذلك ، فلقد شارك القالي مشاركة طيبة في المجهود اللغوي ، وقدم بهذا الكتاب اثرا عرف الناس فضله ومدحوه . ولما " كمل الكتاب وارتفع الى الحكم المستنصر بالله ، اراد ان يقف على ما فيه من الزيادة على النسخة المجمع عليها من كتاب العين ، فبلغ ذلك الى خمسة آلاف وستمائة وثلاث وثمانين كلمة " (٣) . وقال ابن خير : " زاد على كتاب الخليل نيفا واربعمائة ورقة مما وقع في العين مهملات فاملاء مستعملا ، ومما قلل فيه الخليل فأملى فيه زيادة كثيرة ، ومما جاء دون شاهد فأمل الشواهد فيه " (٤) . واطب آخرون في مدحه ورأوا

- 
- (١) الجوهري : ٣ .  
(٢) المزهر ، السيوطي ١ : ٤٦ .  
(٣) التكملة : ٣٧١ .  
(٤) فهرسة ابن خير : ٣٥٤ .

أنه " لا يعلم احد من العلماء المتقدمين والمتأخرين الف مثله في الاحاطة والاستيعاب " (١).

## ١ - كتاب الامالي \*

### (١) تقدير العلماء لكتاب الامالي

لقي الكتاب شهرة واسعة ، واثنى عليه كتاب التراجم والمؤرخون ، وكثيرا ما جرى التعريف بالقالي عن طريق القول بأنه صاحب الامالي : " ولما وفد على ابيه - ابي الحكم المستنصر - ابو علي القالي صاحب كتاب الامالي من بغداد اكرم مثواه " (٢) ، " .. ومنهم ابو علي القالي ، صاحب الامالي والنوادر " (٣) ، " .. وذكر ان ابا علي البغدادي صاحب الامالي الوافد على الاندلس في زمان بني مروان قال " (٤) . وقد امتدح ابن خير الكتاب فقال : " وهو كتاب حسن يشتمل على انواع من العلم لا نظير له في معناه " (٥) . واثنى عليه الزبيدي ، تلميذ القالي وصديقه ، فقال : " وهذا الكتاب غاية في معناه ، وهو أنفع الكتب " (٦) . وهذه الرواية الاخيرة رواها آخرون بألفاظ توبية (٧) . وقد اورد الحميدى من الاخبار ما يشيد بالامالي فقال : " قال لنا ابو محمد علي بن احمد ( اى ابن حزم ) ، وقد ذكر كتاب ابي علي

(١) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ - ٢٠٤ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ .

\* انظر بروكلمان ٢ : ٢٧٨ في مخطوطات هذا الكتاب والطبعات التي صدرت منه ومن الذيل والتتبيه .

(٢) نفع الطيب ١ : ٣٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ٤ : ٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ٤ : ١٥٠ .

(٥) فهرسة ابن خير : ٣٢٣ .

(٦) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ .

(٧) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٨ .

المسمى بـ النوادر في الاخبار والاشعار، فقال: وهذا الكتاب مبار للكتاب الكامل الذي جمعه ابو العباس المبرد، ولئن كان كتاب ابي العباس اكثر نحوًا وخبرًا، فان كتاب ابي علي لأكثر لغة وشعرًا" (١).

### (ب) الداعي لتأليفه

ويقول القالي في المقدمة: " فأملت هذا الكتاب من حفطي في الاخمسة بقرطبة، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة" (٢). وقال الزبيدي في مثل ذلك: " وله اوضاع كثيرة املاها عن ظهر قلب، منها كتابه في الخبر، المعروف بالنوادر، املاها ظاهرا، وارتجل تفسير ما فيه" (٣).

فالداعي الى تأليف هذا الكتاب في المقام الأول هو تلك المهمة التدريسية التي انتدب لها القالي، وتحقيق جانب من الغاية التي هاجر من أجلها الى الاندلس. على أن تأليف الكتاب تم في مراحل: فقد كان أبو علي يعمل في أولها في الاخمسة بالزهراء على بني ملول وغيرهم، وهذه هي المرحلة الأولى، ثم زاد فيه حتى بلغ ستة عشر جزءا وهذه هي المرحلة الثانية، ثم لما رفعه للمستتر جعله عشرين جزءا. وعندئذ كتب مقدمته وتحدث فيه عن طلبه العلم - تلك التجارة التي لا تبور - وعن جهوده في سبيلها، وعن أن العلم لا يلقى الا الى مستحقيه فقال: " أما بعد . . . فاني لما رأيت العلم أنفس بضاعة أيقنت أن طلبه أفضل تجارة فاقتربت للرواية ولزمت العلماء للذراية ثم أعلت نفسي في جمعه وشغلت ذهني بحفظه حتى حوت خطيره وأحرزت رفيعه ورويت جليله وعرفت دقيقه . . . . . وجعلت

(١) جذوة المقتبس: ١٥٦، معجم الأدباء ٧: ٢٨ - ٢٩.

(٢) الامالي ١: ٣.

(٣) طبقات الزبيدي: ٢٠٣، وانظر أيضا: انباء الرواة ١: ٢٠٥ - ٢٠٦، ومعجم الادباء

غرضي أن أودعه عند من يستحقه وأبديه لمن يسهم فضله وأجليه الى من يعرف  
 محله . . . . . (١) وفي هذه المقدمة تقدير لعبد الرحمن الناصر وثناء عليه ، وهو  
 شيء يسير اذا قيس بما لقيه القالي من حفاوة واکرام .

### (ج) طبيعة العادة في كتاب الأمالي

وقد أجمل القالي في مقدمته وصف طبيعة المادة<sup>التي</sup> اشتمل عليها  
 كتابه فقال : " وأودعته فنونا من الاخبار وضروبا من الاشعار وأنواعا من الامثال  
 وغرائب من اللغات على أني لم أذكر فيه بابا من اللغة الا أشبعته ولا ضربا من الشعر  
 الا اخترته ولا فنا من الخبر الا انتحلته ولا نوعا من المثل والمعاني الا استجدته ،  
 ثم لم اخله من غريب القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم . على أني أوردت فيه  
 من الابدال ما لم يورده أحد وفسرت فيه من الاتباع ما لم يفسره بشر ليكون الكتاب  
 الذي استتبته احسان الخليفة جامعا والديوان الذي ذكر فيه اسم الامام كاملا " (٢).  
 ومعنى هذا أن كتاب الامالي يمتاز بالامور الاتية :

- (١) الاشباع بالتفسيرات اللغوية .
- (٢) المختار من الشعر الذي اعتمده ذوق القالي .
- (٣) الخبر المنتحل .
- (٤) الأمثال والمعاني التي استجدها القالي .
- (٥) غريب القرآن والحديث .
- (٦) فرعان من الكلام يرى القالي أنه مبتكر في التنويه بهما وهما :  
 أ - الابدال .      ب - الاتباع .

(١) مقدمة الامالي : ص ١ - ٢ .

(٧) المصدر نفسه : ٣ .

(د) الجانب اللغوي في الأمالي :

وللغة نصيب كبير في هذا الكتاب أو كما قال ابن حزم : " ولئن كان كتاب ابي المباس اكثر نحواً وخبراً ، فان كتاب ابي علي لاكثر لغة وشعراً " (١).  
واللغة لها مواد تكاد لا يعالج بها شيء سواها ، الا انها تبرز بروزاً واضحاً حتى في مواد الاخبار والأدب . ويمكن ايجاز هذه الجوانب اللغوية على الصورة التالية :

## ١ - معالجة كلمة واحدة :

اول مادة يعالجها الكتاب هي كلمة نساء والحديث في معانيها المختلفة (٢).  
والقالي يستشهد لذلك بآيات من القرآن وكلام العرب وشعرهم ويفصل ويسهب مثلما كان اصحاب المعجمات القدامى يفعلون .

ومثل هذا الحديث عن مادة واحدة كثير (٣). وتكراره يدل على ان الكاتب يهتم بالألفاظ من حيث هي . وربما كان ذلك سبباً دفعه ، فيما بعد ، الى تأليف معجمه " البارع " .

## ٢ - مترادفات الاسم الواحد :

فانه يتخذ الزوجة ، مثلاً ، ويورد الاسماء المختلفة لها مستشهداً لذلك (٤).  
فمن جملة الاسماء : الحليمة ، وعرس الرجل ، والفريسة ، والطلّة ...

## ٣ - اسماء يربطها الموضوع الواحد :

فانه يتخذ موضوعاً ما ، اسماء الالوان واصنافها مثلاً (٥) ، ويتحدث فيها

(١) جذوة المقتبس : ١٥٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .

(٢) الامالي ١ : ٤ .

(٣) المصدر نفسه : مادة لحن ١ : ٤ - ٧ ، مادة حرد ١ : ٧ الخ ..

(٤) المصدر نفسه ١ : ١٩ - ٢٠ .

(٥) المصدر نفسه ١ : ٣٤ - ٣٦ .

وفيها حقها .

٤ - ما يتعاقب فيه حرفان :

والظلي يورد فقرات كثيرة يتحدث فيها عن حرفين يتعاقبان ، كاللام والنون  
مثلا (١) ، او العين والحاء (٢) ، او الههزة والهاء (٣) ، او السين والتاء (٤) ، او الحاء  
والجيم (٥) ، او الههزة والعين (٦) .

والظلي في ذلك يستشهد بأقوال اللغويين ويورد الروايات بخير ان يعمل  
لمثل هذا التعاقب . فهو يقبله باعتباره موجودا ، دون ادنى اشارة الى اسباب  
مثل هذا التعاقب ، او دراسة للتطور الذي يمكن ان يكون قد طرأ على مثل هذه  
الالفاظ ، او للبيئات والقبائل المختلفة التي يمكن ان تكون قد صدرت عنها  
الكلمات . وسأقتبس مقطعا صغيرا للدلالة على مثل ذلك : " ويقال : ارقنت  
الماء وهرقتة . ويقال : ايّاك ان تفعل وهيّاك . ويقال : اتعأل السنّام  
واتمهلّ ، اذا انتصب . ويقال للرجل اذا كان حسن القامة : انه لعمئيلّ  
ومتمهلّ . ويقال : ارحت دابتي وهرحتها . ويقال : أنرت له وهنرت له " (٧) .

٥ - ابدال حرف بحرف آخر :

وهذا قريب مما مضى في الفقرة "٤" ، غير انه ها هنا يستبدل حرف

- 
- (١) الامالي ٢ : ٤٠ .  
(٢) المصدر نفسه ٢ : ٦٥ .  
(٣) المصدر نفسه ٢ : ٦٦ .  
(٤) المصدر نفسه  
(٥) المصدر نفسه ٢ : ٧٦ .  
(٦) المصدر نفسه  
(٧) المصدر نفسه ٢ : ٦٦ .



بحرف آخر ولا يستعمل ، من قبل فئة من الناس ، إلا الحرف البديل دون الحرف الأصيل . مثال ذلك " ابدال الياء جيما في لغة فقيم " (١). وفي هذا المقام يورد امثلة لابدال الياء جيما في لغة فقيم ، دون ادنى تعليق أيضا . " وقال ابو عمرو بن الملاء : قلت لرجل من بني حنظلة : ممن انت ؟ قال : فقيمج ، فقلت : من أيهم ؟ قال : مسج ، أراد : فقيمي وسري " . وهناك امثلة اخرى لم يحين فيها فئة العرب التي تقوم بابدال حرف بآخر (٢).

#### ٦ - الشرح والتفسير :

وهو على انواع ، فتارة يتناول الاحاديث (٣) ، وتارة يتناول غريب الحكايات ، كحكاية الفتيات (٤) ، وتارة يتناول القصائد والمقطوعات (٥) ، ويتناول أيضا الآيات (٦) ، والخطب (٧).

والواقع ان هذه الظاهرة عامة في الكتاب ، غير اننا قد نجد ، مثلما هي الحال في الامثلة العاضية ، منفردة في فقرات خاصة ، طلبت من أجل ذاتها . اما في الموارد الاخرى فان جزءا مهما من عمل المؤلف مرتبط بشرح الغريب من الالفاظ وتفسير

(١) الامالي ٢ : ٧٥ .

(٢) انظر مثلا : " وقال ابو علي : قال ابو عبيدة : العرب تقلب حروف العضاعف الى الياء فيقولون : تظنيت ، وانما هو تظننت ، قال العجاج :

تقضي البازي اذا البازي كسر

وانما هو تقض من الانقراض .. " (الامالي ٢ : ١٦٧)

(٣) الامالي ١ : ٧ .

(٤) المصدر نفسه ١ : ١٦ .

(٥) المصدر نفسه ١ : ٤٧ .

(٦) المصدر نفسه ٢ : ٢٩٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣ : ١١٥ .

(٧) المصدر نفسه ١ : ١٤٥ .

الفامض والمستفلق من المعاني .

٧ - باب لغوى مستقل :

كتاب احرف الابدال مثلاً (١) . وقد افرد مؤلفون آخرون مثل هذا الباب ، منهم سيبويه في الكتاب ، والزبيدي في الاستدراك على سيبويه . والقالي يورده بغير أدنى علاقة بما يسبقه من ابواب او بما يلحقه . وفي احرف الابدال يشعر القالي بسرور عظيم حين يؤلف ما بين هذه الاحرف ويجعلها في عبارة بسيطة هي : " طال يوم انجدته " ويقول بجذل : " وهذا انا عملته " (٢) .

٨ - ينقل المناقشات اللغوية :

من ذلك مثلاً مطلب ما وقع في مجلس ابي عمرو بن العلاء بين شبيل بن عذرة ويونس والفرق بين الفاظ خمسة من الروية (٣) . والقالي ، مثلما يفعل غالباً ، يكتفي بسرد وقائع المناقشة دون ان يحبذ او يفتند . ولم نجد مثل هذا الامر عند الزبيدي ، تلميذ القالي وصديقه ، في كتابيه العظيمين : لحن العوام ، والاستدراك على سيبويه .

(هـ) خصائص كتاب الامالي

يكون الكتاب ذخيرة لغوية هامة للعتاد والدارس ، حتى حين يتطرق الى الاخبار والموضوعات الادبية والخطب والتراجم والاشعار المختارة . ذلك انه ، في اغلب الاحيان ، يلجأ الى تفسير ما يحس بصعوبته على القارىء او السامع ،

(١) الامالي ٢ : ١٨٢ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه ١ : ٤٨ - ٤٩ .

وهذه ظاهرة طبيعية بالنسبة لمن هو في وضع القالي المدرس . والقالي يفسر غريب النصوص ، سواء أكانت نصوصا دينية او أدبية او لغوية او اخبارية او غير ذلك .

وانا كانت رواية من هذه الروايات تشتمل على بيت او اكثر فقد يأتي القالي بباقي الابيات . وقد يورد أبياتا اخرى من قصيدة اخرى للشاعر نفسه ، وقد يأتي بأبيات مشابهة لشاعر آخر ، وهكذا الى ان يحس انه وفي الموضوع حقه .

والقالي يحرص على الدقة ، لذلك فانه في كثير من الاحيان ، يعتمد الى ذكر وزن اللفظة ، كي يمتع الالتباس . وقد وجدناه يفعل ذلك كثيرا في معجمه " البارع " . من امثلة ذلك في الامالي : " والعِجْذام : مِفعال من جذم ، والجذم : القطع . . (١) " . ويدل القالي على حفظ كثير وسعة في الرواية الشفوية غير انه احيانا يسجل الأخذ عن الكتب مثل " قال ابوبكر في كتاب المتناهي في اللغة : هذا اعرابي أدخل قردا الى سوق الحيرة ليبيعه فنظرت اليه امرأة فقالت : مسخ . . " (٢) .

اما ذكره للعلماء فكثير كثرة بالغة ، وهو يعتمد على اللغويين اعتمادا كبيرا في رواياته . والرواية الواحدة ، في العادة تشتمل على/لغوى واحد .

### نظرة اجمالية في أثر القالي

ومهما يكن من شيء فليس من اليسر أن يحدّد المرء أثر القالي في حياة اللغة بالاندلس ولكني هنا أحاول أن أجعل اهم المظاهر التي خلفها القالي في التيار اللغوي :

- 
- (١) الامالي ١ : ١٧ .  
 (٢) المصدر نفسه ٢ : ٤٣ .

- (١) نشر في الاندلس كتباً كثيرة جعلها معه .
- (٢) قدّم للانديسيين أصولاً معتمدة مقروءة على العلماء فأوجد بذلك أساس الدقة اللغوية .
- (٣) وضع كتباً هامة مثل البارع والنوادر والمقصود والعمدود كانت زادا للأجيال القادمة ، تدرسها أو تشرحها أو تكملها .
- (٤) أثر بشخصيته الفذة في خلق طبقة من التلامذة لا يرون اماماً عداً .
- (٥) أعطى للانديسيين معايير من التقدير العلمي والذاتي بتواضع وسجاجة خلقه فهو يروى - على سعة اطلاعه - كتاب " الدلائل " ، وهو يشفي على ابن القوطية فيحله هذا الثناء مركزاً هاماً في نفوس الانديسيين .
- وخلاصة القول ان الاندلس عرفت في القالي " المعلم الأول " في اللغة ، وعلى منهاجه وأصوله بنت وجهتها اللغوية .

## تذييل على الفصل السابق

نستطيع ان نقسم النشاط اللغوي في القرن الرابع، اذا نحن نظرنا الى افواج الدارسين ، في ثلاث موجات كبيرة :

١ - موجة الدارسين الذين شهد نشاطهم الثلث الأول من القرن وكانوا تلامذة قاسم بن أصبغ والخشني وغيرهما من المعلمين في القرن السابق . ومنهم من امتد به العمر حتى لحق بالموجة الثانية ، وشارك في شيء من نشاطها ، الا ان الموجة الثانية طغت عليهم وجعلتهم في الظل .

٢ - موجة الاساتذة الاعلام وبرزهم القالي ( - ٣٥٦ / ٩٦٧ ) وابن القوطية ( - ٣٦٧ / ٩٧٨ ) والزبيدي ( - ٣٧٩ / ٩٨٩ ) وهذه هي الموجة الكبرى السيتي تمخض عنها التأليف الواسع والتدريس الدقيق . ويعتد نشاطهم على وجه التقريب بين ٣٣٠ - ٣٨٠ / ٩٤٢ - ٩٩١ ، وفي اعقاب حركتهم جاء صاعد البغدادي فعدّ بعض الشيء في عصر هذه الموجة ، ولكن جهوده وجهود تلامذته اختلطت بنشاط الموجة التالية .

٣ - موجة الطلاب الذين درسوا على هؤلاء الاعلام ، وعلى غيرهم من معلمي اللغة، وماكوا بنشاطهم بقية القرن الرابع . ومنهم من تداخل نشاطه مع الموجة السابقة ، ومنهم من شهد أوائل الخامس ، وهؤلاء ، او كثير منهم ، يمثلون حلقة الوصل بين هذا العصر والعصر التالي . وهم يقعون بين قعتين كبيرتين وليس من الحق ان نخفل الدور الذي قاموا به في الدراسات اللغوية ، او على الاقل في عملية النقل من جيل الى جيل . وليس في الامكان تمييزهم بحسب اتجاهات خاصة او بحسب الاساتذة الذين

درسوا عليهم بحيث نقول على وجه القطع : هذا تلميذ القالي وذاك تلميذ الزبيدي ، الا في حالات قليلة لان كثيرا منهم درسوا على غير واحد من أولئك الأساتذة . والواقع انني لا أستطيع ان احصر تلامذة هؤلاء العلماء لكثرة الآخذين عنهم سواء أكانوا من طلاب اللغة او طلاب العلوم الاخرى . وقد عدّ ابن خير تسعة عشر عالما رووا كتاب النوادر وحده عن ابي علي (١) . فاذا تذكرنا ان ابا علي قضى ستا وعشرين سنة في التدريس ، وتذكرنا كيف طال العمر بابن القوطية حتى روى عنه أجيال متلاحقون ، والعدة التي قضاها الزبيدي في التدريس ، أدركنا ان الاستقصاء مهما بلغ فلن يأتي الا على أسماء قليلة . وانما أخص بالذكر في هذا المجال أولئك الذين كان لهم نصيب في النشاط اللغوي اما تأليفا او تدريسا . وبعض هؤلاء الذين اذكرهم قد نوهت بما لهم من مؤلفات فيما تقدم . فهم اذن مجموعة تكمل جانبها من الصورة اللغوية في هذا القرن ، واغفالهم يبقي هذه الصورة ناقصة . وهذا ثبت بأسمائهم مرتبا بحسب سني وفياتهم حيث يمكن ذلك .

١ - محمد بن أبان بن سيد اللخمي القرطبي (٢) ( - ٣٥٤ / ٩٦٥ ) : وببدوانه اخو أحمد بن أبان الآتي ذكره ، غير أن هذا يكنى أبا عبد الله وذاك يكنى أبا القاسم . وكلاهما تولى الشرطة وكان مقدما عند الحكم المستنصر ، وكلاهما كان عالما في العربية وتعلمذ على القالي . فمما أخذ محمد عن أستاذه كتاب الاجناس لغلام الاصمعي (أبي نصر أحمد بن هاشم) والقلب والابدال ليعقوب ابن السكيت والفرق لثابت بن أبي ثابت وكتاب الخيل لأبي عبيدة والنقائض بين جرير والفرزدق واختيارات المفضل والاصمعي وأراجيز العجاج ورؤية (٣) .

- (١) فهرسة ابن خير : ٣٢٤ - ٣٢٥ .  
 (٢) تاريخ ابن الفرضي : ٦٩ .  
 (٣) فهرسة ابن خير : ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ .

٢ - محمد بن الحسين الفهرى<sup>(١)</sup> (٣٥٥ / ٩٦٥) : روى عن القالي ولازمه وتقدم في حفظ الآداب والعلم باللغات ، وعنه أخذ ابن الانليلى ، ولكنه قضى اكثر نشاطه في الوراثة لاستاذه القالي ، واليه والى زميله محمد بن معمر الجياني يعود الفضل في تهذيب ما لم يهذبه ابو علي من كتاب البارع - حسبما تقدمت الاشارة ، وسماه الحميدى غلام القالي وقال : " لازم ابا علي اسماعيل بن القاسم حتى نسب اليه لطول ملازمته له وانتفاعه به " .<sup>(٢)</sup> وواضح من تاريخ وفاته أنه توفي قبل استاذه .

٣ - محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن القرشي القرطبي المعروف بالمصنوع<sup>(٣)</sup> (٣٧٣ - ٩٨٣) تلميذ القالي ومن ثقات أصحابه وكان الغالب عليه علم اللغة ولم يكن له في غيرها من العلوم حظ . وصف بال ضبط وحسن النقل .

٤ - عبد الله بن أصبغ القرطبي المعروف بابن الصفّاع<sup>(٤)</sup> (٣٧٣ / ٩٨٣) : ~~صحيح~~ من قاسم بن أصبغ وروى عن القالي كثيرا من كتب اللغة وكان ضابطا حسن النقل معدودا في ثقات أصحاب القالي .

٥ - خلف بن سليمان بن عمرو ( عمرو بن فهرسة ابن خير ) البزاز<sup>(٥)</sup> (٣٧٨ / ٩٨٨) : صنهاجي الاصل من استجة ، وسكن قرطبة كان نحويا لغويا كتب عن القالي وغيره . ومن الكتب التي درسها على القالي كتاب الزاهر لابن الانبارى و نوادر ابن الاعرابي و نوادر القالي والامثال للاصمعي وكتب أبي زيد الانصارى .<sup>(٦)</sup>

(١) التكملة : ٣٧١ ، جذوة المقتبس : ٣٧٤ .

(٢) جذوة المقتبس : ٣٧٤ .

(٣) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٨٧ .

(٤) المصدر نفسه ١ : ٢٧٧ .

(٥) المصدر نفسه ١ : ١٦٣ .

(٦) فهرسة ابن خير : ٣٤١ ، ٣٧٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٧١ .

- ٦ - محمد بن سعيد بن أبي عتبة القشيري النحوي القرطبي<sup>(١)</sup> (١ - ٣٢٩ / ٩٨٩) :  
كان عالما بصنوف من العلوم كثير الكتب صحيح الضبط حسن النقل ، وقد حدث عن  
القالي والرياحي ، أستاذيه ، بحكايات وأخبار ونوادر .
- ٧ - أحمد بن إبان بن سيّد<sup>(٢)</sup> (١ - ٣٨٢ / ٩٩٢) : قد مرّ ذكره وذكر مؤلفاته ،  
وقد اتخذته - فيما تقدم - مثالا على الثقافة اللغوية المتخصصة ، وسردت ما  
درسه على القالي من كتب . وهو يعدّ من أكثر تلامذة القالي تأثيرا في الجيل  
التالي من دارسي اللغة ، ومن أشهر من أخذوا عنه الافليلي .
- ٨ - محمد بن عاصم النحوي القرطبي المعروف بالخاصي<sup>(٣)</sup> (١ - ٣٨٢ / ٩٩٢) :  
نحوي مشهور امام في العربية ، أثنى عليه ابن حزم وقال انه لا يقصر عن أكابر أصحاب  
محمد بن يزيد المبرد ، وكان من كبار الابداء وعلمائهم . روى عن القالي وعن الرياحي ،  
وهو أستاذ ابن الافليلي .
- ٩ - عبيد الله بن فح الطوطلي القرطبي<sup>(٤)</sup> (١ - ٣٨٦ / ٩٩٦) : روى عن القالي  
والرياحي وابن القوطية ونظرائهم وتحقق بالأدب واللغة . ومن مروياته عن القالي كتاب  
خلق الانسان لثابت والاشعار الستة الجاهلية ، وشعر الحطيئة وغيرها<sup>(٥)</sup> . وقد ذكرت  
له فيما تقدم كتاب "اختلاف لغات العرب" .
- ١٠ - عبد الله بن شعيب بن أبي شعيب الاشوني<sup>(٦)</sup> (١ - ٣٨٩ / ٩٩٩) : سمع

- 
- (١) الصلاة : ٤٥٢ .  
(٢) الصلاة : ١٤ ، وجذوة المقتبس : ١١٠ ، ٣٨١ ، وانباء الرواة ١ ، ٣٠ .  
(٣) الصلاة : ٤٥٣ ، وجذوة المقتبس : ٧٤ .  
(٤) الصلاة : ٢٨٩ ، وانباء الرواة ٢ : ١٥٣ .  
(٥) فهرسة ابن خبير : ٣٦٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ .  
(٦) تاريخ ابن الغرضي ١ : ٢٨٧ .



من القالي وابن القوطية ، وكان شيخا أديبا له بصر باللغة والعربية .

١١ - حسين بن وليد بن نصر القرطبي (١) (- ٣٩٠ / ١٠٠٠) ، كان نحويا

عالما بالعربية متقدما فيها وهو ممن درس على ابن المقوطية بقرطبة وله رحلة الى المشرق ، وبعد عودته أدب ابناء المنصور بن ابي عامر . وكان ابن الافلح من تلامذته الاخذين عنه .

١٢ - محمد بن عطاء الله النحوى القرطبي (٢) (- ٣٩٤ / ١٠٠٤) : غلب عليه

النحو ، وهو أحد تلامذة الزبيدي المقربين اليه حتى انه استأديه لبيته .

١٣ - محمد بن خطاب الأزدي القرطبي النحوى (٣) (- قبل ٤٠٠ / ١٠١٠) ، روى

عن القالي وابن القوطية والرياحي وعني بالعربية وتقدم في صناعتها ، وكان يدرس عليه أولاد الاكابر وخاصة بني حدير .

١٤ - عبد الملك بن طريف القرطبي مولى الهبيديين (٤) (- نحو ٤٠٠ / ١٠١٠) :

أخذ عن ابن القوطية وألف في الافعال كتابا لقي قبولا حسنا بين الدارسين ، وقال الحميدى نقلا عن ابن حزم انه زاد في كتاب الافعال لابن القوطية زيادات استفيدت منه وأخذت عنه .

١٥ - أحمد بن محمد بن ربيع الأصبحي القرطبي (٥) (- ٣٩٩ / ١٠٠٩) : روى

عن أبي علي البغدادي ، وعني باللغة والآداب والأخبار .

(١) تاريخ ابن الفرضي ١ : ١٣٥ .

(٢) الصلة : ٤٥٥ .

(٣) جذوة المقتبس : ٥٠ ، والتكملة : ٣٧٧ .

(٤) الصلة : ٣٤٠ ، وانباء الرواة ٢ : ٢٠٨ ، وانظر فهرسة ابن خير : ٣٥٦ .

وجذوة المقتبس : ٣٨١ .

(٥) الصلة : ٢١ .

- ١٦ - محمد بن أحمد بن عبيد الله الأموي القرطبي المعروف بابن العطار (١) :  
 ( - ٣٩٩ / ١٠٠٩ ) : أحد تلامذة ابن القوطية . له رحلة حج فيها ، كان  
 يجمع الى معرفته باللغة تبحرا في الفقه والفرائض والحساب ومعرفة بعقد الشروط  
 لا يجاربه في ذلك أحد من أهل عصره وجمع فيها كتابا حسنا درسه للناس بالمسجد  
 الجامع بالزاهرة في أيام المنصور .
- ١٧ - محمد بن أحمد العقيلي القرطبي (٢) ( - ٤٠٠ / ١٠١٠ ) : روى عن القاضي  
 وكان مقدما في علم العربية وقد اشتغل بتدريسها .
- ١٨ - سعيد بن عثمان البرهري اللخوي القرطبي المعروف بابن القزاز (٣) ( - ٤٠٠ /  
 ١٠١٠ ) : تتلمذ على اساتذة كثيرين منهم ابو علي القاضي . كان حافظا للغة  
 والعربية ضابطا لكتبه متقنا في نقله ، وهو الذي ذكرت من قبل رده على صاعد  
 في كتاب الفصوص ، وذكر أنه أكثر التحامل عليه فيه (٤) . ويعد ابن القزاز من أجل  
 أصحاب القاضي ، وهو أحد ثلاثة صحت اللغة بالاندلس عن طريقهم بعد ابي علي ،  
 أما الاثنان الاخران فهما الزيبي وابن أبي الحباب .
- ١٩ - أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب النحوي القرطبي (٥) ( - ٤٠٠ / ١٠١٠ ) :  
 روى عن القاضي ولزمه وكان أثيرا لديه وكان من جلة شيوخ الادب عالما باللغة والاخبار  
 حافظا ضابطا لها ، صحيح الرواية ، شديد الحفظ للغة والتفنن في علومها وكانت فيه  
 غفلة شديدة . وهو مؤدب المظفر بن المنصور . روى عن القاضي كتاب اصلاح المنطق

(١) الصلوة : ٤٥٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٤٦٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٤ ، وانباء الرواة ٢ : ٤٤ - ٤٧ .

(٤) انباء الرواة ٢ : ٤٧ .

(٥) الصلوة : ٢٥٥ ، وجريدة القتب ١١١ .

لابن السكيت وأدب الكتاب وفصح ثعلب والامثال لأبي عبيد وكتاب فعلت وأفعلت للزجاج والمثلث لقطرب وخلق الانسان لثابت والملاحن لابن دريد ونوادير ابن الاعرابي (١) وغير ذلك كثير .

٢٠ - ابن سيد<sup>\*</sup> والد اللغوى المشهور واسمه اسماعيل (٢) ، (بعد ٤٠٠ / ١٠١٠) لقي الزبيدي وأخذ عنه مختصر العين وكان من النحاة الاذكياء .

٢١ - سعيد بن محمد المعافى القرطبي المعروف بابن الحداد (٣) ( بعد ٤٠٠ / ١٠١٠) : أخذ عن ابن القوطية . وقد ذكرته فيما تقدم حين تحدثت عن بسطه لكتاب الأفعال من تأليف استاذة .

٢٢ - هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي القرطبي (٤) ( - ٤٠١ / ١٠١١) : نحوى روى عن القالي وكان من الطلبة الذين تلقوا عنه كتاب النوادر بجامعة الزهراء وقد حكى كيف ذهب مرة الى الدرس في فصل الربيع فأخذته سحابة وابتلت ثيابه ودخل جامع الزهراء على أبي علي وحولته أهل قرطبة فأدناه القالي منه وقال له : مهلا أبا نصر لا تأسف على ما عرض لك ، ثم حكى القالي حكاية عن نفسه يسليه بها ويصور مبلغ ما كان يقاسيه أيام الطلب . قال ابن جندل : " وسلاني بما حكاه ، وهان عندي ما عرض لى من تلك الثياب واستكثرت من الاختلاف اليه ولم افارقه حتى مات رحمه الله " . وروى أيضا عن الرهاحي كتاب النقائض لابن ولاد وكتابي صفحة

(١) فهرسة ابن خير : ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،

٣٦٦ ، ٣٧٢ .

(٢) الصلوة : ١٠٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٩ .

(٤) المصدر نفسه : ٦٢٠ - ٦٢١ .

الكتاب والاشتقاق لابن الفحاص<sup>(١)</sup> وكتاب الاخبار للمازني وكتاب أبي الحسن الاخفش في النحو<sup>(٢)</sup> ، وألف كتباً في تفسير عمون مسائل سيويه .

٢٣ - عبد الله بن حسين بن ابراهيم ابن عاصم القرطبي المعروف بابن الخريالي<sup>(٣)</sup> (٤٠٣ / ١٠١٣) : روى عن القالي كتاب النوادر ، وهو من ابناء البيوتات ، ولي الشرطة ، وله تأليف في الانواء ، واختصار للبيان والتبيين .

٢٤ - حبيب بن أحمد المعروف بالشطجيري<sup>(٤)</sup> (٤٠٤ / ١٠١٤) : روى عن القالي كتاب النوادر<sup>(٥)</sup> وعن ابن القوطية ، وروى كتاب الدلائل عن ثابت بن قاسم ، ودون شعر الغزال الجياني على حروف المعجم ، وقد كان في الشناتين لما خرج عن قرطبة عام ٤٠٤ / ١٠١٤ . وقال الحميدى توفي قريباً من الثلاثين وأربعمائة (١٠٣٩ م) وهو مستبعد كما ترى من تحديد سنه .

٢٥ - سليمان بن خلف القرطبي المعروف بابن نفيل<sup>(٦)</sup> (٤٠٨ / ١٠١٧) : سمع على أبي علي كتاب النوادر من تأليفه وغير ذلك وأجاز له . وروى عنه أيضاً مؤلفات أبي زيد الانصاري<sup>(٧)</sup> . ونوادر ابن الاعرابي .

٢٦ - عبد الله بن الربيع بن عبد الله التميمي ساكن قرطبة (٤١٥ / ١٠٢٤) : سمع القالي وغيره وروى عنه ابن حزم .

- 
- (١) فهرسة ابن خير : ٣٨٦ .  
 (٢) المصدر نفسه : ٣١٣ ، ٣١٤ .  
 (٣) التكملة : ٧٩١ .  
 (٤) الصلوة : ١٥٢ وجذوة المقتبس : ١٨٦ .  
 (٥) فهرسة ابن خير : ٣٢٥ .  
 (٦) الصلوة : ١٩٤ - ١٩٥ .  
 (٧) فهرسة ابن خير : ٣٧١ ، ٣٧٣ .

٢٧ - حسان بن مالك بن أبي عبيدة (١) (- ٤١٦ / ١٠٢٥) : روى عن الزبيدي

والتراز وكان من جلة الأدباء العلماء معدودا من أئمة اللغة وهو الذي كتب  
للمنصور كتابا في الأسماء سماه " ربيعة وعقيل " . قرأ على الزبيدي كتاب فعلت  
وأفعلت للزجاج وكتاب أبنية سيبويه للزبيدي نفسه .

٢٨ - معاذ بن عبد الله بن طاهر البلدي (٢) (- ٤١٨ / ١٠٢٧) : تلميذ ابن

القوطية والرهاحي وكان بارعا في اللغة العربية والأدب .

٢٩ - محمد بن خزرج بن سلعة اللخمي الاشيلي (٣) (- ٤١٩ / ١٠٢٨) : صحب أبا

بكر الزبيدي واختص به ، وكان عمره يوم توفي إحدى وتسعين سنة وأشهرها .

٣٠ - عبادة بن ماء السماء الشاعر (٤) (- ٤١٩ / ١٠٢٨ أو ٤٢١ / ١٠٣٠) ،

غلب عليه الأدب والشعر ، وألف كتابا في أخبار شعراء الاندلس ، وهو من تلامذة  
الزبيدي . روى عن الزبيدي كتابه لحن العامة ، والواضح في النحو ، ومختصر العين ،  
والمستدرک من الزيادة في كتاب البارع ، ورسالة التقويظ . ومن كتب القالي روى  
كتاب البارع في اللغة وكتاب الابل ونتاجها ، وحلي الانسان والخيل وشياتها ،  
ومقاتل الفرسان ، وتفسير القوائد والمعلقات . وقرأ أيضا المفضليات والاصمعيات  
ومتصورة ابن دريد والاضداد لشطب (٥) .

٣١ - يوسف بن ورمز بن خيران السكوني البظليوسي (٦) (- ٤٢٤ / ١٠٣٣) ، تتلمذ

(١) الصلة : ١٥٣ وجذوة المقتبس : ١٨٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٩١ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٨٤ .

(٤) جذوة المقتبس : ٢٧٤ ، الذخيرة ٢/١ : ١ - ١٢ ، الصلة : ٤٢٦ ،

فوات الوفيات ١ : ٤٢٥ .

(٥) انظر صفحات متفرقة من فهرسة ابن خير .

(٦) الصلة : ٦٣٩ .

على الزبيدي وابن ابي الحباب وابن القزاز في قرطبة وكان عالما بالعربية ، ولما توفي كان قد قارب الثمانين .

وهناك تلامذة لم تذكر المصادر سنوات وفاتهم ومنهم :

٣٢ - محمد بن ابراهيم بن معاوية القرشي (١) : صحب ابا علي القالي وأخذ عنه

واكثر العازمة له ، وورق له تصانيفه .

٣٣ - عبد الله بن حمود الزبيدي (٢) صحب القالي وكان شديد العازمة له ، ثم

هاجر الى المشرق وصحب ابا علي الفارسي . ومن خبره مع ابي علي أن ابا علي غلب

يسوما الى الصلاة في المسجد فقام اليه عبد الله بن حمود هذا من مذود - ~~وكل~~

وكان لدابة ابي علي خارج داره - وكان عبد الله قد بات فيه ليديج اليه قبل

الطلبة ، طلبا للسبق والأخذ من علمه ، فارتاع ابو علي وقال له : ويحك ممن

تكون ؟ قال انا عبد الله الاندلسي ، فقال : الى كم تتبعني ، والله ان على

وجه الارض انحن منك . ولم يرجع الزبيدي هذا الى وطنه ومات مغتربا . ويقال

انه توفي ببغداد سنة ٣٧٢ / ٩٨٢ .

٣٤ - يوسف بن فضالة الأديب ابو الحجاج (٣) ، من أشهر أصحاب أبي علي

والآخذين عنه ، درس عليه كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت (٤) وفعلت وأفعلت

(١) انباء الرواة ٣ : ٦٣ .

(٢) التكملة : ٧٨٣ ، انباء الرواة ٢ : ١١٨ ، الذيل والتكملة ٤ : ٢٢٠ ،  
بخية الوعاة : ٢٨٢ .

(٣) الصلاة : ٦٣٩ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٣٠ .

للقالى (١) وأفعل من كذا له (٢) وكتب الأخبار التى جلبها . (٣)

وبلاحظ ان اكثر هؤلاء الذين ذكرتهم ينتعون الى قرطبة فهى مركز النشاط العلمى فى ذلك العصر . وقد أغفلت ذكر فئتين فى هذه القائمة :

١ - فئة من اللغويين الذين امتد بهم طلق العصر ، وكانت لهم جهود واضحة تجاوزت مطلع القرن التالى ، مثل ابن التيانى وابن الافليلي وغيرهما من تلامذة هؤلاء العلماء الاعلام .

٢ - فئة من اللغويين عاصرت هؤلاء الذين ذكرتهم ولكن أثرهم كان ضعيفا فى تخريج الطلبة او فى الاتصال بهذه الحركة العلمية نفسها التى تزعمها القالى والزبيدى وابن القوطية .

(١) فهرسة ابن خير : ٣٥٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٥٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٩٨ - ٣٩٩ .

## الكتاب الثالث

الحركة اللغوية بالاندلس

في القرن الخامس الهجرى



## الفصل الرابع

### العوامل المؤثرة في توجيه الحركة اللغوية

#### في القرن الخامس

#### ١ - صورة موجزة للأحوال السياسية في هذا العصر :

قد أشرت في فصل سابق الى ما بلغته الدولة الاموية العامرية من مجد سياسي وعمران داخلي ، ولكن هذا كله بدأ بالانتقاض بعد وفاة المنصور اذ تولّى ابنه عبد الملك المظفر الحجابة (٣٩٢ - ٣٩٦/١٠٠٢-١٠٠٦) وسارت الأحوال بقوة الاستمرار سيرا مقبولا . غير ان ولد المظفر المسمى عبد الرحمن شنجول لم يقنع بأن تكون كل السلطة في يده بينما الخليفة هشام المؤيد ابن الحكم المستنصر لا حول له ولا قوة ، بل فرض على المؤيد ان يكتب عهدا بالتنازل له عن الخلافة (١) . ولم يكن الأمويون ليرضوا بهذا الذي حدث فثار محمد بن هشام بن عبد الجبار بقرطبة ، وتلقب بالمهدى ، واشاع ان هشاما المؤيد قدم مات واتخذ له جندا من العامة وأطراف الناس ، وقرّبهم وآثرهم على العميد العامرية وعلى الطوائف البربرية (٢) . عندئذ انشق الامويون على انفسهم وثار فويق آخر على المهدي بقيادة سليمان الذي تلقب بالمستعين . وكان اكثر الذين التفوا حول سليمان هم البربر متحالفين مع شانجة بن غرسية الذي أمدهم بجيش عظيم من النصارى فحاصر الجيشان المتحالفان قرطبة ، وكانت مناوشات ومعارك انتصر فيها سليمان المستعين بعد ان خرب هو وجيوشه قرطبة ، وفرّ ابن عبد الجبار ثم عاد بجيش جديد يحاول

(١) راجع هذا العهد في البيان المغرب ١ : ٤٣ - ٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٥١ .

استعادة المدينة . ذلك هو ما يسمى في التاريخ باسم الفتنة البربرية ( ٣٩٩ - ٤٠٢ / ١٠٠٩ - ١٠١٢ ) . وظل الأمر في قرطبة لسليمان حتى أخذها منه بنو حمود سنة ٤٠٦ . كل هذا كان يحدث حول قرطبة بينما كان أمراء العامريين يهربون منها ويحتل كل منهم بلدا ويعلن استقلاله فيها . فاستولى مجاهد العامري على دانية والجزائر ، واستولى مبارك ومظفر العامريان على مدينتي بلنسية وشاطبة ، واستولى خيران الصقلي العامري على مدينة المرية ، وكون زهير الفتى العامري دولة امتدت الى شاطبة وبياسة وما وراءها من أعمال طليطلة (١) .

وظهر جليا بعد اخفاق المحاولات المتكررة لارجاع الخلافة الأموية ان الفتنة البربرية قد قضت على وحدة الاندلس كما قضت على عمران قرطبة (٢) . وانترى

(١) راجع اعمال الاعلام .

(٢) اتصلت خطط العمارة بقرطبة في ايام بني أمية ثمانية فراسخ طولاً ، وفي عرضها فرسخين ( ٢٤ ميلا X ٦ ) كل ذلك ديار وتصور وساتين ومساجد وقيساريات وخانات وأسواق وحمامات بطول ضفة الوادي المسمى بالوادي الكبير ٠٠٠ وكان لقرطبة واحد وعشرون ربضا ٠٠٠ وبلغ عدد دورها في أيام العنصور ١١٣٠٢٢ داراً ، ومن المساجد ١٣٨٢٠ مسجداً ومن الحمامات ٣٩١١ حماماً ، ومن الفنادق والخانات ١٦٠٠ لسكنى التجار والمسافرين والعزاب والغرباء وغيرهم ، ومن الحوانيت ٨٠٤٥٢ حانوتا . فخرّب اكثر ذلك العمران في الفتنة . ( راجع ذكر بلاد الاندلس الورقة ٢٤ - ٢٨ ، مخطوطة الرباط رقم ٨٥ ل مؤلف مجهول ) . ويقول البكري : " عقب الفتنة التي كانت على رأس اربعمائة من الهجرة واستمرت الى وقتنا هذا وهو سنة ستين واربعمائة من الهجرة عفت آثار هذه القرى وغيّرت رسوم ذلك العمران ، فصار اكثرها خلاء يندب ساكنيه ، وبابا يخص مبصريه وكذلك حكم الله في كل جديد ان يبليه . وفي كل أهل ان يخليه " ( المسالك والمعالك ، مخطوطة الرباط ٤٨٨ ق . الورقة ٢٢٠ ) . وانظر حديث ابن حبان في الذخيرة عما أصاب قرطبة في هذه الفتنة ، فقد كان شاهد عيان لما يجرى يومئذ ( ١١١ : ٢ / ١ - ١١٣ ) .

في كل منطقة رجل قوى اعلن استقلاله ، وهذا هو ما يسمى في تاريخ الاندلس بعصر ملوك الطوائف . ففي قرطبة بنو جهور ،<sup>(١)</sup> وفي اشيلية بنو عباد<sup>(٢)</sup> ، وفي بطليوس بنو الافطس<sup>(٣)</sup> ، وفي طليطلة بنو ذى النون<sup>(٤)</sup> ، وفي سرقسطة بنو هود<sup>(٥)</sup> ،

- (١) مؤسس هذه الدولة هو الوزير ابو الحزم بن جهور . وقد تولى الأمر بعد فرار هشام بن محمد ، الملقب بالمعتد بالله ، سنة ٤٢٢ / ١٠٣١ . وكانت حكومته تيسر سلطانها على جيان وابدة وبياسة والمدور وأرجونة واندوجعر . وعرفت حكومة ابن جهور في صف التاريخ الاسلامي " بحكومة الجماعة " . وتوفي ابن جهور ٤٣٥ / ١٠٤٤ ، وسقطت المدينة بأيدي بني عباد عام ٤٦٢ / ١٠٧٠ . ( دول الطوائف ، عنان : ٢٠ - ٣٠ ) .
- (٢) مؤسس هذه الدولة قاضي اشيلية ابو القاسم بن عباد عام ٤١٤ / ١٠٢٣ . ثم تولى الأمر من بعده ابنه عباد بن محمد المعتضد بالله ، سنة ٤٣٣ / ١٠٤٢ ، فاستولى على لبلبة وامارة ولبة وجزيرة شلطيش وامارة شنتحيرة وباجة واركش وسورور وزندة وقرمونة . ومات المعتضد سنة ٤٦١ / ١٠٦٩ ، فتولى الأمر من بعده ابنه المعتد الذي استولى على قرطبة سنة ٤٦٣ / ١٠٧١ . وفي عهده سقطت الدولة العبادية على يد يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٤ / ١٠٩١ . ( دول الطوائف : ٣١ - ٧٩ ) .
- (٣) حكم بنو الافطس بطليوس نيفا وسبعين عاما ، وكان اول الملوك عهد الله بن محمد الملقب بالمنصور الذي استولى على الامر سنة ٤١٣ / ١٠٢٢ ، وآخرهم عمر بن محمد المتوكل ، وفي عهده سقطت بطليوس بأيدي المرابطين سنة ٤٨٨ / ١٠٩٤ . ( دول الطوائف : ٨٠ - ٩٢ ) .
- (٤) مؤسس هذه الدولة اسماعيل بن ذى النون الظافر ( ٤٢٧ - ٤٣٥ / ١٠٣٦ - ١٠٤٣ ) ، وقد سقطت الدولة على يد الفونسو السادس سنة ٤٧٨ / ١٠٧٥ ، وذلك في عهد يحيى بن اسماعيل بن يحيى القادر . ( دول الطوائف : ٩٣ - ١١٦ ) .
- (٥) مؤسس هذه الدولة المنذر بن يحيى التجيبي ٤٠٨ - ٤١٤ / ١٠١٧ - ١٠٢٣ . وقد احتلها المرابطون سنة ٥٠٣ / ١١١٠ في عهد عبد الملك بن احمد عماد الدولة . ( دول الطوائف : ٢٥٤ - ٢٨٥ ) .

وفي غرناطة بنو زهرى الصنهاجيين (١)، وفي اركش بنو خزرون (٢)، وفي البونت بنو قاسم (٣)، وفي شلطيح وولبة البكريون (٤). ويطول الامر لو أردت تعداد كل تلك الدول، وانها ذكرت هنا أشهرها . وتتعايز هذه الدول فيما بينها قوة وضعفا، وضيقا واتساعا، ولكنها تشترك معا في مظاهر محددة . فكل دولة تتفق على جيش تعدده لمواجهة الخطر من الدولة المجاورة، وبذلك تثقل الرعية بما تفرضه من ضرائب، وكل دولة تدفع الضريبة السنوية لألفونس السادس (الانفونش) لأنه اقوى من كل دولة منها على حدة وهي من جراء التنافس فيما بينها لا تفكر في مواجهته مجتمعة . ولذلك نستطيع ان نبتين في هذا العصر ثلاث مراحل، المرحلة الاولى : مرحلة المحاولات المتكررة لانقاز الاندلس باعادة الخلافة الاموية . وقد انتهت هذه المرحلة حوالي ٤٢١ / ١٠٣٠ . المرحلة الثانية : مرحلة البناء الداخلي في كل دولة على حدة، وبخاصة الدول الكبيرة مثل دولة بني عباد وبني الافطس وبني هود وبني جمهور الخ .

- (١) مؤسس هذه الدولة زاوى بن زهرى (٤٠٣ - ٤١٠ / ١٠١٣ - ١٠١٩) .  
 واستولى عليها المرابطون سنة ٤٨٣ / ١٠٩٠ في عهد عبد الله بن بلقين ( دول الطوائف : ١١٨ - ١٤٤ ) .
- (٢) مؤسس هذه الدولة محمد بن خزرون عماد الدولة ( ٤٠٢ - ٤٢٠ / ١٠١١ - ١٠٢٩ )، وقد استولى بنو عماد عليها سنة ٤٦١ / ١٠٦٨ في عهد محمد ابن محمد بن خزرون القائم . ( دول الطوائف : ١٥٠ - ١٥٣ ) .
- (٣) مؤسس هذه الدولة عبد الله بن قاسم ( ٤٠٠ - ٤٣١ / ١٠٠٩ - ١٠٣٩ ) .  
 وقد استولى عليها المرابطون سنة ٤٩٥ / ١١٠٢ في عهد عبد الله بن محمد جناح الدولة . ( دول الطوائف : ٢٤٩ - ٢٥١ ) .
- (٤) مؤسس هذه الدولة عبد العزيز البكرى عز الدولة ( ٤١٧ - ٤٣٣ / ١٠٢٦ - ١٠٤١ ) وقد استولى عليها المعتضد بن عماد . ( دول الطوائف : ٤٠ - ٤١ ) .

وقد انتهت هذه المرحلة عندما سقطت طليطلة مركز بني ذي النون في يد الازفونش عام ١٠٨٥ / ٤٧٨ . المرحلة الثالثة : مرحلة الخطر وانتقاض الامر في الاندلس . فان سقوط طليطلة كان يعني ان الازفونش لن تقف به اطماعه عند هذا الحد ، لأن طليطلة هي مفتاح الاندلس من الشمال . وجرّ سقوطها الى استدعاء الصحراويين (او المرابطين او الملثمين) بقيادة يوسف بن تاشفين فكانت معركة الزلاقة (٤٧٩ / ١٠٨٦) كاجحة لاطماع الشماليين . ولكن ما لبث يوسف نفسه ان طمع في الاستيلاء على الاندلس لرغبة الرعية فيه ، وبخاصة الفقهاء ، ولما رأى من شقاق وتباذ بين أمراء الطوائف ، فاستولى على تلك الدول واحدة واحدة ، ما عدا ناحيتين : دولة بني هود ، فقد ابقاها حدا فاصلا بينه وبين قوى الشمال ، وبلنسية التي استولى عليها السيد الكنيطور (٤٨٥ / ١٠٩٢) وامتدت دولته فيها حتى سنة ١١٠٢ / ٤٩٥ . (١)

تلك صورة موجزة اشدّ الاجاز لأنه ليس من هي ان ادرس الناحية السياسية الا بمقدار ما تلقي ضوءا على طبيعة الحياة اللغوية . واذا عدت الى تصور العلاقة بين هذه الأوضاع والنشاط العلمي عامة خرجت بالنتائج الآتية :

١- قضت الفتنة البربرية على كثير من العلماء بالموت او بالهجرة من الاندلس الى خارجها ، او بمغادرة قرطبة الى مدن أندلسية اكثر اطمانا (٢).

٢- اصبحت حياة العالم او الاديب في هذا العصر ، من ناحيتها المعاشية ،

(١) راجع : أعمال الاعمال ، تحقيق بروفنسال : ٢٤١ - ٢٤٨ ، وراجع أيضا الاستقصا ٢ : ٣٠ - ٦٠ .

(٢) راجع أثر الفتنة البربرية في الحياة الأدبية في كتاب تاريخ الادب الاندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ١٧٣ - ١٨٩ .

قائمة في الاكثر على التجوال المستمر والاحتفاء ببلاطات الأمراء .

٣- لم يمتد فترة الاستقرار في هذا العصر طويلا بحيث تسمح للفرد أن يشمر بالأمن وان يصدر انتاجه في ظله . ولذلك نستطيع ان نصف العلماء الاندلسيين انصافا حقيقيا اذا تصوّرنا أنهم أقبلوا على هذا القدر من التأليف في وقت تعممه الفوضى ويشتد فيه اليأس من العمل الايجابي .

٤- كانت الصبغة الأدبية أغلب على هذا العصر من سواها ، لحاجة كل أمير الى بطانة من الشعراء تشيد بمناقبه وتنتحل له مناقب أخرى ليست فيه . ومهما يقل عن التنافس بين أمراء الطوائف في تشجيع العلوم فانه ليس من الخطأ القول بان ما أثاره تشجيع الحكم وحده للكتب التي ألفت في مختلف الموضوعات يفوق ما أثاره أمراء الطوائف مجتمعين (١).

## ٢ - العوامل الجديدة التي أثرت في الحركة اللغوية :

على اى حال كان لهذا العصر خصائصه الفارقة من الناحية السياسية التي بعثت بدورها فروقا في الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية . ومن ثم وجدت عوامل محلية أثرت في توجيه الحركة اللغوية في هذا العصر وجهتها التي سارت فيها ، بالاضافة الى ما كان هنالك من عوامل تقليدية من رحلة السى الى المشرق ، وهجرة للمشاركة والكتب المشرقية الى الاندلس ، وحلقات للتدريس والمناظرة ، وتشجيع على التأليف .

أ - وأول هذه العوامل الجديدة ذلك الخصب اللغوى الذى أوجده القالي وتلامذته . وكان لا بد ان يؤتي ثمراته على حسب قانون التطور الطبيعي في هذا

(١) تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين : ٧٧ .

العصر الذي اتحدث عنه . فما كما لنرى رسوخ الدقة اللغوية ، والاتجاه الى شرح الامهات من كتب اللغة ، واعتماد الأصول ، واتساع مجال الثقافة اللغوية ، لولا تلك الحركة التي أثارها القالي بشخصيته ، وتعليمه ، والكتب التي هاجر بها ، والتلامذة الذين تخرجوا على يديه . ولكن هذا العامل تشكل أثره أيضا بقوة العوامل الأخرى .

ب - وثاني تلك العوامل تعدد المراكز الثقافية على أصول الانقسام السياسي ، بحيث أصبحت كل عاصمة دولة من دول الطوائف مركزا من مراكز الأدب والعلم . وقد كما نشير في العصر السابق أكثر ما نشير الى قرطبة التي كانت كالكذب المغناطيسي في اجتذابها للعلماء من مدن الاندلس وغير الاندلس ، اما في هذا العصر فلعل قرطبة لم تكن كبرى المراكز العلمية بل أصبح ينافسها كثير من المدن . واتصل هذا العامل بطبيعة امراء الطوائف انفسهم ، فقد كان الأمير هو الراعي الأول للحركة الثقافية ، وكان لون هذه الحركة يسير حسب ميول ذلك الأمير . فكان الميل الأدبي اغلب على بلاط اشبيلية وكان الميل العلمي اغلب على بلاط بني زى النون بطليطلة . وبني هود بسرقسطة . وكانت المباهاة بجمع أكبر عدد من العلماء المشهورين في مختلف العلوم ، من فقه وحديث ولغة ، ميزة لبلاط العامريين في دانية . ومن الصعب ان نأخذ هذا القول مأخذا حاسما ان ليس معنى غلبة الميل الخاص انعدام ظروف النشاط الأخرى ، ولكني ما دمت اتحدث عن ناحية التشجيع الذي يبذله الأمير فلا بد أن ألمح صعوبة في استبانة موضع العالم اللغوي من هذا التشجيع نفسه . ويزيد الأمر صعوبة ذلك القلق السياسي الذي كانت تعيش فيه الجماعة الاندلسية وهو يؤثر بدوره على <sup>الفرد</sup> وعلى مصادر معيشته . ولذلك لم يكن الشاعر وحده هو الذي يطلب رزقه بالتثقل بين بلاطات الأمراء ، بل وجد كذلك العالم اللغوي الذي يطلب رزقه

معلما او عضوا في حاشية الأمير بالتقل من بلد الى بلد . و احيانا تكون النقطة  
استدعاء من قبل الأمراء أنفسهم اعتمادا على شهرة ذلك العالم وتنافس بينهم فسي  
الاستثثار بالمشهورين من الأدياء والعلماء . ولنا في تتقل البكرى وابن السيد وابن  
التيانى وابن سيده وغيرهم أمثلة على التحرك المستمر في الالتحاق بأمر أو آخر . وما  
نزال نرى الامراء ينهجون منهج الحكم المستنصر في اقتراح الموضوع الذى يؤلف فيه العالم  
اللغوى ووضع حدود لمنهج التأليف . فالأعلم يقول في مقدمة كتابه الذى شرح به  
ايبات كتاب سيويه : " هذا كتاب أمر بتلخيصه وتهذيبه وتخليصه المعتمد بالله  
المصور بفضل الله ، ابو عمرو عباد بن محمد بن عباد ، أطل الله بقاءه ، وأدام  
عزه وعلاه ، عناية منه بالأدب وميلا اليه ، وتهمما بعلم لسان العرب وحرصا  
عليه ، أمر ، أدام الله عزه وأعز سلطانه ونصره ، باستخراج شواهد كتاب  
سيويه ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، رحمة الله عليه ، وتخليصها منه وجمعها في  
كتاب يخصها ويفصلها عنه ، مع تلخيص معانيها وتقريب مراميها . . . فانتهيته السى  
أمره العلي ، وسلكت فيه منهاج مذهبه الرفيع السني ، وأمليته على ما حد " (١)  
وقد نرى العالم يطرز كتابه باسم أمير تقرها اليه ، كما فعل ابو عبيد البكرى حين  
كتب " التبيه على اوهام أبي علي في أماليه " فانه أهداه للمعتمد بن عباد . وبمثل  
تمام بن غالب التيانى أنموذجا ثالثا هو انموذج العالم الذى لا يستبيح لنفسه تجاوز  
الحقيقة ، ولا يهمه ان يزين كتابه باسم عظيم من العظماء . فقد سأله ابو  
الجيش مجاهد العامرى ان يكتب في صدر كتابه " انه معا الفه لأبي الجيش ، وبعت  
اليه الف دينار اندلسية ، فرد الدينير ، وأبى من ذلك ، وقال : " والله لو  
بذلت لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب ، فاني لم أجمع له خاصة

(١) كتاب سيويه ١ : ٣ - ٥ .



ولكن لكل طالب عامة " (١) . ولم تشتهر هذه الحكاية الدالة على النزاهة والتعفف وعلو الهمة الا لأن امثالها كانت قليلة، ولأنه كان من حسن حظ العالم ان يجد أميراً يرعاه فيزيّن كتبه باسمه .

فتقل العلماء ظاهرة تفارق ما ألفناه في العصر السابق من استقرار العالم في بلد ، وارتحال الطلبة للأخذ عنه ، وغالبا ما يكون هذا البلد هو قرطبة . أما في هذا العصر فقد أصبح كثير من معلمي اللغة متقلين ، واستغنى الطالب ، الى حد ما ، عن الارتحال الدائب من أجل الطلب . وفي تضاعف هذا التقل نلمح شيئا من الاستقرار النسبي ، نستطيع من خلاله ان نقرن بكل بلد علماء اشتهروا فيه على وجه التقريب . فكانت قرطبة مركزا لحلقتين كبيرتين من حلقات العلم اللغوي ، حلقة ابن الافليحي ، وحلقة ابن سراج . وانضاف اليهما ابن السيد الذي لم يكن ليخادر قرطبة لولا خوفه على حياته من بعض وزراءها . فلما حل في بلنسية اصبحت له مقاما دائما وعاش فيها حتى ادرك العصر التالي . وفي اشبيلية وجد اثنان من كبار علماء اللغة هما ابو الحجاج الاعلم الشنتمرى ، وابو عبيد البكري ، وهما أيضا مهاجرين الى اشبيلية وليسا من أهلها أصلا ، وقد اطمان الثاني منهما الى المقام في اشبيلية في ظل المعتمد بن عباد وظل فيهما الى ان توفي عام ٤٨٧ / ١٠٩٤ . وأما الاعلم فانه بعد ان طلب العلم في قرطبة سكن اشبيلية ، وظل فيها أيضا حتى توفي عام ٤٧٦ / ١٠٨٣ . وكذلك استقر في اشبيلية ابن دحيم أستاذا للغة والنحو (٢) . ونستطيع ان نقرن ابن التياني بمرسية ، الا انه استدعي الى المرية ليدرس فيها بعض ابناء الوزراء (٣) . وفي ظل بني

(١) فهرسة ابن خير : ٣٦٠ ، جذوة العقاب : ١٧٢ .

(٢) الصلوة : ٢١٩ .

(٣) فهرسة ابن خير : ٣٦٠ .

صالح بالعمية أيضا ، عاش محمد بن معمر اللغوي المعروف بابن أخت غانم منتقلا اليها من مالقة . وهو شاح كتاب النبات لابي حنيفة في مجلدات عديدة (١) . وفي ظل مجاهد الحامري وابنه اقبال الدولة قض ابن سيده أكثر ايامه ، ووجد في دانية بيئة صالحة تمكنه من التفرغ للعلم والتأليف . فقد استطاع مجاهد بميله الى العلم وأشجيمه للعلماء ان يجمع حوله نخبة من العاملين في العيادين العلمية ، لا في ميدان اللغة فحسب . فقد قصد صاعد الاندلسي نفسه قبل ان يرتحل عن الاندلس الى صقلية (٢) ، وعاش في بلاطه ابن عبد البر النمري احد كبار فقهاء المالكية في عصره (٣) . وقصد مملكته ابن حزم الاندلسي . وفي ميورقة ، وهي جزيرة تحت حكمه ، نشأت المناظرة بين ابن حزم وابي الوليد الباجي (٤) . أما من اللغويين عدا صاعد وابن سيده فقد قصد ثابت الجرجاني ، فأكرم وفادته الى مدينة دانية ، وفيها شرح ثابت كتاب الجمل للزجاجي . والى ثابت ارتحل ابو تمام النحوي من بلدة قطين بميورقة ، وسكن دانية ، ودرس عليه (٥) . وفي طليطلة استقر سعيد بن عيسى بن الاصفر يعلم اللغة وهو مؤلف شرح كتاب الجمل (٦) . كما كان أبو الوليد الوقشي يدرس فيها اللغة الى جانب تدريسه للهندسة والعدد وعلوم الأوائل . ومن معلمي اللغة الذين استقروا في طليطلة ابراهيم بن لسب بن ادريس التجيبي وأصله من قلعة أيوب ، سكن طليطلة وأدب بالعربية في سقيفة الجامع بتلك المدينة مدة من الزمن ثم ذكر لأبي الوليد الوقشي أن ابراهيم حويص على تعلم الهندسة فقال له : خذ فيه ، فقرأ

- 
- (١) انظر ترجمة ابن أخت غانم في المغرب ١ : ٤٣٣ ، وبغية الوعاة : ١٠٦ .  
 (٢) وفيات الاعيان ٢ : ١٨١ .  
 (٣) الصلوة : ٦٤٢ .  
 (٤) التكملة : ٣٩١ ، وانظر نفح الطيب ٢ : ٢٨٢ .  
 (٥) الصلوة : ٤٤٩ .  
 (٦) المصدر نفسه : ٢١٨ .



والغريب المصنف اصل ابي علي ، ونوادير ابن الاعرابي بخط ابي موسى الحامض ، وتاريخ ابي جعفر الطبري بصلة الفرغاني بخط ابن ملسول الوشقي . بيع هذا كله في تركته وأغلي فيها حتى لقومت الورقة في بعضها بريح مثقال<sup>(١)</sup> . ومن هؤلاء القرطبيين جعفر بن محمد بن مكّي القيسي اللخوي تلميذ ابي مروان عبد الملك بن سراج ، فقد جمع عددا كبيرا من الكتب<sup>(٢)</sup> . كذلك أسس الامير هشام حفيد عبد الرحمن الثالث مكتبة عظيمة اشتراها الخليفة سليمان المستعين من بعده<sup>(٣)</sup> . واهتم مسلمة بن سعيد الانصارى بجمع الكتب في رحلته ، وكان كلما اجتمع له منها مقدار صالح نهض به الى مصر ، فأدخل الاندلس ثمانية عشر حملا من الكتب في كل فن من فنون العلم<sup>(٤)</sup> . وهناك أمثلة أخرى كثيرة عن القرطبيين الذين كونوا مكاتب خاصة ذكر منها ويبيرا أمثلة في مقالته ، وأشار الى كثرة عدد النساخ ، وصيرورة الوراقة حرفة معتمدة .

اما في اشيلية فلعل اكبر اثنين من جماعي الكتب هما : الفقيه ابن حزم ، والعالم ابو عبيد البكري ، وسأتحدث عند الكلام على ابي عبيد عن مدى اهتمامه بالكتب وحرصه عليها .

ولم تكن مدينة العريفة تقل عن قرطبة في الاهتمام بجمع الكتب وأشهر من نال صيتا في هذه الناحية وزير الفتى زهير العامري أعني أبا احمد جعفر بن عباس ، فقد عرف هذا الرجل بانه بذّ اهل زمانه في اربعة اشياء : المال والعجب والبخل والمهارة في الكتابة . وزعموا انه لم يجتمع عند أحد من نظرائه

(١) التكلية : ٣٨٢ .

(٢) الصلوة : ١٢٩ .

(٣) مقالة ويبيرا : ٧٦ .

(٤) المصدر نفسه

من المال والكتب والآنية والاثاث ما اجتمع عنده (١). وقد اجتمع في مكتبته ما يربو على اربعمائة الف مجلد عدا الاوراق والكراسات التي ملأت قصره (٢). وقال لسان الدين : كان جامعا للدواوين العلمية معتنيا بها مخالفا لها نفاعا بها من خصه لا يستخرج منها شيئا لفرط بخله بها الا لسبيلها حتى لقد اثر كثيرا من الوراقين والتجار معه فيها وجمع منها ما لم يكن عند ملك (٣).

وفي بطليموس عرف المظفر بن الافطس صاحبها باقتناء مكتبة عظيمة ، اعتد عليها هذا الامير في تأليف كتابه " المظفر " في خمسين مجلدا ، تناول فيها الأدب والتاريخ (٤).

وليس حظ ظليظة بأقل من حظ غيرها في العناية بالكتب فقد كان اصحابها بنو ذى النون من الحريصين على جمعها يقول ريبيرا : " دفعهم حبهم للكتب الى الاستيلاء عنوة على مكتبات خاصة فنهبوا مكتبة العروشي حيث اتيح للناس ان يشهدوا أمرا عجيبا عندما شبت النار في حي الفرائين ولم يهتم احد بأن ينقذ منها سوى حجات ابن ميمون ، جماع الكتب ، حيث كان يحفظ مكتبته التي اشتهرت باحتوائها على الكتب الصحيحة " (٥). وهذه أمثلة فحسب ، ومن تتبع الأخبار عن جمع الكتب في مدن أندلسية اخرى وجدها متناثرة في كتب التراجم .

وكلما كبرت هذه الصورة عن انشاء المكتبات الخاصة زادت في تصورنا للجو الثقافي في المدن الاندلسية ، اذ ان الاندلس لم تعرف المكتبات العامة الا

(١) انظر ، الذخيرة ٢/١ : ١٥١ وما بعدها .

(٢) مقالة ريبيرا : ٨٠ .

(٣) الاحاطة ١ : ١٢٩ .

(٤) انظر البيان المغرب ٣ : ٢٣٦ ، ويقول ابن سعيد في المغرب ١ : ٣٦٤ : " انه كان في نحو مائة مجلد " .

(٥) مقالة ريبيرا ٤ : ٨٢ .

مجموعات يسيرة من الكتب التي كانت توقف على المساجد ليفيد منها الطلبة فسي دراستهم<sup>(١)</sup>. وفي هذا الجو الثقافي كان للغة والكتب اللغوية مقامها الذي لا ينكروها خاصة لاهتمام الاندلسيين باللغة وعلومها اهتماما يفوق ما كانوا يولونه من عناية لغير ذلك من العلوم<sup>(٢)</sup>.

د - التسامح النسبي الذي ظهر في عصر ملوك الطوائف بالنسبة لدراسة العلوم القديمة . وقد يكون من المستغرب ان نجعل هذا العامل واحدا من العوامل الفعالة في الحركة اللغوية . ولكن الاستقرار يدلنا على أنه أثر بطريقة غير مباشرة في الحركة اللغوية عندئذ . ونستطيع ان نتصور هذا التسامح من قول القاضي صاعد عند حديثه عن خراب مكتبة الحكم : " وانتشرت تلك الكتب بأقطار الاندلس . ووجد في خلالها أعلام من العلوم القديمة كانت أفلتت من أيدي الممتحنين بحركة الحكم أيام المنصور بن أبي عامر ، وأظهر أيضا كل من كان عنده من الرعية شيئا منها ما كان لديه منها فلم تزل الرغبة ترتفع من حينئذ في طلب العلم القديم شيئا فشيئا "<sup>(٣)</sup>. كما نستطيع ان نلمحها من أسماء تلك الأعلام التي عملت في الحقل الفلسفي والعلمي في هذا العصر . وآية هذا الذي اعتقده من أثر لانتشار هذه العلوم في الحركة اللغوية أن أبرز العاملين في حقل اللغة في هذا العصر كانوا من المشتغلين بالفلسفة والمنطق . فقد كان ابن سيده ، أكبر عقلية اندلسية عملت في فن المعاجم ، ممن عني بعلوم المنطق عناية طويلة . قال القاضي صاعد : " وألف فيها تأليفا كبيرا مبسوطا ذهب فيه الى مذهب متى بن يونس ، وهو بعد هذا أعلم

(١) مقالة وبييرا : ٧٧ .

(٢) انظر هذه الرسالة ، المقدمة :

(٣) طبقات الامم : ٦٧ .

أهل الاندلس قاطبة بالنحو واللغة والاشعار ، وأحفظهم لذلك حتى انه يستظهر كثيرا من المصنفات فيها ، كغريب المصنف ، واصلاح المنطق السخ . . " (١) . وتحدث ابن سيده في معرض الفخر بما يحسنه من العلوم فيقول : " وذلك اني اجد علم اللغة اقل بضاعي وايسر صناعي اذا اضفته الى ما انا به من علم حقيق النحو وحوشي العروض وخفي القافية وتصوير الاشكال المنطقية والنظر في سائر العلوم الجدلية التي يمنعني من الاخبار بها نبو طباع أهل الوقت ، وما هم عليه من رداءة الاوضاع والمقت " (٢) . وكان ابن السَّيِّد ذا ثقافة فلسفية الى جانب ثقافته اللغوية النحوية . وقد ألّف في هذا الباب كتابه " الحدائق في المطالب العالية الفلسفية " (٣) . وذكرت له المصادر أيضا كتاب " شرح الخمسة العقالات الفلسفية " (٤) . ولما تناول أدب الكتاب لابن قتيبة بالشح لم يستطع ان يتصور كيف ان عالما لغويا يعيب على الاديب في عصره دراسة الفلسفة والمنطق فقال : " وقد روى ان الذي دعاه الى الطعن عليهم في كتابه هذا انه كان متهما بالميل الى مذاهبهم واعتقادهم ، فاراد ، رحمه الله ، ان ينفي الظنة عن نفسه بثلبهم والطعن عليهم " (٥) . وكان ابو الوليد القاسمي الطليطلي " من المتفنيين في العلوم المتوسمين في ضروب المعارف من أهل الفكر الصحيح والنظر الناقد والتحقّق بصناعة الهندسة والمنطق " (٦) . وكانت لسعيد بن الاصفر أحد علماء اللغة مشاركة في المنطق (٧) . اما ابن حزم فانه وان لم تصلنا تصنيفاته الوافرة

(١) طبقات الامم : ٧٧ .

(٢) المحكم ١ : ١٦ .

(٣) طبع بمصر عام ١٩٤٦ .

(٤) انظر بروكلمان (ط ليون) ، الملحق ١ : ٧٥٨ ، والمخطوط موجود في فهرست بويل ٤٦٤ .

(٥) الاقتصاب : ١٨ .

(٦) طبقات الامم : ٧٤ .

(٧) الصلوة : ٢١٨ .

التي أشار إليها صاعد في " علم النحو واللغة " فان ما تناثر في كتبه من آراء نافذة في اللغة يجعله ، فيما أرى ، من علماءها المقدمين . وقد كان ابن حزم من اشد الناس اهتماما بالمنطق في عصره ، متحملا في ذلك اتهام الفقهاء له بقراءة كتب تؤدي الى الالحاد . وقد ألف في المنطق كتابه " التقريب لحد المنطق والمدخل اليه " واراد ان يبسطه لغة وأمثالا كي يقربه من الدارسين ، وبذلك يضع في أيديهم ميزانا صحيحا للفهم والبرهان . ولا ننس أبا الفتح ثابت بن محمد الجرجاني فانه كان عالما في اللغة مشتغلا بعلم الاوائل وخاصة المنطق ، وكانت تجرى بينه وبين ابن حزم مناظرات في بعض الموضوعات الفلسفية وعليه أطلق ابن حزم صفة " الملحد " (٢) ولا تحدثنا المصادر بشيء عن ثقافة ابن الافليلي المنطقية الفلسفية ، ولكنها تقول ان ابن الافليلي لحقته تهمة في دينه مع آخرين من الأطباء . وسأبين عند الحديث عن هذا العالم اللغوي ان هذه التهمة في الدين ربما لم تكن شيئا سوى اتهامه بدراسة المنطق والفلسفة . كذلك لا تحدثنا المصادر بشيء عن تحصيل البكرى لثقافة فلسفية ، ولكنها ان وسعنا مدلول هذا المصطلح قليلا وجدنا البكرى عالما يدرس المصادر القديمة فيعتمد على بطليموس في المجسطي والجغرافيا ويستمد أخبارا من كتاب هروشيوش (اوروسيوس) (٣).

فنحن ان ازاء ظاهرة لافتة للنظر هي هذا الترابط بين الثقافة العلمية

(١) طبقات الامم : ٧٧ ، " ولأبي محمد بن حزم بعدها تصنيف وافر في علم النحو واللغة " .

(٢) الفصل ١ : ١٧ .

(٣) مقالة الدكتور مؤنس الجغرافيا والجغرافيون في الاندلس ، العدد ٨٧ من صحيفة معهد الدراسات : ٣٢٩ ، ٣٣١ .



والفلسفية ، وبين الاتجاه اللغوي<sup>(١)</sup> . وليس من اليسير ان نتبين مدى التأثير المتبادل بين هذين الاتجاهين ، ولكن من المسلم به ان الدراسة المنطقية والعلمية قد منحت الاتجاه اللغوي دقة وشمولا وهيأت الجو للبحث النظرى في اللغة . ولكن عوامل جديدة حالت أولا دون الامعان في هذا اللون من الدراسات ، وحالت أيضا دون التوفر على النظرية اللغوية . فلم يكن للاندلس في هذا المجال الا التعامات جزئية . وقد أشار صاعد الى هذه العوامل مجتمعة تحت مفهوم القلق السياسي الذى كانت تتعرض له الاندلس فقال : " الى ان زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها ، لكن<sup>(٢)</sup> اشتغال الخواطر بما دهم الثغور . . . قلل طلاب العلم وصيرهم أفرادا بالاندلس " (٣) . وكلام صاعد معناه تعرض ملوك الطوائف للاخطار الخارجية ثم انشغالهم عن تشجيع العلم والأدب بمحاولة ردّ العدوان داخليا كان او خارجيا ، ثم عدم اطعنان العلماء واضطرابهم الى الجلاء المستمر ، وكل ذلك لا ينطبق على العلوم العقلية فحسب ، بل يصيب انواع الدراسات جميعها التي تزدهر في ظل الاستقرار والأمن .

### ٣ - الظاهرة النظرية في حياة اللغة :

ولهذا اكتفى الاندلسيون بما يسدّ الحاجة العملية في

دراسة اللغة ، ولم يلتفتوا كثيرا الى المحاكمات النظرية الا ما كان من بعض الآراء

(١) لم يكن هذا وقتا في الاندلس على المشتغلين بالعربية بل كان بعض العلماء اليهود كذلك ومنهم مروان بن جناح بسرقسطة وكان من أهل العناية بصناعة المنطق مع التوسع في علم لساني العرب واليهود (طبقات الامم : ٨٦) واسحاق بن قسطار (١٠٥٦ / ٤٤٨-) الذى خدم مجاهد العامرى وابنه اقبال الدولة فكان بصيرا بالمنطق متقدما في علم اللغة العبرانية (المصدر نفسه) والصلة بين النحو والمنطق في المشرق أمر

لا يحتاج الى برهان .

(٢) لعل الأصوب أن نقرا " فان " .

(٣) طبقات الامم : ٦٢ .

التي عرض لها ابن حزم في سياق حديثه في النواحي الشرعية والجدلية الدينية .  
وكان لمذهبه الظاهري وأصول المنطق أثرهما في كل ما جاء به من نظرات ، ذلك  
أن الظاهرية يعتمدون اعتمادا كبيرا على الدقة اللفظية في استخراج الاحكام كما ان  
اللغة لدى ابن حزم ذات منطق خاص لا بد من ادراكه تماما للوصول الى البرهان الصحيح .

### ١ - البحث في أصل اللغة :

واول المشكلات التي تعرض لها هي مشكلة كيفية ظهور اللغات : أعن توقيف  
ام عن اصطلاح . وقد ذهب ابن حزم الى انها توقيف ، وأدلته على ذلك ان الكلام  
لو كان اصطلاحا لما جاز ان يصطلح عليه الا قوم قد كملت اذهانهم وتمت علومهم ،  
وليست هذه هي صفة الانسان في دوره الاول اذ يحتاج الى سنوات طويلة حتى يبلغ  
هذا المستوى . ولو ان الناس اصطلحوا على لغة لمضى عليهم وقت قبل ان يصطلحوا  
عليها ، فكيف كانوا يتفاهمون اثناء ذلك الوقت ؟ ثم لو انهم شاءوا أن يصطلحوا  
على لغة ، لكان هذا مستديها لغة يتفاهمون بها على وضع ذلك الاصطلاح . ولكن اللغة  
الاولى كانت توقيفية في رأى ابن حزم ثم اصطلح الناس بعد ذلك على اصطلاح لغات  
شتى من هذه اللغة . فما هي تلك اللغة الاصلية ؟ قال قوم : هي السريانية ،  
وقال آخرون : هي اليونانية ، وقال فريق ثالث : هي العبرانية ، وقال آخرون :  
هي العربية . ويروج ابن حزم ان تكون السريانية اصلا للعبرانية والعربية ولكنه  
لا يقطع ان تكون هي اللغة التوقيفية الاولى .

ومن هذه المشكلة تطرق ابن حزم الى السؤال ، اى اللغات افضل ؟ فقال :  
ان كل قوم ذهبوا الى تفضيل لغتهم وهذا لا معنى له لان الله قد كلم كل امة  
بلغتهم ، فليس هناك تفاضل بين لغة وأخرى (١) .

(١) فيما يتعلق بآراء ابن حزم هذه انظر ، الاحكام ١ : ٢٩ - ٣٥ .

وتصدى ابن حزم ايضا لمشكلة الاشتقاق ، وانما دعاه الى التصدى الى هذه المشكلة انه رأى بعض اللغويين يتحدثون عن اشتقاق اسماء الله تعالى مثل ابي جعفر النحاس الذى ألف كتابيا في ذلك ، ووجد بعضهم يتمحل في تبيان دلالات اللفظ فيقول ان الجن مأخوذ من الاجتنان اى الستر ، ويقول الزجاجي : المشقة نبت يخضر ثم يصفر ثم يهيج ، ومنه سمي العاشق عاشقا . وهذا الموقف أدى بابن حزم الى ان يقول : " ان الاشتقاق كله باطل ، حاشا اسماء الفاعلين من أفعالهم فقط واسماء الموصوفين المأخوذة من صفاتهم الجسمية والنفسانية ، وهذا ايضا لا ندرى هل اخذت الاسماء من الصفات او اخذت الصفات من الاسماء ، الا اننا نوقن ان احدهما اخذ من صاحبه ، مثل ضارب من الضرب ، ومثل آكل من الاكل ، ومثل ابيض من البياض ، وغضبان من الغضب ، وما اشبه ذلك . واما سائر الاسماء الواقعة على الاجناس والانواع كلها ، فلا اشتقاق لها أصلا ، وليس بعضها قبل بعض بل كلها معا . وقد كنت أجرى في هذا مع شيخنا ابي عبدة حسان بن مالك ، رحمه الله ، وكان اذكر من لقينا للغة ، مع شدة عنايته بها وثقته وتحريمه في نقلها ، فكان يقول لي : قد قال بهذا الذى تذهب اليه كبير من اهل اللغة قديم ، وسماه لي ، وشككت الآن في اسمه لبعد العهد ، واظن انه نبطويه " (١).

## ج - بطلان العلل النحوية :

ولعل أجراً الآراء التي جاء بها ابن حزم بطلاله العلل النحوية . فقد قال في كتاب " التقريب " : " واما علم النحو فالى مقدمات محفوظة عن العرب الذين

(١) الاحكام ٤ : ١٣ ، ٨ : ٩٣ .

تزيد معرفة تفهيمهم للمعاني بلغتهم ، واما العلل فيه ففاسدة جدا" (١) . فقوله بفساد العلل لمحة تقضي على اكثر أجزاء النحو ، ولكنه لم يفسر كيف يمكن ان يكون هناك نحو دون تلك العلل . وما كان ابن حزم في هذا الا متأثرا بموقفه الظاهري من أهل القياس وابطاله لأحكام العليّة جميعها في الشرائع (٢) . اما الحلة على العلل النحوية والقياس فسوف تغدو موضوع ابن مضاء في كتابه " الرد على النحويين " لكن ابن مضاء يمثل عصرا آخر غير هذا الذي اتحدث عنه (٣) .

#### د - الصلة بين اللغة والشريعة :

واهتم ابن حزم ، خضوعا لمذهبه الظاهري ، بتحديد معاني الالفاظ ، وخاصة الالفاظ التي تدور بين اهل النظر كالفاظ الحد والرسم والعلم والاعتقاد والبرهان والدليل والاتقاع والصدق والحق والقياس والحلة وما الى ذلك ، لأن هذه الالفاظ تدور في المناظرة ، وعدم الوضوح في تحديدها يورط المتناظرين في اللجاج . وخضوعا لمذهبه ايضا ، رأى ان الالفاظ انما تحمل على العموم ، وناقش القائلين بان الالفاظ لا تحمل الا على الخصوص ، اى حملها على بعض ما يقتضيه الاسم في اللغة دون بعض ، الا اذا قام الدليل على انها مخصوصة (٤) . فاذا قرأنا قوله تعالى " فكاتبوهم انا علمتم فيهم خيرا " (النور : ٣٣) وجدنا ان لفظة الخير في اللغة تقع على الصالح في الدين وعلى المال ، فلا يجوز ان نخص بهذا

(١) التقريب : ٢٠٢ .

(٢) الاحكام ٨ : ٧٦ وما بعدها .

(٣) الرد على النحويين ، نشرة الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٤٧ .

(٤) قال : الواجب حمل كل لفظ على عموميه وكبل ما يقتضيه اسمه دون توقف ولا نظر لكن ان جاءنا دليل يوجب أن نخرج عن عموميه بعض ما يقتضيه لفظه صرنا اليه حينئذ . وهذا قول جميع أصحاب الظاهر . . . . . وهذا نأخذ وهو الذي لا يجوز غيره . ( الاحكام ٣ : ٩٧ ) .

النص بعض ما يقع عليه دون بعض الآخر ، فلما قال تعالى " فيهم " ولم يقل " معهم " ولا قال تعالى " عندهم " علمنا انه اراد اهل الدين فقط ، فلذلك قلنا انه لا يجوز مكاتبة كافر لانه لا خير فيه البتة (١) .

فاذا نظرنا الى الكلام من زاوية العموم والخصوص وجدناه اتساما ثلاثة

(أ) خصوص يراد به الخصوص مثل زيد وعمرو .

(ب) عموم يراد به العموم أى يحمل على كل ما يقتضيه لفظه كاسم الجنس مثل الخيل والبغال .

(ج) عموم دلّ نصّ القرآن والسنة على أنه قد استثنى منه شيء فكان ذلك المستثنى مخصوصا من الحكم الوارد .

وزاد آخرون قسما رابعا وهو " خصوص يراد به العموم " وخطأهم ابن حزم وقال ان هذا غير موجود في اللغة (٢) .

وقد بين ابن حزم أيضا وجوه نقل الأسماء عن مسمياتها التي وضعت لها أصلا ، وقال ان ذلك يتم بأربعة أوجه :

- ١ - نقل الاسم عن بعض معناه الذى يقع عليه دون بعض وهذا هو العموم الذى استثنى منه شيء ما كقوله تعالى " الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم " (آل عمران : ١٧٣) . فكلمة "الناس" الثانية تدل على بعض الناس .
- ٢ - نقل الاسم عما وضع له في اللغة بالكلية وتعليقه على شيء آخر كلفظ

(١) الاحكام ٣ : ١٥٩ .

(٢) انظر الاحكام ٣ : ١٢٢ - ١٣١ .

" الصلاة " فقد نقل من معنى الدعاء وحده الى حركات محدودة من قيام وركوع وسجود الخ . . . وكذلك هي ألفاظ " الزكاة " و " الكفر " ومن هذا الباب الاستعارة والمجاز في الشعر والكلام عامة .

٣ - نقل خبر عن شيء ما الى شيء آخر اكتفاء بفهم المخاطب كقوله تعالى " واسأل القرية " (يوسف : ٨٢) والمراد : أهل القرية .

٤ - نقل لفظ عن كونه حقاً موجهاً لمعناه الى كونه باطلاً محرفاً وهو النسخ (١) .

وقد تتبّه ابن حزم الى ان التخليط في فهم هذه الوجوه هو أصل كل خطأ وقع في الشرائع وهو من أقوى اسباب الاختلاف بين الناس . ومعنى هذا أنه قرّر الأصول اللغوية التي أدت الى الخلاف في بناء الاحكام .

وتناول ابن السيد هذا الموضوع نفسه في رسالته : " الانصاف في التبيين على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم " (٢) . ولكن ابن السيد لم يطلع فيما يبدو على ما كتبه ابن حزم ، اذ كان يتصور وهو يكتب رسالته أنه قد جاء بشيء " يشبه المخترع وان كان غير مخترع ، ينتمي الى الدين بأدنى سبب ويتعلق من اللسان العربي بأقوى سبب ويخبر من تأمل غرضه ومقصده بأن الطريقة الفقهية مفتقرة الى علم الأدب ، مؤسسة على أصول كلام العرب " (٣) وقد

(١) الاحكام ٣ : ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) ذكر اسم هذا الكتاب في صور مختلفة فهو التبيين على الأسباب الموجبة للخلاف بين المسلمين (كشف الظنون : ٤٨٨) والتبيين على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة (الصلة : ٢٨٢) والديباج العذهب : ١٤١ وشذرات الذهب : ٤ : ٦٥ وانباء الرواة (٢ : ١٤٢) والتبيين على السبب الموجب لاختلاف العلماء (أزهار الرياض : ٣ : ١٠٧) وسبب اختلاف الفقهاء (بغية الوعاة : ٢٨٨) .

(٣) الانصاف : ٨ .

بحر ابن السيد الأسباب الموجبة للخلاف في ثمانية أمور :

- (١) اشتراك الألفاظ والمعاني
- (٢) الحقيقة والمجاز
- (٣) الافراد والتركيب
- (٤) الخصوص والعموم
- (٥) الرواية والنقل
- (٦) الاجتهاد فيما لا نص فيه
- (٧) الناسخ والمنسوخ
- (٨) الاباحة والتوسيع

وواضح أن أكثر هذه الأوجه يمكن ردها إلى ما ذكره ابن حزم من قبل ، وبعضها من قبيل التوسع في مدلولات التركيب ، أو في عملية الاستدلال نفسها ، أو في الخطأ المترتب على جهل بالأعراب ، أو على التصحيف وما أشبه ، ولنمثل على بعض هذه الوجوه لتوضيح الموقف اللغوي الذي يتقنه المؤلف :

فمن أمثلة الخلاف العارض بسبب وقوع اللفظة على أكثر من معنى كلمة " القرء " وهي تعني الحيف كما تعني الطهر ، وكلمة " أعفوا " في قوله " وأعفوا اللحن " فهي تعني وفروا وكثروا كما تعني انقصوا وقصروا ، ولتعدد الدلالة فسي اللفظة الواحدة يكون الحكم المبني موضعاً للاختلاف بين الفقهاء . ومن أمثلة هذا في التركيب قول علي " أيها الناس ترصمون أي قتلت عثمان ! ألا وإن الله قتله وأنا معه " أراد أن الله قتله وسيقتلني معه ، وفهم قوم منها أنه شارك في قتله (١).

ولست أريد أن أتبع أمثلة ابن السيد على كل وجه من الوجوه الثمانية ،  
وانما اكتفي بهذا القدر لأدلل على هذا الباب من الاتجاه اللغوي الذي فتحه ابن  
حزم وارتبطت فيه اللغة بالتشريع ارتباطا وثيقا .

#### ٤ - صلة اللغة بالواقع العملي :

فإذا تركنا هذه المناقشات النظرية في طبيعة اللغة والاشتقاق وما  
الى ذلك ، وجدنا مشكلات عملية جديدة تواجه وضع معلم اللغة في ميدان التعليم ،  
ووضع اللغة بين العلوم من ناحية ، وصلتها بالحياة العملية من ناحية أخرى .

أ - أما من حيث وضع معلم اللغة في ميدان التعليم فإنا إذا تأملنا ما كان  
يتم في العصر السابق ، وجدنا ان معلم العربية ، مثل القالي وغيره ، كان يدرس  
الشعر والأدب ، ويعلق عليهما الى جانب تدريسه للغة والغريب . ولم يكن استمرار هذا  
الحال طبيعيا ، فان معلم اللغة قد يحسن الاطلاع بتفسير المعاني القويمة ولكنه ربما  
لم يحسن عملية النقد او الكشف عن النواحي البلاغية في النص الذي يدرسه . وهنا  
نشأت مشكلة جديدة ، هي : هل يحسن معلمو العربية تعليم البيان ؟ وتفرع عن هذه  
المشكلة مسألة أخرى ، هي : هل البيان شيء يمكن تعليمه ؟ وحمل لواء هذه المشكلة  
من الناحية الادبية ابن شهيد ، فهاجم جماعة النحويين ومعلمي اللغة هجوما عنيفا  
فقال : " وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن اتى على أجزاء من النحو ، وحفظ كلمات  
من اللغة ، يحنون على اكباد غليظة وقلوب كقلوب البعران ، ويرجعون الى فطن  
حمئة ، وانهان صدئة لا منفذ لها في شعاع الرقة ، ولا مدب لها في انوار البيان ،  
سقطت اليهم كتب في البديع والنقد ، فهموا منها ما يفهمه القرد اليماني من الرقص  
على الايقاع ، والزمر على الالحان ... " (١) . وقد تكون هذه الظاهرة في اول

(١) الذخيرة ١/١ : ٢٠٥ .



امرها وليدة الخصومة الشخصية بين ابن شهيد وابن الافليلي وغيره من معلمي اللغة ، ولكنها ، على اى حال ، أثارت التساؤل حول العلاقة بين تعليم اللغة والنقد الادبي . وكان من شأن هذه الحركة ان تحدد للنقد وجهة مستقلة أوجزها ابن شهيد بقوله " واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب ، واستيفاء مسائل النحو ، بل بالطبع مع وزنه من هذين " . غير ان ابن شهيد امعن في اعطاء المشكلة طابعا " ذاتيا " واكثر من التهكم بطبقة المعلمين عامة ، وابن الافليلي خاصة .

وقد زادت هذه المشكلة وضوحا من وجهتها العملية عندما عين ابن الافليلي ، شيخ معلمي اللغة ، كاتباً لدى محمد بن عبد الرحمن المستكفي " فوق كالمه جانباً من البلاغة لانه كان على طريقة المعلمين المتكلمين ، فلم يجز في اساليب الكتاب المطبوعين ، فزهد فيه " .

ب - وأما من حيث وضع اللغة بين العلوم فقد رأينا رأياً كيف ان العصر السابق عرف معنى التخصص الدقيق في ميدان اللغة . فلما حلّ القرن الخامس جدت ظروف معاشية وغيرها استدعت اثاراً هذا السؤال : ما هو القدر من اللغة الذى ينفع غير المتخصص ؟ وكان الباعث الأول على تحديد نطاق الدراسة اللغوية هو الاشفاق من ان تطغى على ما عداها من علوم ، وبخاصة العلوم الدينية . وكان ابن حزم من أول المباديين للاجابة على هذا السؤال . وبما أنه كان يعتقد أن العلوم جميعاً ليست الا عناصر مساعدة في سبيل فهم الشريعة فاننا نراه يحدد القدر اللازم من اللغة والنحو لطلاب هذين العلمين بقوله : " واقل ما يجزى من النحو كتاب الواضح للزبيدي ، او ملاحة نحوه كالموجز لابن السراج وما أشبه هذه الاوضاع الحقيقية . وأما التعمق في علم النحو ففضول لا منفعة بها بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب والأهم . . . . فمن يزيد في هذا العلم الى احكام كتاب سيبويه فحسن ،

الا ان الاشتغال بخير هذا اولى وافضل لانه لامنفعة للترديد على المقدار الذى ذكرنا  
 الا لمن اراد ان يجعله معاشا ، فهذا وجه فاضل لانه باب من العلم على كل  
 حال . والذى يجزى من علم اللغة كتابان : أحدهما الغريب المصنف لأبي عبيد،  
 والثاني مختصر العين للزبيدي ، ليقف على المستعمل بها وليكون ما عدا المستعمل منهما  
 عدة لحاجة ان عنت يوما ما في لفظ مستغلق فيما يقرأ من الكتب . فان اوغل  
 في علوم اللغة ، حتى يحكم خلق الانسان لطابت ، والفرق له ، والمذكر والمؤنث  
 لابن الانبارى ، والمدود والمقصور والمهموز لابي علي القالي ، والنبات لابي حنيفة  
 احمد بن داود الدينورى ، وما أشبه ذلك ، فحسن ، بخلاف ما قلنا في علل النحو ،  
 لان اللغة كلها حقيقة وذات اوضاع صحاح ومبارات عن المعاني . ولو كانت اللغة اوسع  
 حتى يكون لكل معنى في العالم اسم مختص ، لكان ابلغ للفهم وأجلى للشك وأقرب  
 للبيان " (١) .

وينحو من هذا تحدث ابن السيد عما يحتاجه أصناف الكتاب من ثقافة  
 نحوية ولنوية فقال : " يحتاج كل واحد منهم الى أن يتقهر في علم اللسان حتى  
 يعلم الاعراب ويسلم من اللحن ويعرف المقصور والمدود والمقطوع والموصول والمذكر والمؤنث  
 ويكون له بصر بالهجاء فان الخطأ في الهجاء كالخطأ في الكلام وليس على واحد منهم  
 أن يضمن في معرفة النحو امعان المعلمين الذين اتخذوا هذا الشأن صناعة وصيروه  
 بضاعة ولا امعان الفقهاء الذين ارادوا بالاغراق فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله وكيف  
 تستبطن الاحكام والحدود والعقائد بمقاييس كلام العرب ومجازاتها " (٢) . وبيننا نجد  
 ابن السيد يسمي عمل الفقهاء امعانا ، نجد ابن حزم يدعو الى القصد ، والى حد  
 ادنى من المعرفة اللغوية .

(١) وسائل ابن حزم : ٦٤ - ٦٥ .  
 (٢) الاقتصاب : ٦٦ - ٦٧ .

ج - وأما من حيث صلة اللغة بالحياة العملية فان الاشفاق من قلة التحصيل هو الذى نبه الى تفهم تلك العلاقة وقد كانت هناك شواهد واقعية من تصور الجهال على المعرفة وانتصابهم للقراءة او التدريس وهم يجهلون ابسط الاصول التي لا بد منها لمثل من يمتحن مهنتهم . فقد روى لنا ابن حزم كيف ان احد القراء الثلاثة الذين كانوا يقرأون للعامة بقرطبة لم يكن يحسن النحو ، وكان ذات يوم يقرئ احدهم : " وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد " ولم يخطئ التلميذ في القراءة فرد عليه معلمه قائلاً : " تحيد " بالتثوين " (١) . وروى أيضا كيف ان خطيبا قال يوم الجمعة : " لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم " (التوبة : ١٢٨) (٢) ولذا ألح على ان الفقيه لا بد ان يتعلم اللغة والنحو لكي يتمكن من فهم القرآن والحديث والفقه عامة . فقال : " نفرض على الفقيه ان يكون عالما بلسان العرب ليفهم عن الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون عالما بالنحو الذى هو ترتيب العرب لكلامهم الذى نزل به القرآن ، وبه يفهم معاني الكلام التي يعبر عنها باختلاف الحركات وبناء الالفاظ . فمن جهل اللغة وهي الالفاظ الواقعة على المسميات ، وجهل النحو ، الذى هو علم اختلاف الحركات الواقعة لاختلاف المعاني ، فلم يعرف اللسان الذى به خاطبنا الله تعالى ونبيننا عليه السلام ، ومن لم يعرف ذلك اللسان ، لم يحل له الفتيا فيه ، لانه يفتي بما لا يدري " (٣) .

وما كان في امكان احد أن يكبح جماح تلك الموجة الطاغية من الخطأ والبعد باللغة عن صفائها وشدة التحرى فيها بالدعوة الى النقاء الدقيق الذى دعا اليه

- 
- (١) الاحكام ٤ : ١٦٣ .  
 (٢) المصدر نفسه ٤ : ١٦٤ .  
 (٣) المصدر نفسه ٥ : ١٢٦ .

الزبيدي من قبل في " لحن العوام " ، فمع الزمن أخذت تنفث الأخطاء في الكتابة، حتى عند المدققين الذين يتحرون وجه الصواب ، وما ذلك<sup>إلا</sup> لأن العامية الاندلسية كانت تزاحم الفصحى مزاحمة شديدة ، من حيث هي لفظة محكية ، وتضطر الكاتب أو الأديب الى أن يفتحل وضعا جديدا حين يكتب أو يؤلف ، وأن ينتقل من منزلة الى منزلة ، وحسبنا مثلا على ذلك أن نرجع الى تعقب الفقيه ابن العربي لأخطاء ابن السيد في شرحه على سقط الزند ، فنجده يقول : في بعض ردوده : " المعلم أن (الخافقان) جانبا الأوض من الهواء " فيتصدى ابن السيد له قائلا " رفعت الخافقين وهما منصوبان بأن" ثم صححت عليهما فكان تصحيحك على اللحن أشد من اللحن " (١) . ويقول في موضع آخر : " وهو قول يقدم الاعراض أو مجاز لا يعدم (انتقاص) " فيرد ابن السيد بقوله : " وهذا كلام أول ما ننتقد فيه فساد الاعراب بترك نصب الانتقاص ووجهه الانتصاب " (٢) . وقد تقول ان هذا كله نوع من التعسف بين عالمين يحمل أحدهما على الآخر ، ومن طلب وجه التخرج وجده ، ولكن دلالة على هذه الظاهرة الخطيرة واضحة . ولو قد تتبعنا هذا النوع في مستعمل الكلام وضروب الترسل لوجدنا الجانب اللغوي فيه أبين من الجانب النحوي ، وان كانت قدرتنا فيه على الحكم أصعب لبعدها نحن اليوم عن تلك السلامة اللغوية التي كان يتشبهت بها علماء اللغة المحافظون على نقائهم .

وكان مما يزيد الموقف حدة منح اللغة العامية الاندلسية مكانة أدبية .  
صحيح ان هذه اللغة كانت موجودة - بقدر أو بأخر من البعد عن الاصول العربية الصحيحة مختلطة ببعض الالفاظ الاعجمية - ولكنها انما كانت تمثل نشاطا شعبيا

(١) الانتصار : ٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٤١ .

لا يتمدى الشؤون اليومية وبعض الاغاني الشعبية ، فيما أقدر ، أما في هذا القرن الخامس فانها اتخذت من الزجل نداء للشعر ، واعترف الاندلسيون بهذه الأجزاء واستمعوا اليها ولحنوها وأجازوا ناظيها . في هذا القرن ظهر ابن نمارة وابن راشد وغيرهما ممن يسميهم ابن قزمان - وارث طريقتهم وامام الزجل في عصره - باسم " المتقدمين " ويشي من بينهم على ابن نمارة بقوله : " ولم أر أسلس طبعا وأخصب ربعا ومن حجوا اليه وطاقوا به سبعا أحق بالرياسة في ذلك والامارة من الشيخ أخطل بن نماره فانه نهج الطريق وطرق فأحسن التطريق ... " (١). أما ابن راشد فقد ذكره صفي الدين الحلبي وسماه " يخلف " وقال : " وكان هو امام الزجل قبل أبي بكر بن قزمان وكان ينظم الزجل القوي من الكلام فلما ظهر ابن قزمان ونظم السهل الرقيق مال الناس اليه وصار هو الامام بعده ، ونظم ينكر عليه قوة النظم زجلا مطلعته :

زجلك يا ابن راشد قوى متين وان كان هو للقوة فالحمالين

يريد ان كان النظم بالقوة فالحمالين أولى به من أهل الأدب " (٢). اما تقدير الناس لهذه الاجال واعتناؤهم بها فقد أشار اليه ابن قزمان أيضا في مقدمته وهو يتحدث عما عرفه في نشأته أواخر هذا القرن فقال : " ولقد كنت أرى الناس يلهجون بالمتقدمين ويعظمون أولئك المتقدمين يحلونهم في السماك الاعزل ويرون لهم المرتبة العليا والمقدار الأجل " (٣) والعيب الكبير لقدامى الزجالين - في رأى ابن قزمان - هو تورطهم فسي " الاعراب " ، فكان الطريق باللغة أصبحت طريقتين فاما اعراب تام واما بعد عنه الى أقصى حد .

(١) مقدمة ديوان ابن قزمان ، وانظر أيضا الزجل في الاندلس : ٥٣ .

(٢) الماثل الحالي : ١٦ .

(٣) مقدمة ديوان ابن قزمان ، وانظر الزجل في الاندلس : ٥٢ .

ولم تكن هذه المكانة الادبية التي بلغتها العامية قاصرة على النزجلى وحده ، بل ارتفعت درجة أخرى حين تدخلت في صميم بناء الموشح . وقد حدثنا ابن بسام أن الوشاح " يأخذ اللفظ العامي والمجمعي ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة " (١) ولا يعني " اللفظ " هنا استعمال لفظة واحدة بل استعمال قتل كامل أصبح يسمى " الخُرْجة " ، وهذا هو الذي جعل ابن سناء العلك يشترط حين تحدث - من بعد - عن أصول نظم الموشح : أن تكون الخُرْجة عامية حادة ظرفية (٢) ، وقد كان الاندلسيون يؤثرون البعد عن الموشح الشعري ويأخذون في تجزئة أقوال الموشح وغصونه الى وحدات صغيرة ، وقد لاحظ الدكتور عباس هذه الناحية في الموشح وعلق عليها بقوله : " اننا نقول حقا ان الموشح محرب ولكن الاسكان بالوقف في التجزئات القصيرة واختيار الالفاظ التي لا تظهر حركات الاعراب في أواخرها أمران يجعلان العلاقات الاعرابية ضعيفة ويحيلان الموشح الى مستوى قريب من مستوى الكلام الدارج " (٣) ، ولم تجد كثيرا محافظة المحافظين الذين أحبوا الازجال والموشحات في مظهرها الشفوي وأبوا أن يدونوها في كتبهم ، فان حركة التساهل غلبت من بعد ، وأصبحت هذه أدبا معترفا به قراءة وتدوينا .

وعلى الطرف الآخر تقوم حركة مضادة تعتمد الدقة اللغوية الخالصة وتعد شرة من شمات ذلك الجو العلمي الذي هبأه القالي وتلامذته ورسخوا أصوله بعون من الحكم المستنصر ، ومدار هذه الحركة على التحرى الشديد والضبط والمقارنة بين النسخ واعتماد الأصوب . وقد كان القالي نفسه / <sup>وصف</sup> المعلم الاول " للنزجلى اللغوية بالاندلس أول هدف لسهام هذه الحركة . وليس في هذا نكران لجميل القالي او

(١) الذخيرة ٢/١ : ١ .

(٢) دار الطراز : ٣٣ .

(٣) تاريخ الادب الاندلسي - عصر الطوائف والمرابطين : ٢٤٤ .

تتكسر لفضله ولكن يشبه أن يكون القالي نفسه هو الذي دفع الى ذلك ، فقد زود الاندلسيين بمصادر متباينة المنزوع وأطلعهم على الكتب الأمهات ووضع بين أيديهم الأصول الموثقة ، وكان هو بصري المنزوع في الرواية ، ولم يكن الخهيجون من بعد يحفلون بالتمسك برواية دون أخرى فجمعوا بين أقوال العلماء جمعا وأحلّوها مقاما واحدا من الاعتبار ، وكان في ذلك ردّ ضمني على القالي أو ان شئت فقل كان ذلك توسيعا للأخذ لم يقف دونه ايثار لمدرسة لغوية على أخرى . وشيء آخر دعا الى ذلك التعقب وخاصة في كتاب " النوادر " وهو مما أملاه القالي من حفظه ، والحفظ يتفاوت ، والوهم فيه أمر غير بعيد ، فهذان عاملان أوجدا للغويين مجالا لتصحيح القالي نفسه .

أما العامل الأول وهو انفتاح الدارس اللغوي على مختلف الروايات وأخذها جميعا بمقدار واحد من التقدير فيظهر على وجهه الواضح في كتاب الاقتضاب لابن السيد البطليوسي . فالقسم الثاني من هذا الكتاب<sup>(١)</sup> ارشاد وتبييه لما وقع من خطأ ، وفي هذا القسم " مواضع وقعت غلطا في رواية أبي علي البخداوي المنقولة اليها فلا أعلم أي غلط من ابن قتيبة أم من الناقلين عنه " <sup>(٢)</sup> . وقد كان ابن السيد في هذا الكتاب اما متشبها من الرواية بالعودة الى أصلها في النص المنقول واما عارضا لروايات علماء آخرين ، وواضح أنه في الكشف عن أخطاء ابن قتيبة انما يخطئ جوانب من رواية القالي ، فكأنه يرد على أبي علي في أكثر المواضع ، تضمينا أو تصحيحا . ومن أمثلة ذلك :

(١) القسم الأول منه شرح لخطبة أدب الكاتب والقسم الثالث : دراسة وتخرّيج للشواهد التي وردت في كتاب ابن قتيبة .  
(٢) الاقتضاب : ١٠٦ .

(أ) أنشد ابن قتيبة :

يقطن لقد بكيت فقلت كلاً وهل يبكي من الطرب الجليد

قال : " هكذا نقل الينا عن أبي نصر هارون بن موسى عن أبي علي البغدادي رحمة الله عليهما والصواب فقطن بالفاء لأن قلبه : " كتمت عواذلي . . . " وأنشده أبو علي في النوادر : " فقالوا " - بتذكير الضمير وهو غير صحيح أيضا لان الضمير عائد على العواذل ، والمراد بهن النساء . . . " (١).

(ب) قال ابن قتيبة : ومن ذلك الأري ، يذهب الناس الى أنه المعلف قال

المفسر : هكذا رواه أبو علي - بكسر الميم وفتح اللام - وجعله بمنزلة الآلات وقال هو شيء منسوج من صوف يمدونه بين أيدي خيلهم . ووجدته مقيدا عن علي بن حمزة والسكري " معلف " - بفتح الميم وكسر اللام - لأنه مكان للاعتلاف ، وكل فعل على وزن فعل يفعل - بفتح العين من الماضي وكسرها من المستقبل - فان اسم المكان والزمان منه مفعل - بكسر العين - كالمضرب والمغرس (٢).

(ج) وقولهم أسود مثل حلك الخراب ، قال الاصمعي : سواده ، وقال غيره :

أسود مثل حنك الخراب وقال : يعني منقاره .

قال المفسر : وقع في كتاب أبي علي البغدادي أسود من حنك الخراب وهو غلط ، لأن هذا يجرى مجرى التعجب ، فكما لا يقال : ما أسوده فكذلك لا يقال هو أسود من كذا ، وقال أبو العباس ثعلب : هو أشد سوادا من حلك الخراب وحنك الخراب ، وهذا صحيح على ما يوجبه القياس (٣) .

(١) الاقتصاب : ١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه : ١١٦ .

(٣) المصدر نفسه : ١٢٠ .



الى أمثال ذلك في غير موضع من كتابه ، وهذالاً يمنع أن يستأنس ابن  
السيد برأى القالي في الردّ على غيره من العلماء وخاصة على مؤلف الكتاب ، ابن تقيّة .  
وأما العامل الثاني وهو عامل الوهم الناشئ عن الحفظ فقد أشر كتاباً  
سمّاه مؤلفه أبو عبيد البكرى " التّيه على أوهام أبي علي في أماليه " . ويمكن أن  
نردّ الوهم لدى القالي - فيما يرى البكرى - الى مظاهر عدة منها :

### ١ - الخطأ في التفسير : فقد أنشد القالي

ان الذئب قد اخضت برائتها      والناس كلهم بكر اذا شعوا  
فقال : يريد أن الناس كلهم عدو لكم اذا شعوا بكبرين وائل : قال البكرى :  
لم يرد الشاعر هذا المعنى لأنّ الناس كلهم لم يكونوا عدوا لبني تميم ولا أقتلهم وانما  
يريد أن الناس اذا شعوا هاجت أضغاثهم وطلبوا الطوائل والترات في أعدائهم  
فكانوا لهم بكبر بن وائل لبني تميم (١) .

٢ - خطأ في الرواية : أنشد أبو علي " وأهلك مهر أيبك " - بفتح الكاف -  
وانما هو بكسرها لأن الحديث موجه الى أسماء في البيت السابق :

أسماء لم تسألني عن أيبك      والقوم قد كان فيهم خطوب (٢) .

٣ - حين يجهل قائل الشعر ، ينسبه الى أعرابي ، من ذلك أبيات للأحوص  
الذي لم يدخل البادية أبداً (٣) .

٤ - خلط شعر بشعر آخر لاتحادهما في الوزن والروي (٤) .

(١) التّيه : ١٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٧ .

(٤) المصدر نفسه : ٣١ .

٥ - نسبة الشعر الى غير قائله الاصيلي (١).

٦ - الخطأ في بعض اسماء الاعلام والأماكن كأن يقول سلمى في من اسمه سلمي ،  
والثدى - بكسر الدال - في ما اسمه الثدى - بفتحها - (٢). أو في النسبة : كقوله  
مالك بن الربيع المزني وهو المازني (٣).

٧ - خطأ في تفسير اللفظة ، مثل قوله في تفسير " جافل " من قول الشاعر :

كوم اذا لاقته مبيها  
واما تولسى أشعث الرأس جافله

الجافل : الذاهب ، قال البكري : وهذا تفسير لا يسوغ في هذا البيت ولا يجوز  
وأى مدخل للذهاب ها هنا وانما الجافل هنا من الجفال وهو الشعر الكثير (٤) .

وقد تتبع البكري هذه الأخطاء وأمثالها حيثما وردت حسب ترتيب

" النوادر " ولم يعن بتصنيفها تحت موضوعات محددة .

ولكن هذا التعقب لا يعني أن منزلة القالي قد نزلت في نفوس الاندلسيين ،

فهناك دائما مجال للاعتذار عن الخطأ بالسهو والوهم والنسيان ، وهذه هي طريقة أبي

علي في الدقة العلمية ، ولو ظهرت هذه الكتب في الرد عليه وهو حي لسر من

نتائج توجيهه وتدريسه . يقول البكري في مقدمته معتذرا عن التعقب على القالي :

" وأبو علي - رحمه الله - من الحفظ وسعة العلم والنهل ومن الثقة في الضبط

والنقل بالمحل الذي لا يجهل ، وحيث يقصر عنه من الشاء الأحفل ولكن البشر

غير معصومين عن الزلل ولا مبرئين من الوهم والخلل ، والعالم من عدت هفواته

(١) التبييه : ٣٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٩ ، ٥٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٥٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٩٩ .

وأصبحت سقطاته (١) .

### ٥ - العوامل التقليدية وأثرها في الحركة اللغوية :

قد عرضت في كل ما تقدم العوامل الجديدة التي اشرت في حياة اللغة ، وما تعضض عنها من مظاهر ومواقف تلبية للحاجتين النظرية والعملية . وتشكل هذه المظاهر والمواقف قضايا ثارت وتطلبت أجوبة . فاعاذا كان نصيب العوامل التقليدية من هجرة من الاندلس واليهما ، ومن حلقات تدريسية ، ومن نشاط في التأليف ، اعني الشرة العملية لكل تلك العوامل مجتمعة ، جديدة كانت او قديمة ؟

أ - لست ابعد عن الصواب حين أقرر أن الهجرة الى الاندلس في هذا العصر قد ازدادت عن ذي قبل رغم ما كانت تمنى به البلاد من قلق ومخاوف من الناحية السياسية . فقد تدخلت عوامل جديدة غير الحوافز المألوفة للهجرة والارتحال فجعلت الاندلس هدفا لطوائف مختلفة من المهاجرين . وفي مقدمة هذه العوامل الأحداث السياسية التي حلت بمناطق أخرى من العالم الاسلامي يومئذ . فقد هاجمت قبائل العرب الهلالية مدينة القيروان عام ١٠٤١ / ١٠٤٩ وقضت على عمرانها في أيام المعز بن باديس من بني زيري الصنهاجيين . وتشقت القيروانيون وطلبوا الملجأ حيث وجدوه ، ومنهم من لجأ الى صقلية ومنهم من هاجر الى الاندلس . ومن مشهورى المهاجرين اللى الاندلس ابو الحسن الحصرى وابن شرف القيرواني . وفي عام ١٠٦٤ / ١٠٧٢ أخذ النورمان يهاجمون جزيرة صقلية فطلب كثير من اهلها النجاة بأنفسهم ولجأ العدد الأكبر منهم الى الاسكندرية . غير ان بعضهم توجه الى الاندلس ، ومن مشهورى هؤلاء الشاعران ابن حمديس وابو العرب . ونلاحظ ان هؤلاء المهاجرين الذين لمصحت

(١) التبيين : ١٥ .

اسماؤهم في الاندلس انما كانوا أشدّ اهتماما بالشعر والأدب والنقد منهم باللغة .  
ولسكتنا لا نعدم ان نجد بين المهاجرين جماعة اولوا اللغة وتدريس المعاني اهتماما  
ملحوظا . وهؤلاء أهم من نعرفهم من المهاجرين :

١ - اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي القيرواني (١) صاحب شرح المختار من  
شعر بشار . نراه في مالقة عام ٤٠٦/١١٠هـ، وقد ألم به مرض تركه طويحا مدة من  
الزمن يعرضه اثنان من رفاقه ، وازا جن الليل خفقت من حوله في احياء مالقة  
اوتار العيذان والطنابير والمعازف من كل ناحية (٢) . ويبدو انه أقام منتقلا في  
البلدان الاندلسية مدة من الزمن وقرا عليه بعض أهلها كتاب " أدب الكتاب " لابن  
قتيبة . ولكن صفحات شرح المختار تدل بما اقتبس من أشعار لأهل الاندلس على  
ان الاندلس أثرت فيه أكثر مما أثر فيها .

٢ - عثمان بن ابي بكر الصديقي السفاقي (٣) . دخل الاندلس سنة ست وثلاثين  
واربعمئة (١٠٤٥ م) ، وفي هذا التاريخ نفسه دخل قرطبة وأسمع الناس بها ، ثم  
تجول في بلاد الاندلس مدة سنتين وعاد الى قرطبة . قال ابن بشكوال : " وكان  
حافظا للحديث وطرقه ، واسماء رجاله ورواته منسوبا الى معرفته وفهمه . وكان  
يعلي الحديث من حفظه ويتكلم على اسانيده ومعانيه ، وكان عارفا باللغة والاعراب ،  
ذاكرا للخريب والآداب ، ممن عني بالرواية وشهر بالفهم والدراية بجمع الى ذلك  
حسن الخلق ، وأدب النفس ، وحلاوة الكلام ، ورقة الطبع " (٤) . وهذا الصديقي  
هو أول من أدخل كتاب غريب الحديث للخطابي الى الاندلس . وكان في رحلته في

(١) ترجمته في التكملة : ١٨٩ .

(٢) المختار من شعر بشار : ١٤ - ١٥ .

(٣) الصلوة : ٣٨٢ ، جذوة العقبتين : ٢٨٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٨٨ .

المشوق قد لقي ابا العلاء المعري وروى عنه خطبة الفصح (١).

٣ - علي بن ابراهيم التبريزي المعروف بابن الخازن (٢). دخل الاندلس سنة

١٠٣٠/٤٢١ وبلغ طليطلة في السنة التالية . وكان من أهل العلم بالآداب واللغات ،  
سمع منه جماعة من علماء الاندلس .

٤ - محمد بن الحسن الحضرمي المرادي (٣). دخل قرطبة سنة ١٠٩٤/٤٨٢ ،

وروى عنه بعضهم كتاب " فقه اللغة " لابي منصور الثعالبي مشافهة .

٥ - ابو الفضل الوزير محمد بن عبد الواحد التميمي البغدادي (٤). خرج من بغداد

رسولا عن الخليفة القائم بأمر الله الى المعز بن باديس وفي طريقه مرّ بأبي العلاء ،  
وروى عنه السقط . ويسميه ابن السيد " شيخنا في شعراي العلاء " (٥). وقد

دخل الاندلس بعد اختلال الحال في القيروان ويقول الحميدى انه حظي عند ملوك  
الاندلس بأدبه وعلمه واستقر بطليطلة (٦).

٦ - احمد بن الصنديد المراتي . روى عن المعري شعره ، وشرحه ودخل الاندلس

ومدح الرؤساء والاكابر وكان اكثر مقامه عند بني طاهر (٧).

(١) الجامع في اخبار ابي العلاء ١ : ٤٦٦ .

(٢) ترجمته في الصلة : ٤٠٦ .

(٣) ترجمته في الصلة : ٥٧٢ .

(٤) ترجمته في جذوة المقتبس : ٦٨ ، فهرسة ابن خير : ٤١٢ ، نفع الطيب ٤ : ١٠٨ ،

وانظر : الجامع في اخبار ابي العلاء للجندی : ٤٦٩ ، الذخيرة ٤/١ : ٦٧ ،

(٥) ~~الانصار~~ <sup>الانتصار</sup> ٣١ : ٢٠٤ .

(٦) جذوة المقتبس : ٦٩ .

(٧) ارشاد الاديب ٣ : ٨٦ ، بغية الوعاة : ١٣٥ .

٧ - عبد الدائم بن مرزوق بن جبر القيرواني ، ابو القاسم<sup>(١)</sup> . وهو الشيخ الثاني لابن السيد في رواية شعر المعري . وقد توفي عبد الدائم بطليطلة سنة ٤٧٢ / ١٠٨٠ .

٨ - ولعل ابعده هؤلاء المهاجرين أثرا في الاندلس أبو الفتح ثابت بن محمد الجرجاني<sup>(٢)</sup> . فقد دخلها مبكرا عام ٤٠٦ / ١٠١٥ ، وكان يوم دخلها عالما ناضجا قد درس على مشاهير الشيخ المشاركة كابن جني والربيعي وابن السيراني ، مشاركا في عدة علوم أبرزها بعد اللغة الفلسفة والمنطق كما كان حاذقا في حمل السلاح وأنواع الجندية والغروسية<sup>(٣)</sup> ، واتصل بأبي الجيش مجاهد العامري ، وخرج معه في غزوة الى سردانية ، ثم عاد يطوف البلاد ويدرس العربية ، فأملى في دانية كتابا في شرح الجمل للزجاجي ، كما درس أيضا اختيار فصيح الكلام لشعيب ، أخذه عنه محمد بن هشام المصفي . وكان الكتاب الذي يستعمله في التدريس بخط ابن خالويه . قال ابو الفتح : " قابلت كتابي هذا من الفصيح بخط ابن الكوفي وكان نسخ كتابه من خط ابن الانباري وقابلته به"<sup>(٤)</sup> . وروى المصفي عنه أيضا شرح ابيات اصالح المنطق لابن السيراني ، وشرح ابيات الالفاظ له أيضا ، وشرح ابيات الغريب المصنف ، وكل هذه الكتب رواها ابو الفتح عن ابن السيراني ، وكان يقول : انه اعلم من ابيه باللغة والفقه والشعر والنحو<sup>(٥)</sup> . وكذلك قرأ عليه كتاب الجماهرة لابن دويد<sup>(٦)</sup> . وقرأ أيضا عليه شعر

- (١) انظر ، بغية الملتصق : ٣٨٦ ، والانتصار : ٢٣ ، فهرسة ابن خير : ٤١٢ .  
 (٢) ترجمته في جذوة المقتبس : ١٧٣ ، الصلة : ١٢٧ - ١٢٨ ، والذخيرة ١/٤ : ٩٦ وبغية الوعاة : ٢١٠ ، والاحاطة ١ : ٢٨٥ ، معجم الادباء ٧ : ١٤٥ - ١٤٨ ، كشف الظنون : ٦٠٤ .  
 (٣) الاحاطة : ٢٨٥ .  
 (٤) فهرسة ابن خير : ٣٣٨ .  
 (٥) المصدر نفسه : ٣٤٣ .  
 (٦) المصدر نفسه : ٣٤٩ .

أبي الطيب المتنبى (١). وقد أخذ عن ثابت كثير من الأندلسيين وشهد له علماءؤها ومؤرخوها بالتقدم فيما كان يحسنه من علوم فقال فيه أبو مروان بن حيان: " ولم يدخل الأندلس أكمل من أبي الفتح في علمه وأدبه " (٢). وقال ابن زبدون: " لقيته بغرناطة فأخذت عنه أخبار المشاركة وحكايات كثيرة وكان غزير الأدب قوى الحفظ للغة نازعا إلى علم الأوائل من المنطق والنجوم والحكمة له بذلك قوة ظاهرة " (٣) ومما قرأه عليه ابن زبدون نفسه الحماسة في أشعار العرب رواية لها عن عبد السلام البصرى (٤).

غير أن طموح ثابت جعله ينغمس في حياة الأندلس السياسية وكانت نهايته أن قتله باديس صاحب غرناطة سنة ٤٣١ / ١٠٤٠ (٥) فتكون اقامته بالأندلس قرابة سبع قرن ) .

ولم تكن الأندلس قبلة المعلمين وحدهم بل أصبحت مطمح الدارسين من أقطار أخرى. فنجد بعض المهاجرين إلى الأندلس يتعلمون على علماء الأندلس في اللغة، من ذلك: العزّين محمد (٦) (١٠٩٥ / ٤٨٨) ، وأصله من العدوّة . فانه اخذ كثيرا من كتب اللغة والآداب عن أبي القاسم بن الأفيلي . كذلك المبارك بن سعيد البغدادي المعروف بابن الخشاب (٧) (بعد ١٠٩٧ / ٤٩٠) فانه بعد ان قدم الأندلس تاجرا سنة ١٠٩٠ / ٤٨٣ جلس يسمع كتاب النوادر للقلالي من أبي مروان بن سراج .

(١) فهرسة ابن خير : ٢٠٤ .

(٢) الاحاطة ١ : ٢٨٥ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه ١ : ٢٨٦ .

(٥) جاء خبر مقتله مفصلا في الاحاطة ١ : ٢٨٦ - ٢٨٨ .

(٦) الصلة : ٤٢٩ .

(٧) المصدر نفسه : ٥٩٩ .

ب - أما في الهجرة من الاندلس، فان اللغويين الذين ذكرتهم المصادر قلما قوت بهم خبرا عن الرحلة الا في النادر، وربما دل هذا على الاكتفاء الذاتي في علم اللغة، وسهولة وصول الكتاب المهاجر بدلا من الرحلة في لقاء العلماء . ولعل ابرز ما عتق عنده من أخبار رحلة الاندلسيين الى المشرق ذلك الاهتمام الذي ابداه الاندلسيين بابي العلاء المعري ومؤلفاته فقد كان كثير ممن يرحل حريصا على لقاءه والرواية عنه (١). ومؤلفات المعري مصدر هام للغة مثلما هي زاد ادبي أيضا . وقد سرد ابن عبد الغفور الكلاعي اسماء كتب ابي العلاء التي هاجرت في هذا العصر الى الاندلس في كتابه " احكام صنعة الكلام "، فعدها منها كتاب القائف والواهل والشاحج وشرحه ، والفصول والغايات ، والسجع السلطاني ، ورسالة الغفران ، ورسالة الفلاحة ، ورسالة الاغريض، وسقط الزند ، واللزوميات ، وكتاب الاستخفار الخ (٢). وقد اصبحت هذه الكتب نموذجا أدبيا رفيعا مثلما غدت مجالا للدراسة والشح والتعليق .

ج - واذا قارنا بين هذا العصر والعصر السابق وجدنا ان المظاهر الثلاثة الكبرى التي تحدثنا عنها ، أعني : التدريس والمناظرة والتأليف قد تضائل فيها المظهر الثاني ، وكانت أبرز نشاطات هذا العصر ناهبة في تيارين هوما التدريس والتأليف . ولعل انشغال الأذهان بنشوء دعوة ابن حزم الظاهرية ووفود بعض المذاهب الكلامية ، كالمذهب الأشعري ، بقوة الى الاندلس قد قويا المناظرات المذهبية والكلامية، وحجبا عنا ، أو أضعفا ، المناظرات اللغوية .

وقد رأينا كيف تعددت المراكز العلمية فكثرت عدد المدرسين وظهر بوضوح

المدرس المتجول مثل : ابراهيم بن ابي الفضل بن صواب ( - ١١١٢/٥٠٦ ) تلميذ

(١) راجع اسماء بعض هؤلاء الاندلسيين في : جامع اخبار ابي العلاء : ٤٥٨ وما بعدها  
(٢) انظر احكام صنعة الكلام ١٣٨ - ١٣٩ ، وتعريف القدماء : ٤٥٣ .



ابن سيده ، الذي كان يتجول في البلاد معلماً بها (١) ومثل كثيرين غيره .

وإذا كنا نعيّن بعض العلماء بالشهرة في التأليف على الرغم من علمهم في التدريس مثل : ابن سيده وابن السيد فان من الحق ان نعيّن كبار الاساتذة المدرسين الذين تخرج على ايديهم أكبر عدد من طلاب هذا العصر . ولعل الذين ذهبوا بأكثر الشهرة في هذا الميدان أربعة هم : ١- ابن الافليلي ، ٢- ابن سراج ، ٣- ابو الوليد القشي ، ٤- والأعلم الشنتمرى .

١- اما ابن الافليلي فهو ابراهيم بن محمد بن زكرياء بن مفتح بن يحيى بن زياد ابن عبد الله بن خالد بن سعد بن ابي وقاص القرشي الزهري (٢) . ويبدو من هذا ان ابراهيم بن محمد يعود في نسبه الى أصل عربي صريح وأن جدّه الصحابي القائد سعد ابن أبي وقاص .

ويرى بعض المؤرخين ان لقبه هذا ، ابن الافليلي ، قد ورثه عن بلدة في الشام يرجع أصله اليها (٣) . ولا يذكر المؤرخون من هو الجد الذي انتسب اليه ، والذي كان يسكن افليل .

وابن الافليلي من أهل قرظبة ، ولم يذكر واحد من المؤرخين ، الذين

(١) التكملة : ١٤٠ .

(٢) انظر ترجمته في : الصلة : ٩٤ - ٩٥ ، بغية الملتبس : ١٩٩ ، انباء الرواة : ١ : ١٨٣ - ١٨٤ ، وفيات الاعيان : ١ : ٣٣ - ٣٤ ، بغية الوعاة : ١٨٦ ، معجم البلدان : ١ : ٢٣٢ ، معجم الادباء : ٢ : ٤ - ٩ ، شذرات الذهب : ٣ : ٢٦٦ (حوادث سنة ٤٤١ / ١٠٤٩) .

(٣) والافليلي - بكسر الهمزة ، وسكون الفاء ، وكسر اللام ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها لام ثانية - هذه النسبة الى الافليل ، وهي قرية بالشام كان أصله منها . انظر : وفيات الاعيان : ١ : ٣٤ ، وانظر أيضاً : الصلة : ١ : ٩٤ ، شذرات الذهب : ٣ : ٢٦٦ .

راجعت أخبارهم ، صراحة ان ابن الاقليلي ولد في قرطبة ، ولكن ذلك يفهم من  
اجماعهم على انه " قرطبي " وانه كان متصدرا للعلم ببلده ، أي قرطبة . فقد  
ولد فيها عام ٣٥٢<sup>٩٦٧</sup> / وطلب العلم على مشاهير الشيوخ فيها ، فكان تلميذا للزيدي  
وابن ابي الحباب واحمد بن ابان بن سيد ، وهم أبرز تلاميذ القالي . فدرس عليهم  
وعلى غيرهم من العلماء يومئذ ، فأخذ كتاب معاني الحروف واتسامها عن الحسين بن  
الوليد النحوي المعروف بابن العريف ، وكتاب الكامل وكتاب الغريب المصنف وكتاب  
الالفاظ ليحقوق عن ابن سيد ، وكتاب ادب الكتاب وكتاب فائت المفصح عن ابن  
ابي الحباب ، وكتاب لحن العامة عن الزيدي (١) . واستكثر من الدراسة على هؤلاء  
الاعلام حتى فدا حجة فيما وقف له جهده ، وحتى قال فيه ابن بسام : " بذّ  
اهل قرطبة في علم اللسان العربي والضبط لغريب اللغة في ألفاظ الاشعار الجاهلية  
والاسلامية ، والمشاركة في بعض معانيها . وكان غيورا على ما يحمل من ذلك الفن  
كثير اللسد فيه ، وركبا رأسه في الخطأ البين اذا تقلده او نشب فيه ، يجادل  
عليه ، ولا يصرفه عنه صارف " (٢) . ومع هذا الاطلاع الواسع ، ظلّ مفتقرا الى علم  
كان بحكم مهنته في اشد الحاجة اليه ، وذلك هو علم العروض (٣) . وكان يزيّد  
من حاجته الى هذا العلم أنّه لم يكتف بتدريس اللغة ، بل تصدّى للنقد والكلام في  
أقسام البلاغة ، اي تصدّى لتعليم البيان (٤) . وهذا هو الذي أثار ثائرة ابن  
شهيد وجعله يتخذ من ابن الاقليلي محطا لسخرته ، بل يصوره بصورة مضحكة في  
رسالة التوابع والزوابع . ولا ريب في ان ابن شهيد لم ينصف ابن الاقليلي في هذه

(١) فهرسة ابن خير : صفحات متفرقة .

(٢) الذخيرة - ١/١ : ٢٤٠ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) بغية الملتصق : ١٩٩ ، انباء الرواة ١ : ١٨٣ .

الحملة ، فقد شهد له بعض معاصريه بأنه كان عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي وابي الطيب المتبي ، وأنه كان اشدّ الناس انتقاء للكلام ومعرفته براءته (١) . وحسبك بهذا شهادة على ان الرجل لم يكن يحسن تدريس اللغة فحسب وانما كان يجمع الى ذلك ذوقا أدبيا مسحفا على النقد .

وقد ظل ابن الافليلي قطبا لحلقة تجمع كثيرا من الطلبة في قرطبة الى ان حدثت الفتنة البربرية فقضت على كثير من العلماء بالشرذ ، وعلى مجالس العلم بالكساد . ويبدو أن شيئا من هذا أصاب ابن الافليلي فأخذ يبحث عن رزقه بالتقرب لامراء بني حمّود في قرطبة ، او كما يقول ابن بسام : " فازولف الى الامراء الى ان نال الجاه " (٢) . ثم عادت الى قرطبة الخلافة الاموية في شخص المستكفي فاتخذ ابن الافليلي كاتباً عنده . وكانت هذه الحادثة امتحانا عليها لما كان يدرسه ابن الافليلي نظريا ، فسقط في الامتحان " لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين " (٣) .

وبعد المستكفي تولّى أمر قرطبة في هذه الفترة القلقة هشام المعتد . ويبدو ان هشاما هذا تقرب الى قلوب العامة بمطالبة بعض المفكرين مثل ابن عاصم والبسباسي والحمار ، وكان ابن الافليلي واحدا من هؤلاء المطلوبين فأخذ وسجن . وبدل نص ابن بسام حين يقول : " ولحقته تهمة في دينه " ، على ان الأمر كان متصلا بشيء من دراسة الفلسفة او المنطق . وهؤلاء الذين يسميهم ابن بسام " الاطباء " لا يمكن ان نفهم سبب تتبعهم الا ان فهمنا ان اللفظة تعني الفلاسفة او المشتغلين

(١) الصلوة : ٩٤ .

(٢) الذخيرة ١/١ : ٢٤١ .

(٣) المصدر نفسه ، ومعجم الادباء ٢ : ٧ .

بعلوم الاوائل ، اذ لم يحدث ابدا ان كان الاطباء محط تهمة ، او هدفا لاضطهاد الحكام . ولا بد ان تكون هذه التهمة كذلك ، اعني ذات صلة بالدراسات الفلسفية ، والا لما استطعنا ان نوفق بين معنى التهمة في الدين وبين قول فقيه محدث مثل ابن بشكوال في الثناء على ابن الافليلي : " وكان صادق اللهجة حسن الغيب صافي الضمير حسن المحاضرة مكرما لجليسه " (١).

تطاول العمر بابن الافليلي فتجاوز به فترة القلق في حياة قرطبة، وعاش حتى شهد بلده يعيش في ظل الحكومة الشيوعية التي أوجدها الجمهوريون ، وتوفي عام ١٠٤٩ / ٤٤١ .

هل تجاوز نشاط ابن الافليلي ميدان التدريس ؟ يبدو ان ابن شهيد اتخذ ابن الافليلي نموذجا لمعلمي اللغة ، فاتهمهم جميعا بانهم يحجزون عن التأليف فقال : " ومن دليل تقصير عصابة المعلمين انهم لا يقدمون ان يجعلوا ما يحملون من المعرفة تصنيفا ، ولا تغزر مادتهم ان ينشئوها تأليفا " (٢). ورسخت هذه التهمة في ذهن ابن بسام فتأتى اليها بقوله : " وما بلغني أنه ألف في شيء من فنون المعرفة الا كتابه في شعر المتبني لا غير " (٣). والحق ان شرح ابن الافليلي لديوان المتبني هو أشهر ما عرف له ، وقد اثنى عليه الذين ترجموا له بالجودة (٤).

وتخرج على يدي ابن الافليلي تلامذة كثيرون منهم : ابو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي ، والعلاء بن ابي المغيرة بن حزم ، وابن سراج (٥).

(١) الصلوة : ٩٤ .

(٢) الذخيرة ١/١ : ٢٠٩ .

(٣) الذخيرة ١/١ : ٢٤١ .

(٤) انظر : انباء الرواة ١ : ١٨٣ ، معجم الادباء ٢ : ٥٥ .

(٥) بغية الملتبس : ١٩٩ ، الصلوة ١ : ٩٥ .

٢ - ابو مروان عبد الملك بن سراج (١) (١٠٩٦/٤٨٩) . شهر عن بني سراج انهم من موالي الأمويين ، ولكن ابا مروان كان ينكر ذلك ويقول انهم من العرب صليمة ، من كلب بن وبرة . وقال ابن بسام : من كلاب بن ريعة ، وانما أصابهم سبأ في القديم . وكانت عائلتهم متصلة الشهرة والنباهة في الاندلس على الرغم من ابتعادهم عن خدمة الدولة ، واقتصرهم على سياسة ضياعهم المغلّة . وربما تضعفت حالهم بعض الشيء في الفتنة البربرية فعادوا بعدها الى التماسك . وفي عهد الفتنة نفسها ولد عبد الملك ونشأ في قرطبة فلم يشهد من عرائنها السابق ولم يحلم عنه الا ما كان يحدثه به أهله ، فانصرف الى العلم على بقية الشيخ يومئذ كابن الافليلي والمؤرخ ابي مروان بن حيان . وأطاعته ملكته في ميدان اللغة فتفوق فيها تفوقا ملك اعجاب معاصريه . وكان يجمع الى هله متانة في دينه ، وسماحة في خلقه ، وبعدا عن العجب والخيلاء ، وقدوة على الافهام . وبذلك اجتذب اليه الدارسين من كل صوب . وعاش تسعا وثمانين سنة ، وظل الى آخر حياته حسن البنية ، سليم الحواس ، متوقد الذهن ، سريح خاطر ، يقرأ دقيق الخط ، ويثابر على المطالعة (٢) . وقال فيه احد تلامذته : " كان بحر علم ، عالما بالتفاسير ومعاني القرآن ومعاني الحديث ، أحفظ الناس للسان العرب ، واصدقهم فيما يحمله ، واقومهم بالعربية والاشعار والاخبار والانساب والايام ، عنده يسقط حفظ الحفاظ ، ودونه يكون علم العلماء ، فاق الناس في وقته ، وكان حسنة من حسنات الزمان ، وبقية من الأشراف والاعيان " (٣) .

(١) ترجمته في : الذخيرة ١ / ٢ : ٣٠٧ ، الصلة : ٣٤٦ ، المغرب ١ : ١١٥ ،

الديباج المذهب : ١٥٧ ، انباء الرواة ٢ : ٢٠٧ .

(٢) الذخيرة ٢ / ١ : ٣١٠ .

(٣) الصلة : ٣٤٦ .

وإذا كما قد وجدنا لابن الافليلي نشاطا في التأليف يسيرا فان المصادر تسكت عن ذكر اى مؤلف لابن سراج . وكل ما نعرفه من جهوده ، سوى التدريس ، قول ابن بسام : " واحيي كثيرا من الدواوين الشهيرة الخطيرة . . . . واستدرك فيها اشياء من سقط واضعها ، ووهم مؤلفيها ككتاب البارع لابي علي البغدادي ، وشرح غريب الحديث للخطابي وقاسم بن ثابت السرقسطي وكتاب أبيات المعاني للقتبي ، وكتاب النبات لابي حنيفة ، وغير ذلك من الكتب مما لم يخضرنى ذكره ، ولم يمكن حصره ، اذ كانت قبل فتحها عليه ، واصلاحها بين يديه ، طامسة الاعلام ، مختلة النظام ، وقد سدت التصحيف طرقها ، وعمور التبديل نسقها ، ففتح مستغلقها ونظم مفترقها ، وعانى خللها ، وأزاح غلبها ، وقيد مهملها " (١) .

وواضح ان ابن بسام يذهب في كلامه مذهب التهويل ، والا فان هذه الكتب قد تداولها العلماء ودرسها الطلبة قبل ابن سراج ، ولم تكن طامسة الاعلام ، او مختلة النظام ، وانما الذى يهمنى في هذا النص دلالة على أن ابن سراج كان مهتما بالاستدراك على كتب من سبقه . وأيّا كان الأمر فان أمثال ابن سراج انما يؤثرون في مجال العلم بعناصر شخصياتهم اكثر مما يؤثرون بمؤلفاتهم . وقد شهد له عارفوه بأنه كان " وقور العجل من مهيبا متواضعا على اتساع علمه " (٢) ، فكانت الرحلة في ذلك الوقت اليه حتى عدّ امام اللغة في الاندلس غير مدافع (٣) ، وقد سرد لنا ابن خير قائمة طويلة بالكتب التي أخذها ابن سراج عن أستاذه أبي سهل الحراني وقائمة أخرى بالكتب التي درسها عليه تلميذه أبو علي الفسائي (٤) ، وكلها من كتب الشعر .

(١) الذخيرة ٢/١ : ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٢) الصلاة : ٣٤٦ ، انباء الرواة ٢ : ٢٨٠ .

(٣) الصلاة : ٣٤٦ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٩٧ .

٣- أبو الوليد هشام بن أحمد الوقيشي<sup>(١)</sup> (٤٨٩ / ١٠٩٦) ينسب إلى وقش ، وهي قرية بخارج طليطلة ، بينهما اثنا عشر ميلاً . ولم تكن معارفه قاصرة على اللغة والنحو بل كان واسع الاطلاع على فنون المعارف والعلوم في عصره . فهو كما وصفته المصادر من أعلم الناس بالنحو واللغة ، ومعاني الاشعار ، وعلم العروض ، وصناعة البلاغة ، بصير بأصول الاعتقادات وأصول الفقه ، نافذ في علم الشروط والفرائض ، متحقق بعلم الحساب والهندسة والمنطق ، مشرف على آراء الحكماء . ويجمع إلى هذا الاطلاع الواسع حسن المعاشرة ولين الكف وصدق المهجة . وفي دولة المأمون بن ذى النون أصبح قاضياً لمدينة طليطلة ، من ثغور طليطلة . ذلك هو ما تحدثنا به المصادر ، دون ان تضيف أي شيء يتصل بوجهته في التأليف او بتلامذته الآخذين عنه .

٤- أبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعمى الشنتمري<sup>(٢)</sup> (٤٧٦ / ١٠٨٣) :

وهو منسوب إلى شنتمرية الغرب ، هاجر من بلده إلى قرطبة عام ٤٣٣ / ١٠٤٢ فدرس فيها على ابن الافليلي وعلى ابي سهل الحراني : درس على هذا الثاني الاشعار الستة الجاهلية وأخذ عنه أيضاً شعر السليك وقصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة لقيط بن معمر الايادي وشعر الاسود بن يعفر وشعر حاتم وشعر زيد الخيل<sup>(٣)</sup> ، حتى أحكم اللغة واقبل بالاهتمام على معاني الشعر الخاصة ، ثم استدعاه المعتضد إلى اشبيلية وفي ظله ألف أكثر المؤلفات ، فهو يذكر في مقدمة شرحه لأبيات سيبويه أنه ألف بطلب من المعتضد ، كذلك يذكر ابن عذارى أنه ألف له شرح الحماسة

(١) ترجمته في الصلة : ٦١٢ ، المغرب : ٢٢٣ ، بغية الملتبس : ٤٧٠ ،

طبقات الأسم : ٧٤ .

(٢) ترجمته في الصلة : ٦٤٣ - ٦٤٤ ، وبغية الوعاة : ٤٢٢ .

(٣) فهرسة ابن خير : ٣٩٨ .

وشج الاشعار الستة (١)، وكانت الرحلة في وقته اليه ، ويبدو أنه ظل مقيما  
 باشبيلية الى آخر أيام حياته ، وكف بصره في آخر عمره وكانت سنه يوم  
 توفي تناهز الثالثة والستين ، ومن أشهر تلامذته وهم عديدون ، أبو علي  
 الفسائي .

---

(١) البيان المغرب ٣ : ٢٨٤ ، وانظر ايضا فهرسة ابن خير ٣١٤ - ٣١٥ ،  
 الذي أضاف : المخترع في النحو ، وكتاب المسألة الرشيدة والمسألة الزنبورية ،  
 وجزء فيه مختصر الأنواء .



## الفصل الخامس

### حركة التأليف اللغوي ووجهاته في هذا العصر

أولا - صورة عامة :

لا يقل هذا العصر عن العصر السابق غنى في المؤلفات، وان كانت هذه أقل تنوعا . وفي سبيل أن نرسم صورة تصلح للمقارنة بالعصر السابق أدرج ها هنا ثمتا باسماء المؤلفين ومؤلفاتهم في هذا العصر :

١ - ابن الافليبي<sup>(١)</sup> ( - ١٠٤٩ / ٤٤١ )

١- شح ديوان المتببي<sup>(٢)</sup> . وصفه بعضهم بأنه حسن او مشهور او جيد .

٢ - الحسن بن محمد بن عليم البطليوسي<sup>(٣)</sup>

٢- شح كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة .

٣ - الحسن بن علي بن محمد الطائي المرسي<sup>(٤)</sup> ( - ١١٠٥ / ٤٩٨ )

٣- المقنع في شح كتاب ابن جنبي .

٤ - سعيد بن عيسى الأصفر<sup>(٥)</sup> ( - حوالي ١٠٦٨ / ٤٦٠ )

٤- شح كتاب الجمل للزجاجي .

---

(١) انظر ما سبق من هذه الرسالة ص : ٤٤٩

(٢) مخطوطة برلين ٧٥٦٩ ، مكتبة القرويين بفاس ١٣٤٨ ، المتحف البريطني ثاني ١٠٤١هـ  
الرباط ٣٢٤ ، قطعة منه بمكتبة داود بالموصل ٢٣ رقم ٠٩ ( انظر بروكلمان ٢ : ٨٩ ) .

(٣) درس ببلدة بطليوس على ابن الخراب وغيره ، وكان مقدما في علم اللغة والأدب والشعر  
( الصلة : ١٣٧ ) .

(٤) مرسي عرف بالفقيه الشاعر ( الصلة : ١٣٧ ) .

(٥) من ساكني طليطلة ، كان عالما بالنحو واللغة والشعر ( الصلة : ٢١٨ )

٥- ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (١) - (١٠٩٤/٤٨٧)

٥- اللآلي في شرح الأمالي (٢) .

٦- فصل المقال في شرح كتاب الامثال (٣) .

٧- التبيين على أوهام ابي علي في أماليه (٤) .

٨- صلة المفصول في شرح ابيات الخريب المصنف لأبي عبيد (٥) .

٩- اشتقاق الاسماء (٦) .

١٠- شفاء عليل العربية (٧) .

٦- عبد الله بن محمد بن السيد (٨) .

١١- شرح سقط الزند .

١٢- الاقتضاب في شرح ادب الكتاب .

١٣- اصلاح الخلل الواقع في الجمل (٩) ، " وهو كبير في مجلد ضخم ..

ذكر فيه ان الزجاجي قد نزع فيه المنزع الجميل فانه حذف الفصول (١٠)

واختصر الطويل ، غير انه قد انطرد في الايجاز فتجده في كثير من

كلامه بعيد الاشارة ، فرأى ان ينبه على أغلظه ، والمختل من

(١) انظر ثبت تراجمه في ما يلي من هذه الرسالة (اتجاهان كبيران في التأليف)

(٢) نشره عبد العزيز اليعني - القاهرة ١٩٣٦ .

(٣) حققه الدكتور احسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين - الخرطوم ١٩٥٨ .

(٤) طبع في مصر ١٩٢٦ ، ط . دار الكتب المصرية .

(٥) فهرسة ابن خير : ٣٤٣ .

(٦) بغية الوعاة : ٢٨٤ .

(٧) كشف الظنون : ١٠٥٠ .

(٨) انظر ثبت تراجمه فيما يلي من هذه الرسالة (اتجاهان كبيران في التأليف)

(٩) منه نسخة في برلين : ٦٤٦٣ ، ليدن ١٤٢ ، القاهرة ثاني ٢ : ٧٦ (انظر ،

بروكلمان ٢ : ١٧٤) .

(١٠) لعلمها الفضول .

كلامه ، ثم انشئ بالكلام في آيائه وما يحضره من أسماء تأثيلها  
 وذكر ما يتصل بالشاهد من بعده أو من قبله " (١) ، وسماه :

١٤- الحلل في شرح آيات الجمل (٢) .

١٥- شرح ديوان الشعراء الستة (٣) .

١٦- شرح ديوان المتبّي (٤) .

١٧- المسائل المنشورة في النحو (٥) .

١٨- كتاب في الحروف الخمسة : السين والصاد والضاد والطاء والذال ،  
 جمع فيه كل غريب (٦) .

١٩- المثلث في اللغة ، " في مجلدين اتى فيه بالعجائب ودلّ على اطلاع  
 عظيم . فان مثلث قطرب في كراسة واحدة ، واستعمل فيه  
 الضرورة وما لا يجوز ، وظلّ في بعضه " (٧) .

(١) كشف الظنون : ٦٠٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ومن الكتاب نسخة في القاهرة ثاني ٢ : ١٠٤ ، واغب  
 ١٣١٩ (انظر ، بروكلمان ٢ : ١٧٤) .

(٣) مخطوطة فيض الله رقم ٩٤٠ (بروكلمان ، ١ : ٨٨) .

(٤) بغية الوعاة : ٢٨٨ .

(٥) المصدر نفسه

(٦) شذرات الذهب ٤ : ٦٥ ، ومنه نسخة في مكتبة واغب ١٤٣١ (بروكلمان ،  
 ط . ليدن ، الملحق ١ : ٧٥٨) .

(٧) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، وانظر شذرات الذهب ٤ : ٦٥ ، وفهرسة ابن  
 خير : ٣٦٢ . ومن الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة عاطف افندي :  
 ٢٧٥٤ ، ولاللي : ٣٦١٦ ، والقاهرة ثاني : ٣٤ ، (انظر بروكلمان ،  
 ط . ليدن ، الملحق ١ : ٧٥٨) .

٢٠- كتاب المسائل والاجوبة (١). وهو يشتمل على مسائل كان ابن السيد قد سئل عنها فكتب اجوبته وألف من مجموع الاجوبة كتابا ضخما يتناول ما ينيف على مائة مسألة . ويبدو ان الكتاب كان مجموعة لمسائل قليلة عرضت لابن السيد في مناقشاته ومجالسه ، ثم لما اخذت هذه المسائل تعظم وتكثر فكر في جمعها وجعلها في كتاب ، غير انه ادرك ان هناك مزيدا من المسائل ستبرز مع الايام فقال : " وهذا التأليف معرض للزيادة فيه ، اذ كان السؤال يوجب ذلك ويقتضيه ولا تمام له ولا انقضاء حتى يشارف العمر الانتهاء " (٢).

وتغلب على الكتاب الناحية اللغوية ، وطريقته فيه لا تختلف عما اخذ به كتابيه شرح سقط الزند والانتصاب . والحكم الدقيق غير متيسر ، اذ ان المنشور ثلاث مسائل فقط من بين مائة مسألة .

٢١- الاسم والمسمى (٣) .

٢٢- ابيات المعاني (٤) .

٢٣- التبيين على الاسباب الموجبة لاختلاف الأمة (٥) . وفي هذا الكتاب

- 
- (١) نشر جزء من المسائل مع رسائل اخرى لمؤلفين آخرين بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي (بغداد ١٩٦٤) ومنه نسخة بالاسكويريال رقم : ١٥١٨ ونسخة اخرى بعنوان " الاسئلة " في القرويين رقم : ١٢٤٠ (بروكلمان : الملحق ٧٥٨١) .
- (٢) رسائل في اللغة : ١١٤ .
- (٣) منه نسخة مخطوطة في مكتبة فيض الله : ٢١٦١ (انظر بروكلمان ، ط ليدن الملحق ١ : ٧٥٨) .
- (٤) انظر خزانة الادب ١ : ٩ ، (وقد ذكره بروكلمان ، ط ليدن الملحق ١ : ٧٥٨)
- (٥) الصلة ١ : ٢٨٢ ، الديهاج المذهب : ١٤١ . وقد طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٣١٩ / ١٩٠٢ ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة شهيد علي : ١١١٤ ، وفيض الله : ٢١٦١ ، (انظر بروكلمان ط ليدن ، الملحق ١ : ٧٥٨) .

ان ركبا من رجال المشرق قادمهم الاعترا ب نحو المغرب . وسئلوا  
 عن اسمائهم ، وآبائهم ، وقبائلهم ، واخوانهم ، وبلدانهم ، ومراكبهم ،  
 ومعادن قسائمهم ، وسهامهم ، وما يقتتصون من الوحش والطي ر ، وما  
 يأكلون منها ، وما يهدون الى حبا ئهم ، واسم حبيبة كل منهم ،  
 والبيت الذي يقال لها عند الاهداء ، وما كانت تتشده هي في  
 الجواب . كل ذلك بألفاظ مبدوءة بنفس الحرف الذي تداوله من  
 حروف المعجم كل رجل منهم في دوره " (١) .

٨ - احمد بن محمد المرسي (٢) ( - حوالي ٤٦٠ / ١٠٦٨ )

٣٣ - شرح الغريب المصنف لأبي عبيد .

٣٤ - شرح اصالح المنطق لابن السكيت .

٩ - اسحق بن الحسن الزيات (٣) ( - بعد ٤٤٨ / ١٠٥٦ )

٣٥ - شرح كتاب الجمل للزجاجي .

٣٦ - كتاب في العيني والمعرب .

١٠ - خلف بن فتح المعروف بابن ابي الموتى (٤) ( - بعد ٤٣٣ / ١٠٤٢ )

٣٧ - كتاب الناهج في شرح ما أشكل من الجمل للزجاجي .

(١) المشرق : ١٨١ - ١٨٢ .

(٢) كان عالما بالنحو واللغة والآداب ، وكان يقرئ العربية ( التكملة : ٢٠ ) .

(٣) قرطبي الأصل ، هاجر من بلده مضطرا اثناء الفتنة البربرية ، فأقرأ العربية  
 بسرقسطة ( التكملة : ١٩٢ ) ، وقد ذكره بروكلمان ( ط ليدن ، الملحق ٢ : ١٠٢٦ )

(٤) خلف بن فتحون الجودي القيسي . من أهل يابرة وسكن قرطبة . اتخذ من

داره في قرطبة مكانا يعارس فيه مهنة التعليم ( التكملة : ٢٩٦ ) .

١١- ابن التياي ، تمام بن غالب (١) ( - ٤٣٦ / ١٠٤٥ )

٣٨- تليح العين في اللفظة (٢) .

١٢- يوسف بن سليمان الشنتري المعروف بالاعلم (٣) ( - ٤٧٦ / ١٠٨٣ )

٣٩- شرح الاشعار الستة الجاهلية (٤) .

٤٠- شرح اشعار الحماسة (٥) .

٤١- شرح ابيات كتاب سيبويه ، وقد سماه : تحصيل عين الذهب من

معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب (٦) .

٤٢- النكت في كتاب سيبويه (٧) .

٤٣- المختصر في النحو (٨) .

(١) كان اماما في اللفظة ثقة في ايرادها ، مذكورا بالديانة والعفة والسورع ، وله كتاب تليح العين في اللفظة لم يؤلف مثله اختصارا او اكثارا . قال عنه ابن بسام (الذخيرة ١/٤ : ١١) انه كان أحد أعضاء ديوان الندماء في زمن المنصور بن ابي عامر . وانظر ترجمته في : جذوة المقتبس : ١٧٢ ، بغية الملتبس : ٢٣٦ ، الصلة : ١٢٤ ، انباء الرواة ١ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وفيات الاعيان ١ : ٩٧ ، بغية الوعاة : ٢٠٩ ، رياض الجنات : ١٤٠ - ١٤١ ، معجم الادباء ٧ : ١٣٥ - ١٣٨ ، كشف الظنون : ٤٨١ .

(٢) فهرسة ابن خير : ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٣) انظر ثبوتا بتراجم الاعلم ص : ٤٧٥ من هذه الرسالة .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ ، ويوجد منه نسخة في الرباط : ٣١٣ ، ( انظر

بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٢ ) .

(٥) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ .

(٦) منه نسخة في القاهرة ثالث : ٤٤ ، ورامبور ١ : ٥٨٠ ( انظر بروكلمان

ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٢ ) .

(٧) فهرسة ابن خير : ٣١٤ - ٣١٥ .

(٨) المصدر نفسه

- ٤٤- المسألة الرشيدة (١) .  
 ٤٥- جزء فيه الفرق بين المسهب والمسهب (٢) .  
 ٤٦- المسألة الزنبورية (٣) .  
 ٤٧- جزء فيه مختصر الانواء (٤) .  
 ٤٨- شرح ديوان زهير (٥) .  
 ٤٩- شرح ديوان علقمة الفحل (٦) .  
 ٥٠- شرح ديوان الفايضة (٧) .  
 ٥١- شرح ابيات الجمل (٨) .  
 ١٣- ابو الفتح ثابت الجرجاني (٩) .  
 ٥٢- شرح كتاب الحاسة (١٠) .

- 
- (١) فهرسة ابن خير : ٣١٤ - ٣١٥ .  
 (٢) المصدر نفسه  
 (٣) المصدر نفسه  
 (٤) المصدر نفسه  
 (٥) نشوه لندبرغ - ليدن ١٨٨٩ ، وطبع بالقاهرة ١٣٢٣ / ١٩٠٦ ،  
 (انظر بروكلمان ١ : ٩٦) .  
 (٦) نشر بالقاهرة ١٢٩٣ / ١٨٧٦ ، ١٣٢٤ / ١٩٠٧ ، ونشر ابن شنب  
 في الجزائر ١٩٢٥ ( انظر بروكلمان ١ : ٩٧) .  
 (٧) مخطوطة الامبروزيانا ثاني : ١٣٢ ( انظر بروكلمان ١ : ٨٩) .  
 (٨) يوجد منه نسخة في مكتبة لاللي : ٣٢٥٥ ( انظر بروكلمان ٢ : ١٧٤) .  
 (٩) انظر ثبوتا بتراجم ابي الفتح في ص : ٢٢٦ من هذه الرسالة .  
 (١٠) مخطوطة الاسكوريال ثاني : ٢٨٩ ( انظر بروكلمان ١ : ٧٩) .

١٤ - ابو بكر عاصم بن ايوب البلوي (١) (- ٤٩٤ / ١١٠٠)

٥٣ - شح أشعار الحماسة (٢) .

٥٤ - شح كتاب الاشعار الستة الجاهلية (٣) .

٥٥ - شح ديوان امرىء القيس (٤) .

١٥ - ابو علي الحسن بن علي النمرى .

٥٦ - شح كتاب معاني ابيات الحماسة (٥) .

### ثانيا - اتجاهان في التأليف كبيران :

هذا عدد من الكتب يتحدث عن طبيعة التأليف الخالصة على

اللغة والنحو في هذا العصر . واذا استثنينا بعض المؤلفات الصغيرة وجدنا هذا  
التأليف يمثل اتجاهين كبيرين : اتجاه لشح الكتب التي اصحت عدة دارسي النحو  
واللغة ، وهي ثلاثة انواع : ١ - شروح لداوين شعرية ، كديوان المتبي والمعري ،  
٢ - شروح لمجاميع ، كديوان الحماسة والاشعار الستة ، ٣ - شروح " للمقررات "  
النحوية واللغوية مثل الجمل للزجاجي والنوادر للقالي وأدب الكتاب والغريب

(١) كان من اهل المعرفة بالآداب واللغات ضابطا لهما . وعليه درس ابن السيد  
البطليوسي ( الصلة : ٤٢٧ ، وانظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ، ١ : ٥٤٣ ،  
ويسميه البطليوسي ) .

(٢) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٨٩ ، ومن الكتاب نسخة في مكتبة فيض الله : ١٦٤٠ ،  
( انظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ، ١ : ٥٤٣ ) .

(٤) طبع بمصر ١٢٨٢ / ١٨٦٥ ، ١٣٠٧ / ١٨٩٠ ، ١٣٢٤ / ١٩٠٧ .

(٥) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ .



المصنف واصلاح المنطق . اما الاتجاه الثاني فهو التأليف المعجمي . وهو من حيث الكم أقل بكثير من الاتجاه الأول . واذا كان ابو عبيد البكري وابن السيد ابرز من يمثل الاتجاه الاول ، فان ابن سيده يعتبر اكبر من يمثل الاتجاه الثاني وان شارك بعض مشاركه في الاول . وهذا موضع التوجه الى دراسة ممثلي هذين الاتجاهين ودراسة اهم مؤلفاتهم .

### (١) الاتجاه الى الشرح :

١ - أبو عبيد البكري وكتابه " فصل المقال " و " اللآلي " .

#### أ - شي من سيرة البكري :

ينتسب عبد الله بن عبد العزيز<sup>(١)</sup> ابو عبيد الى اسرة من الامراء كانت تحكم ولبية وشلطيش واونبة ولبلة في عصر ملوك الطوائف، الى ان تغلب عليها المعتضد ابن عباد من يد والد ابي عبيد اي عبد العزيز البكري فلحق الاب بقرطبة ومعه عائلته جميعا ، ويصف ابن حيان هذا الحادث بقوله : " وبوشر منه رجلا سريا عاقلا عنيفا أديبا يفوق صاحبه ابن يحيى حالا وخلا لا الى زيادة عليه بيت السرو والشرف ، وابن له بذ الاقران جمالا ومهارة وسروا وأدبا ومعرفة يكنى ابا عبيد " (٢) . وعاش ابو عبيد في قرطبة بعد لجوء اهله اليها . ويقول الدكتور حسين مؤنس : " ولا ندرى كم اقام ابو عبيد في قرطبة ،

(١) ترجمته في : الذخيرة للقسم الثاني : ٩٢ مخطوطة بغداد ، والصلة : ٢٧٧ ، والحلة ٢ : ١٨٠ ، القلائد : ١٩١ ، الوافي بالوفيات ٦ : ٢١٨ . وانظر ما جمعه الاستاذ اليمني من تراجمه في صدر سمط اللآلي .  
(٢) الذخيرة ، القسم الثاني الورقة : ٩٢ - ٩٨ ، مخطوطة بغداد ، الحلة السراء ٢ : ١٨٢ .

ولكن الثابت انه لم يفادها الا بعد ان ذاع صيته بالعلم ورفب بعض أمراء النواحي في ان ينتقل الى بلادهم " (١) . وفي هذه الفترة اتصلت الاسباب بينه وبين بعض شعراء قرطبة فنراه يمدح الوزير المعروف بابن السقاء ولكن شعوره لا يدل كثيرا على تمكن في الشاعرية . ويرى الدكتور مؤنس انه الف في هذه الفترة كتابه التبييه على اوهام ابي علي في أماليه ، لأن الكتاب يحمل طابع الشباب والرغبة في الظهور عن طويق تعقب شيخ من شيخ الادب كاي علي القالي (٢) . ولكن اعتقد ان هذا الاستنتاج غير صحيح ، اذ تدل مقدمة الكتاب على انه الفه للمعتد بن عباد ، وهذا يعني انه متصل بفترة اقامته في اشيلية لا في قرطبة . وأيّا كان الامر فان ابا عبيد أخذ يتقل معرجا على أمراء الطوائف . ويذكر ابن البار في الحلة انه صار الى محمد بن معن صاحب العروة ، فاصطفاه لصحبته وآثر مجالسته والأنس به ورفح مرتبته ووفى طعمته (٣) . وكان ابن صمّاح هو صاحب العروة ، ويبدو ان ابا عبيد لم يطل الإقامة في كنفه ، وانما آثر الارتحال الى اشيلية في كنف المعتد بن عباد ، وظل فيها الى ادركته منيته سنة ٤٨٧ / ١٠٩٤ . ويورد له النويري شعرا يهنئ به المعتد بفتح تمّ سنة ٤٧٧ / ١٠٨٤ (٤) .

وتظن المصادر في سرد الفضائل العلمية لدى ابي عبيد فتقول انه " كان من اهل اللغة والآداب الواسعة ، والمعرفة بمعاني الاشعار والخريب والانساب والاخبار، متقنا لما قيده ضابطا لما كتبه ، جميل الكتب متبهما فيها ، كان يمسكها في

(١) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية مجلد ٧ ، ٨ ص : ٣١١ .

(٢) المقالة السابقة : ٣١٢ .

(٣) الحلة السيرة ٢ : ١٨٦ ، وانظر الوافي بالوفيات ٦ : ٢١٨ .

(٤) نهاية الارب ١ : ٤٣ .

سباني الشرب وغيرها اكراما لها وصيانة" (١). ويقول فيه ابن بسام : " كان بأفقا آخر علماء الجزيرة بالزمان ، واولهم بالبراعة والاحسان ، وابعدهم في العلوم طلقا . . . ولولا تأخر ولادته وعهدة في زيادته ، لأنسى ذكر كنيه المتقدم الأوان (ابن عبيد بن سالم) " (٢). وبلغ من الشهرة حدا ان كان ملوك الاندلس يتهادون مصنفاته (٣) .

وقد تحدثت المصادر عن ولعه بالخمير ، واتهمه الفتح في القلائد بانسه " كان مباركا للراح لا يصحو من خمارها ولا يعحو رسم امانه من مضارها " (٤). ولكني اؤيد الدكتور مؤنس في ما ذهب اليه من شك في هذه المبالغة ، اذ ان من الف هذا القدر من الكتب لا يمكن ان يكون مدمنا . وكل ما نستطيع ان نقوله ان ابا عبيد كان يشرب الخمر متأثرا بضياع ملك ابيه ، وبالوضع الذي كانت عليه الاندلس ، فكان شهرة لها ضرها من التسلية والتعاسا للسوان (٥) .

ولما توفي ابو عبيد كان قد نيف على الثمانين . وقد رآه الفتح وهو في سنّ كبيرة ، ووصفه بقوله " رأيت ، وانا غلام ما اتقر هلامي ولا نبع في الذكاء كوثري ولا زلامي ، في مجلس ابن منظور ، وهو في هيئة كأنما كسيت بالبهاء والنور ، وله سبلة يروق العيون ايماضها ، وبفوق السواد يياضها وقد بلغ سنّ ابن محلم وهو يتكلم فيفوق كل متكلم " (٦) .

(١) الصلوة : ٢٧٧ .

(٢) الذخيرة القسم الثاني الورقة : ٩٧ مخطوطة بغداد .

(٣) الوافي بالوفيات ٦ : ٢١٨ .

(٤) قلائد الحقيان : ١٩١ .

(٥) انظر مقالة الدكتور مؤنس : ٣١٥ .

(٦) القلائد ، ١٩١ ، والاشارة الى عوف ابن محلم ، الذي يقول :  
ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

وقد درس ابو عبيد كثيرا من الأصول اللغوية التي جلبها القالي الى الاندلس  
وقد تقدم الخبر عن شدة غرامه باقتناء الكتب ، لذلك كان في ثقافته شديدة التسوع .  
وقد عدّ له الاستاذ الميمني اثني عشر مؤلفا ، بعضها في الجغرافيا وبعضها في  
النبات وفي اعلام النبوة . ومن الطريف ان تكون ثقافته اللغوية أساسا هاما في  
الاتجاه المعجمي الذي سار فيه . فكتابه "معجم ما استعجم" هو استخراج لأسماء  
الأماكن من الاخبار والحديث والتواريخ والاشعار . وكتابه في النبات ذو صلة وثيقة  
أيضا باللغة . وكان ابو عبيد من القادرين على ان يوجه جهوده في الاتجاه المعجمي  
للغوى لما اوتي من سعة في الاطلاع ، ولكنه آثر الشرح والتعقب لأهميات الكتب  
المشرقية . ولعل ذلك انما يعود الى اكتفائه باليمن والبارع واضرابهما في الناحية  
المعجمية . فمن كتبه التي تمثل الاتجاه الى الشرح :

ب - فصل المقال في شرح كتاب الامثال لأبي عبيد القاسم بن

سالم

لقي كتاب ابي عبيد اهتماما في المشرق والمغرب

واعتنى به الاندلسيون أنفسهم في دور مبكر فلخصه ابن عبد ربه في كتاب العقد .  
ثم كان من جملة الكتب التي ادخلها القالي أيضا الى الاندلس ، وتلقاه عنه  
تلاميذه . وبعد كتاب "فصل المقال" من أهم الشرح والتعليقات الاندلسية عليه .  
وكتاب ابي عبيد البكري معرض لسعة اطلاع مؤلفه ، فقد اشار فيه الى ما يقرب من  
ثلاثين كتابا نقل عنها (١) . ووجه الى مؤلفين في الامثال ممن لم يشر اليهم ابو عبيد  
القاسم في كتابه ومن هؤلاء :

(١) مقدمة فصل المقال : ك

عبيد بن شوية ، وعلاقة بن كرشم الكلابي وأبو عمرو بن السلاء ،  
 ( - حوالي ١٥٤ / ٧٧١ ) ، واللحياني : علي بن حازم ، كما ان هناك مصنفات  
 اخرى هامة استفاد منها البكري ، صفت بعد وفاة ابي عبيد القاسم ، ومن اصحابها :  
 ابن الاعرابي : ( - ٢٣١ / ٨٤٦ ) الذي الف كتابا عنوانه " تفسير الامثال " ؛ ويحقوق  
 ابن السكيت ، ( - ٢٤٤ / ٨٥٨ ) ، وله كتاب في الامثال ؛ والجاحظ ( - ٢٥٥ /  
 ٨٧٠ ) وله كتاب في الامثال . وقد اورد الجاحظ كذلك مجموعة من الامثال في  
 كتابيه الحيوان والبيان والتبيين ، من المحتمل ان يكون البكري قد استفاد منها ، وابو  
 محمد عبد الله بن قتيبة ( - ٢٧٦ / ٨٨٩ ) ، وله كتاب " حكم الامثال " . غير ان  
 البكري لم يورد اسم الكتاب بل اورد اسم الكاتب فقط ، والمفضل بن سلمة  
 المتوفى ( - حوالي ٢٩٠ / ٩٠٣ ) ، وكتابه " الفاخر في الامثال " من الكتب التي وصلتنا<sup>١</sup>  
 واحمد بن يحيى ثعلب ( - ٢٩١ / ٩٠٤ ) وله كذلك كتاب في الامثال (٢) .

وقد أوجز البكري منهجه في الكتاب وغايته منه في المقدمة حيث قال :  
 " فاني تصفحت كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام فرأيتنه قد أغفل تفسير كثير من  
 تلك الامثال ، فجاء بها مهملته ، واعرض أيضا عن ذكر كثير من اخبارها ، فأوردها  
 مرسلته . فذكرت من تلك المعاني ما أشكل ، ووصلت من تلك الامثال بأخبارها ما فصل ،  
 وبينت ما أهمل ، ونبهت على ما ربما أجمل ، الى ابيات كثيرة غير منسوبة نسبتهما ،  
 وامثال جملة غير مذكورة ذكرتها ، والفاظ عدة من الغريب فسرتها " (٣) .

وانما قام البكري بهذا العمل لأن الكتاب المشرح اعتمد الايجاز اسلوبا

- 
- (١) طبع بليدن عام ١٩١٥ ومصر عام ١٩٦٠ .  
 (٢) انظر مقدمة المحققين على كتاب فصل المقال .  
 (٣) مقدمة البكري : ٣ .

له ، ووقع مؤلفه في الوهم أحيانا ، وهذا أتاح للبكرى ان يشن هجوما قويا على بعض الهنات في مواضع كثيرة من الكتاب ، مثلما فعل في باب " صيانة الرجل الحر نفسه عن خسيس المكاسب " (١) :

" قال ابو عبيد : وقال الشاعر :

ففى كان يديه الخنى من صديقه اذا ما هو استخنى ويبعد الفقر

قال : وهذا البيت يقول بعضهم انه لعثمان بن عفان . . " فيثور البكرى قائلا :

" كيف جهل أبو عبيد ان هذا البيت من شعر الايرد اليربوعي ، وهو أشهر في

الناس من ان يجهله احد . . وانما روي عن عثمان . . انه قال البيت متعلا . "

وقد تتبع البكرى ابا عبيد القاسم في غير ذلك من الاوهام ، في النسب

وفي صحة الاسماء وفي الشج والتوجيهات اللغوية .

غير ان البكرى ليس دائما منصفا في احكامه ، وهو في مرات كثيرة

يجانب الصواب في تحسفه . فقد فسر ابو عبيد القاسم المثل " عند فلان من

العمال عاتوة عين " بان لديه من كثرة المال ما يعال العيين حتى يكاد يعورها ،

فقال البكرى : " قبح الله كل مال يكاد يفقأ العين حين النظر " . والسواقع ان

علماء آخوين قبلوا هذا التفسير ، وان البكرى لم يزد على ان اختار توجيه ابي

عبيدة في فهم المثل (٢) . كما ان البكرى وقع في كثير من الاحيان فيما لام فيه

ابا القاسم . فهو يورد اشعارا دون نسبتها الى اصحابها (٣) .

ولا وب في أن الكتاب قسم من الناحية اللغوية أولا بما احتواه من

(١) فصل المقال : ٢٣٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٢٧ والتعليقات .

(٣) المصدر نفسه : ٢١٢ .

تحقيق في الأصول والأخبار وتدقيق في الروايات الشعرية وثانيا فيهما اعتمد ابو عبيد شرحه من الالفاظ اللغوية وهو يمثل مع " اللآلي " جهدا علميا في استكمال أصلين من أصول اللغة ، فهما أشبه شي " بتدليل ملحق عليهما للتوسيع والتصويب ، ولا يحسن مثل هذا العمل الا لغوى واسع الاطلاع كالبكري .

ج - اللآلي في شرح امالي القالي :

قال البكري في مقدمة كتابه : " هذا كتاب شرحت

فيه من النوادر التي املاها ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي ما اغفل ، وبينت من معاني منظومها ومنشورها ما اشكل ، ووصلت من شواهدا وسائر اشعارها ما قطع ، ونسبت من ذلك الى قائله ما اهل ، وكثيرا ما يرد البيت المفرد ، والشعر الغفل المجرد . . . وذكرت اختلاف الروايات فيما نقله ابو علي ذكر مرجح ناقد ، ونسبت على ما وهم فيه تنبيه منصف لا متعسف ولا معاند ، محتج على ذلك بالدليل والشاهد . . . " (١).

وأول ما نلاحظه في هذه المقدمة ذلك التقارب بينها وبين خطبته في

فصل المقال . فكلتاها ترسم منهج البكري رسما واضح الحدود والسمات .

لسد كان الاستقصاء ميزة مهمة من ميزات البكري ساعدته على هذا النوع

من التأليف . وهذا الاستقصاء لا يتمثل بنتيج الاخطاء فحسب ، وانما يظهر واضحا أيضا بالبحث في الصحيح أيضا وإيراد الروايات المختلفة فيه وشرح جوانبه الغامضة ، سواء أكانت نثرا أم شعرا .

ونستطيع ان نجد مثلا على شرح البكري في حديثه عن المهلهل . فلقد

جاء في الكتاب (٢) :

(١) اللآلي في شرح الامالي ، المقدمة : ٤ .

(٢) اللآلي : ١١١ .

" وانشد ابو علي لمهلهم :

فلو نبش المقابر عن كليب . . . . "

يبدأ البكري شرحه بنسب المهلهل فيقول :

" مهلهل اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث من بني تغلب بن وائل . . " وقد  
ورد النسب ولاحظ ان هناك اكثر من رواية في اسمه فقال : " وقيل اسمه عدى " .  
وكان لا بد ان يورد الشاهد على هذا الاسم الاخير ، والشاهد قول المهلهل نفسه :

ضربت صدرها الي وقالت يا عديا لقد وقتك الا واتي

ولكنه يورد ايضا شاهدا تأييدا لقول من قال ان اسم المهلهل امرؤ القيس :

ضربت صدرها الي وقالت يا امرؤ القيس حان وقت الفراق

ثم يفسر البكري سبب تسمية امرؤ القيس بالمهلهل فيقول :

" وانما لقب مهلهلا لأنه اول من هلهل الشعر اى رقه " . ثم يورد قول الطوسي :  
سُمي مهلهلا ببيت قال لزهير بن جناب :

لما توَّعَّر في الكراع هجينهم هلهلت أثار جابرا او صنبلا "

ثم يورد الابيات نفسها شارحا الالفاظ الغريبة منها :

" شاعر جاهلي ، وهذا الشعر يقوله لما ادرك بثأر اخيه كليب ، واسم كليب  
وائل وكنيته ابو العاجدة ، وانما لقب كليبا بالجرو الذي اتخذه ، قال مهلهل :

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذئاب اى زهر

بيوم الشعثين لقر عنها وكيف اياب من تحت القبور

باني قد توكت بواردات بجيرا في دم مثل العبير

وهمام بن مرة قد تركنا عليه القشمان من النسور "



والبكرى يأخذ على القالي احيانا انه لا يدقق فيما يرويه . من ذلك،  
مثلا ، حين ينقل عن القالي البيت التالي (١) :

فما نقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساغ لي بين الجوانح يبق  
فيخلق البكرى قائلا :

" هكذا رواه ابو علي ، وما يجمع بين الاوى والنعام ، كيف يقر على نفسه  
بالهجران وهو يدعي من شدة الوجد وزفرات الحب ما يدعيه . والرواية الصحيحة :

فما نقت طعم النوم منذ نأيتم ... "

ومن ذلك ايضا : " وقال ابو علي ان أصل العثل في قولهم : سبق

السيف العذل ، للحارث بن ظالم ، وهذا وهم ، وانما اصله لضمة بن أد  
والمقتول الحارث بن كعب " (٢) .

غير ان البكرى لم يكن دائم التوفيق في استقصائه واعتراضاته ويؤخذ عليه

في هذا المجال ملاحظات منها :

انه اخذ على القالي في كثير من الاحيان وقوعه في اوهام يعود " اكثرها . .

على اشياخ القالي كابن دويد وغيره " (٣) .

وهناك امثلة كثيرة على خلاف البكرى مع القالي ، في غير موضع

للخلاف ، حين يختار البكرى رواية ما ويرفض الرواية التي اختارها القالي مع ورود  
الروایتين وجوازهما .

- 
- (١) اللآلي : ١٣٠ .  
(٢) المصدر نفسه : ٣٢٤ .  
(٣) مقدمة العيماني : س .

والبكرى يتهم القالي في مواضع كثيرة بالخلط بين شعريين مختلفين او  
بتركيب بيت من شطرين متباعدين أو خلاف ذلك من الاوهام التي مرّت بنا حين  
تحدثنا عن كتاب البكرى الذي جعله بعنوان " التبيه على أوهام أبي علي في أماليه " .  
وقد اعترضت البكرى ابيات لم يستطع تخرجهما وردّها الى اصحابها ، او لم يستطع  
تفسيرها وذكر مناسباتها . وكان في مثل هذه الاحوال يترك فراغا ليدل به على ان  
هناك خلافا لم يستطع ان يصلحه اولم يتسن له ذلك . ومثل هذا نجده في النسخة  
المطبوعة حيث نجد العبارة التالية : " بقي كلام المؤلف هنا قدر سطرين مبيض في  
الأم " (١) .

ورغم ما قد يؤخذ على البكرى من حماسة ومن شطط احيانا في معالجته  
لعمل القالي ، ورغم ما قد يكون في شرحه من غرور ونقص وخطأ احيانا ، فانه قد  
بذل مجهودا عظيما وتقصّى واعطانا فوائد كثيرة ، بما بين من غوامض الاحداث ، وبما  
شرح من شتى المناسبات . وكان على الغالب امينا في علمه ، صابرا في تتبع  
شوارد العلم والادب والتاريخ واللغة .

٢ - ابن السيّد البطليوسي (٢) وكتابه " شرح السقط " و " الاقتضاب "

أ - سيرة ابن السيد :

هو عبد الله بن محمد بن السيّد البطليوسي نسبة الى

بطليوس . ولد فيها سنة أربع وأربعين وأربعمائة ( ١٠٤٨ م ) .

(١) السالكى : ٤٤٨ .

(٢) انظر ترجمته في الصلة ١ : ٢٨٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، قلائد العقيان :

١٩٣ ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجوزى ١ : ٤٤٩ ، معجم البلدان

٢ : ٤٤٢ ، بغية الوعاة : ٢٨٨ ، كشف الظنون : ٤٨ ، شذرات الذهب

٤ : ٦٤ ، الديباج المذهب : ١٤٠ ، ازهار الرياض ٣ : ١٠١ - ١٠٢ .

ومع ان بطليموس هي المدينة التي ولد فيها وانتسب اليها ، الا انها لم تكن أساسا مقاما للاسرة فان " شلب بيخته ، ومنها كانت حركة أبيه ونهضته ، وفيها كان قرارهم ، ومنها نسم آسهم وعرارهم ، ونسب الى بطليموس ، لمولده بها " (١) .  
 على أية حال ، لسنا نملك من الاخبار ما يعيننا على استكشاف نشأة ابن السيد ، لذلك لا نستطيع ان نحدد متى ترك بطليموس ، ولماذا تركها . وقد توجه أول الأمر الى مدينة قرطبة وسكنها لفترة من الزمن أيام محمد بن الحاج (٢) . غير انه ورط نفسه بهوى ثلاثة صبيان من اولاد أحد المتقذين ، وخاف على نفسه منه ففر من قرطبة وخرج الى بلنسية (٣) . ويبدو ان المقام في بلنسية كان اكثر هدوءا واستقرارا ، فلم يضطر الى الانتقال الى بلد جديد ، بل مكث هناك ، " وألف بها تواليفه الى ان توفي " (٤) . وكانت وفاته سنة احدى وعشرين وخمسائة (١١٢٢ م) .

ودرس ابن السيد في اول الامر على أخيه علي بن محمد (٥) . غير انه كان له اساتذة آخرون فقد روي عن ابي بكر عاصم بن ايوب الأديب ، وعن ابي سعيد الوراق ، وابي علي الغساني وغيرهم (٦) . وقرأ على عبد الله بن محمد بن خلف الداني (٧) .

وقد درس عليه تلامذة كثيرون وعرف بانهم " كان حسن التعليم جيد

- 
- (١) أزهار الرياض ٣ : ١٠٥ .  
 (٢) انباء الرواة ٢ : ١٤٢ ، بخية الوعاة : ٢٨٨ .  
 (٣) انباء الرواة ٢ : ١٤٢ - ١٤٣ ، بخية الوعاة : ٢٨٨ .  
 (٤) انباء الرواة ٢ : ١٤٣ .  
 (٥) الصلاة ١ : ٢٨٢ ، الديباج المذهب : ١٤٠ .  
 (٦) الصلاة ١ : ٢٨٢ ، الديباج المذهب : ١٤٠ - ١٤١ .  
 (٧) غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري ١ : ٤٤٩ .

التلقين ثقة ضابطا ، أخذ الناس عنه وانتفعوا به " (١) وشهر بالاستاذية في النحو  
والعربية فكان الناس يقصدونه " ويقرآن عليه ويقتبسونه منه " (٢) .

وقد امتدحه كثيرون وقالوا عنه انه " النحوى اللغوى صاحب التصانيف  
والشعر " (٣) ، وانه " الامام المشهور في اللغة والعربية " (٤) وانه " كان عالما  
بالآداب واللغات مستبحرا فيهما ، متدما في معرفتهما واتقانها " (٥) . غير ان آخرين  
بالغوا في المدح واطنوا في الثناء فجاء في كتاب المقرئ التلمساني انه " الفقيه  
الحافظ ، الامام الاوحد " (٦) ، وانه " من حيث كان فقد طبق الأرض علما ، وملاها  
ذكاء وفهما " (٧) . وقال عنه ابن خاتقان : " شيخ المعارف وامامها ومن في يديه  
زامها ، لديه تتشد ضوال الاعراب وتوجد شوارد اللفظة والاعراب الى مقطع دمث  
ومنزع في النفاسة غير منتكث . . . . . وقد نصب نفسه لاقرأ علوم النحو وقع بتفسيهم  
جوه بعد الصحو . وله تحقق في العلوم الحديثة والقديمة وتصرف في طرقها  
القيمة ، ما خرج بمعرفتها عن مضمار شرع ولا نكب عن أصل للسنة ولا فرع " (٨) .  
وواضح ان ابن خاتقان يخلط هنا بين علم ابن السيد وأخلاقه ، ويحاول ان يبرز معرفته  
بالعلوم الحديثة دون ان يورطه بتهمة التكبر عن الدين . ومن اقتباسنا السابقة  
نستطيع ان ندرك ان اللفظة والدراسات اللغوية هي التي استأثرت باهتمام ابن السيد .

(١) الديباج المذهب : ١٤١ .

(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ .

(٣) معجم البلدان ٢ : ٤٤٧ .

(٤) غاية النهاية ، ابن الجزرى ١ : ٤٤٩ .

(٥) الصلة ١ : ٢٨٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، الديباج المذهب : ١٤١ ، انباء

الرواة ٢ : ١٤١ ، شذرات الذهب ٤ : ٦٤ - ٦٥ ، بغية الوعاة : ٢٨٨ .

(٦) ازهار الرياض ٣ : ١٠٥ .

(٧) المصدر نفسه

(٨) قلائد العقيان : ١٩٤ .

ولكنه كان مكثرا من الشعر والترسل . ودراسة هذا القدر الكثير الذي تبقى من أدبه يخرجنا الى غير ما تصدنا له في هذه الرسالة .

### ب - شرح سقط الزند : \*

ذكرت فقرة من المترجمين هذا الكتاب (١) ، وامتدحه بعضهم وقالوا ان ابن السيد " شرح سقط الزند لابي العلاء المعري شرحا استوفى فيه المقاصد وهو أجود من شرح ابي العلاء صاحب الديوان الذي سماه ضوء السقط " (٢) . وقد رتب ابن السيد قصائد المعري حسب ترتيب المغاربة لحروف الابدائية (٣) .

وهذا الترتيب الذي اتبعه ابن السيد أخرجه أحيانا عن ديوان السقط لعدم توفر القوافي التي تسد الحروف كلها . وفي ذلك يقول : " فاحتجت لذلك ان أزيد فيه ما يفي بالفرض " (٤) ، وكان لا بد لكي يفي بالفرض ان يزيد القوافي التالية :  
الهاء ، الخاء ، الذال ، الشين ، الصاد ، الظاء ، الخين ، الهاء ، من غير سقط الزند . ومع ذلك فانه لم يشرح كل ما شرحه الآخرون من ديوان السقط بل ترك أحيانا مقطوعات دون شرح كما هو الحال في المقطوعة التي مطلعها (٥) :

أعاض منن اورد البحر زوده فلما تروّت سار شوفا الى نجد

- 
- \* انظر تعليق الاستاذ محمد سليم الجندى على هذا الشرح : الجامع في اخبار ابي العلاء المعري وآثاره : ٧٧٠ ، ط ١٩٦٣ .
- (١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، شذرات الذهب ٤ : ٦٥ ، انباء الرواة ٢ : ١٤٢ ، بنية الوفاة : ٢٨٨ ، كشف الظنون : ١٩٢ .
- (٢) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ . وانظر أيضا : كشف الظنون : ١٩٢ ، شذرات الذهب ٤ : ٦٥ .
- (٣) ان نشر هذا الشرح مع شركين آخرين اقتضى من المحققين اعتماد أقدم الشروح وبذلك اضطرب الترتيب الذي اختاره المؤلف (انظر مقدمة التحقيق ص : ل )
- (٤) شرح سقط الزند ١ : ١٥ .
- (٥) المصدر نفسه ١ : ٣٩٠ - ٣٩١ .

ويمتاز أسلوب ابن السيد في شرحه انه يعتمد السجع والترادف في العبارات .  
غير ان هذا السجع ليس متكلفا مستثقلا ، وانما يأتي مقبولا اذا قارناه بأساليب الكثيرين  
من تلك العهود . يقول في شرح هذا البيت :

وتوقّ أمر الخانيات فانه أمر اذا خالفته لم تقدم

: " احسن الفوارس همة من لا غرض له الا أخذ المغانم ، واعلاهم همة من غرضه  
اقتناء الكرام ، فلا ترض لنفسك الا بأعلى العراتب ، ولا تكسب الا أسنى المكاسب .  
واحذر امر النساء ، فان الميل اليهن يُعوق عن الترتي الى الرتب السامية ، وينيل  
الخطط العالية " (١) .

ويذهب ابن السيد كثيرا الى المقارنة بين ابيات ابي العلاء وما يتقابلها  
من أبيات المتبّي ، فالمتبّي مائل أبدا <sup>لهينه</sup> ~~لصينه~~ ولهذا سببان أولهما أن ابن السيد  
قام بشرح ديوان ابي الطيب . وثانيهما أن أبا العلاء نظم سقط الزند وهو ما  
يزال تحت تأثير المتبّي وطريقته الشعرية (٢) . غير انه لا يكفي بعرض السقط  
على ديوان المتبّي بل يذهب الى مقارنة بأشعار شعراء آخرين كلما وجد المعاني  
متقاربة أو يجعل بعض شعره مفسرا لبعضه الاخر وبذلك يظهر اطلاعه وتعمقه في  
رواية الشعر (٣) .

وكان لا بد لهذا الشرح من ان يعكس صورة ابن السيد النحوي اللغوي ،  
اذ تكثر فيه المسائل النحوية والتعرض للتحقيقات اللغوية . مثال ذلك ، حين يشرح  
بيت ابي العلاء :

- (١) شرح سقط الزند ١ : ٣٢٢ - ٣٢٨ .  
(٢) انظر اعتماد ابن السيد على المقارنة بالمتبّي في ص : ٩٩ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٠٨ وغيرها كثير  
(٣) انظر أمثلة من ذلك : ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٢١ ، ٢٣٩ ، ٢٠٠ الخ .

ويضحى والحديد عليه شك وتكفيه مهابته المنزلا

فانه يقول : " يقال رجل شك في السلاح ، منقوص على وزن قاض ، وشك بضم الكاف والتخفيف ، وشاك بضم الكاف والتشديد . فمن كسر الكاف وجعله منقوصا مثل قاض فيه وجهان : أحدهما ان يكون مقلوبا من شاك كما قالوا جرف هار ، وأصله هائر . والثاني ان يراد به شاك ، وهو فاعل من الشكة ، فأبدلت الكاف الثانية ياء ، ثم أعلّ كما أعلّ قاض ... " (١).

ومن الطبيعي ان يعتمد كل شاح على الاستشهاد بما يقوى رأيه او موقفه ولذا فان شح السقط كثيره من كتب الشرح مملوء بالشواهد الموضحة من آيات واحاديث وامثال وتفسيرات لفظية واختلاف في الآراء حول اللفظة الواحدة أحيانا ، مع ذكر لصاحب الرأي المعتمد . الا أن نسبة الآراء الى قائلها قليلة لديه ومن هذه المواضع النادرة قوله : " . . . والبرود الثياب . وقال ابو حاتم : لا يقال لها برود حتى يكون فيها وشي " (٢) ، وقوله : " والعصرم : الجيش الكثير ، في قول الاصمعي ، والشديد ، في قول ابي عبيدة . " (٣) .

### ج - الاقتضاب في شح أدب الكتاب :

ذكر اكثر الذين ترجموا لابن السيد كتابه " الاقتضاب فسي

شح أدب الكتاب " ، وقالوا عنه انه " شح مفيد جدا " (٤) . وقد عرفه بعضهم

- 
- (١) شح سقط الزند ١ : ٦٦ . وانظر كذلك : ١ : ١٣٤ ، ١٦٤ ، ٢١٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٩ ، ٢٩١ ، ٣٣٠ السخ . . . .
- (٢) شح سقط الزند ١ : ٣٠٥ .
- (٣) المصدر نفسه ١ : ٣٣١ ، وانظر ١ : ٣٤١ ومواضع أخرى .
- (٤) كشف الظنون : ٤٧ .

باسم " الاقتضاب في شرح آداب الكتاب " (١) او " شرح أدب الكاتب " (٢). وقد كان ابن السيد أحد شراح اندلسيين كثيرين تناولوا كتاب ابن قتيبة بالشرح ولا ندرى كم أفاد من شرح من سبقه ولكن ابا عبد الله بن خبطة النحوي كتب رسالة ناقض فيها البطلليوسي واتهمه بانه أغار على شرح لابن بلال المرسي وانتحلته لنفسه وسماه بالاقتضاب (٣)، ولا ندرى مبلغ الانصاف في هذا القول ولكن يبدو أنه من قبيل المغايرة بين المتعاصرين . وتظهر الغاية من تأليف الكتاب واضحة في الجزء الثاني منه . فابن السيد في هذا الجزء يتتبع ابن قتيبة في اكثر من نوع من أنواع الخطأ فقد جعله " في التتبيه على ما غلط فيه واضع الكتاب . . " (٤) .

فالفكرة الرئيسية في الكتاب هي تتبع اغلاط ابن قتيبة وأوهامه ومتناقضاته . غير ان هناك القسم الأول في شرح خطبة ابن قتيبة ، والقسم الاخير في شرح ابيات كتابه . وهذا يعني أن الكتاب يقع في ثلاثة اقسام :

- ١ - " تفسير خطبة الكتاب الموسوم بأدب الكتاب وذكر اصناف الكتبة ومراتبهم وجل ما يحتاجون اليه في صناعتهم " (٥) .
- ٢ - " والجزء الثاني في التتبيه على ما غلط فيه واضع الكتاب او الناقلون عنه وما منع منه وهو جائز " (٦) . وفي هذا الجزء يتحدث في " نكت من هذا الديوان يجب التتبيه عليها والارشاد اليها " (٧) .

(١) الديباج العذوب : ١٤١ .  
 (٢) بغية الوعاة : ٢٨٨ .  
 (٣) التكملة : ٢٠ .  
 (٤) الاقتضاب : ٢ .  
 (٥) المصدر نفسه : ٢ . ( ١٠٥ - ٢ )  
 (٦) المصدر نفسه : ٦ . ( ٢٨٦ - ٦ )  
 (٧) المصدر نفسه



٣- والجزء الثالث في شرح آياته . وهو ها هنا يتحدث في " مشكل اعراب آياته ومعانيها وذكر ما يحضر ٠٠٠ من أسماء ظالمها " (١).

ويبدو واضحا في هذا التقسيم الهدف التعليمي للمؤلف، لكنه أيضا معلم عالم فهو لا يكتفي بالشرح وإنما يتتبع الخطأ حيث وجده ويحاول الوصول الى وجه الصحيح . وهذه هي ضروب الخطأ التي تعقبها :

١- المواضع التي غلط فيها ابن قتيبة فنبه ابن السيد عليها . ففي باب " ومن المصادر التي لا افعال لها " (٢) يقول ابن السيد : " ترجمة هذا الباب مخالفة للكثير مما تضمنه لأنه ذكر فيه مصادر لها أفعال مستعملة . فمنها قوله : رجل غمر أى لم يجرب الامور بين الغمارة من قوم أغمار . وهذا له فعل مستعمل ، يقال : غمر الرجل غمارة على مثال قبح قباحة " (٣) . " ومنها قوله كلبة صارف بينة الصريف وناقاة صروف بينة الصريف ، فهذا له فعل مستعمل أيضا ، يقال : صرفت الكلبة " (٤) . مثال آخر على ذلك نجده حين يتتبع تفسير ابن قتيبة لبيت عمرو بن قميئة :

" بودك ما قومي علي ان تركتهم سليمان اذا هبت شمال وريحها  
وقال معناه على ودك " (٥) يقول ابن السيد : " كذا قال يعقوب في كتاب المعاني ومنه نقل اكثر هذه الابواب . وقد غلط يعقوب في معنى البيت واتبعه ابن قتيبة على غلظه . وليس في هذا البيت حرف ابدل من حرف ، ولا ما فيه

(١) الاقتصاب : ٢٠٢ ( ٢٨٧ - ٤٧٧ )

(٢) المصدر نفسه : ١٨٢ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

زائدة على ما قال . انما الباء ها هنا بمعنى القسم وما استفهام في موضع رفع على الابتداء ، وقوي خبره . والمعنى بحق المودة التي بيني وبينك اى شي " تومي في الكرم والجود عند هبوب الشمال ، يريد زمان الشتاء .. " (١).

٢- تتبع اضطراب ابن قتيبة حين يجيز في موضع من كتابه ما منه في موضع آخر . مثال ذلك : " وقال في هذا الباب : أغامت السماء وأغيمت وتغيمت وغيمت ، ولم يجز غامت . قال المفسر : قد أجاز في باب فعلت وأفعلت باتفاق المعنى : غامت السماء وأظمت ، ونسي ها هنا ما قاله هناك " (٢). مثال ذلك أيضا : " وقال في هذا الباب وهو بثق السيل وهو ملك يميني . قال المفسر : قد ذكر في باب ابنية الاسماء من كتابه هذا انه يقال بثق وبثق وملك وملك ، ونسي ها هنا ما قاله هناك " (٣).

٣- أشياء جعلها من لحن العامة " وعول في ذلك على ما رواه ابو حاتم عن الاصمعي وأجازها غير الاصمعي من اللغويين كابن الاعرابي وابي عمر الشيباني ويونس وابي زيد وغيرهم . وكان ينبغي له ان يقول ان ما ذكره هو المختار او الافصح ، او يقول هذا قول فلان ، وان لا يجحد شيئا وهو جائز من أجل انكار بعض اللغويين له ، فيقول ذلك رأى غير صحيح ومذهب ليس بسديد " (٤). ومن امثلة هذا النوع من انواع التتبع : " وقال في هذا الباب - باب مالا يهمز والعوام وتهمزه - علفت الدابة ولم يجز أعلفتها . قال المفسر : قد حكى ابواسحاق

- 
- (١) الاقتصاب : ٢٥٢ . وانظر : ٢٣٠ ومواضع اخرى كثيرة .  
 (٢) المصدر نفسه : ١٩٢ .  
 (٣) المصدر نفسه : ٢٠٥ ، وانظر أيضا : ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،  
 السنخ ..  
 (٤) المصدر نفسه : ١٠٦ .

الزجاج ، علفت الدابة وأعلقتها " (١) . مثال ذلك أيضا في " باب ما جاء بالطرد وهم - اي العامة - يقولونه بالسين " : " وقال في هذا الباب بخصت عينه بالصاد ولا يقال بخستها ، انما البخن النقصان . وذكر صنجة الميزان والصنخ والصندوق وصبق الرجل وبزق ، ولم يجز السين في شيء من ذلك . قال المفسر : هذه الاشياء كلها تقال بالصاد والسين . حكى ذلك الخليل وغيره . فاما البخن الذي يراد به النقصان ، والسنجة التي يراد بها مشاقة الكتان فبالسين لا غير " (٢) .

وبلاحظ ان ابن السيد في هذا المثل الأخير ، وفي امثلة اخرى كثيرة ، يتجنى على ابن قتيبة ويحتج عليه بروايات شاذة . وابن السيد نفسه يعترف بذلك في مواضع اخرى ، ففي " باب ما جاء بالسين وهم - اي العوام - يقولونه بالصاد " : " قال في هذا الباب : اخذته قسرا ولا يقال قسرا . وقد قصره اي حبسه . ومنه : حور مقصورات في الخيام ، فاما القسر فهو القهر . قال المفسر : هذا الذي قاله هو المشهور . وقد حكى يعقوب اخذته قسرا وقصرا بالسين والصاد بمعنى القهر " (٣) . فالذي ذكره ابن قتيبة ، ان ، هو ، باعتراف ابن السيد ، المشهور .

٤- النوع الرابع والاخير من انواع الخطأ التي يتتبعها ابن السيد تلمسك المواضع التي وقعت غلطا في رواية ابي علي البغدادي " فلا أعلم أهي غلظ من ابن قتيبة أم من الناقلين عنه " (٤) ، وقد اشرت اليها في الفصل السابق ومن امثلتها أيضا ما جاء في " باب النبات " (٥) ، " وقال في هذا الباب : الزرجون الكرم ،

(١) الاقتصاب : ١٩٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٠٤ . وانظر كذلك في هذا المجال : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،

١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ ، السخ ...

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٣ .

(٤) المصدر نفسه : ١٠٦ .

(٥) المصدر نفسه : ١٢٨ .

وقال الاصمعي : هو الخمر ، وهو بالفارسية زرگون ، اى لون الذهب . قال  
المفسر : كذا روى ابو علي البغدادي زرگون بتشديد الراء . وقال كذا اقراييه  
ابو جعفر ابن قتيبة . والصواب تسكينها ، ومعنى زر : ذهب ، ومعنى كون :  
لون ، كأنه قال : لون الذهب " (١).

وهو في كل هذا يسير وفق ترتيب ابن قتيبة فيتبعه بابا بابا : " وانا  
شارع في تبين جميع ذلك وترتيبه على ابواب الكتاب ، بحسب ما أحاط به علمي  
وانتهى اليه فهني " (٢).

ويأتي ابن السيد بالمبارة التي يعترض عليها ، ثم يشفعها بعبارة " قال  
المفسر " - كما شاهدنا في الامثلة السابقة - موردا موضع الاعتراض .

وابن السيد يرد الاقوال والآراء الى أصحابها . لذلك فان الاسماء تتردد  
كثيرا : " .. هذا الذي قاله ابن قتيبة هو المشهور عن الاصمعي وغيره ممن  
اللغويين . وقد حكى ابو زيد الانصاري وذكر تاسم بن أصبح عنه يقال : تصدق  
اذا سأل . وحكى نحو ذلك ابو الفتح بن جني وانشد :

ولو أنهم رزقوا على اقدارهم الفيت اكثر من ترى يتصدق

وذكر ابن الانباري أيضا في كتاب الاضداد ان المتصدق يكون المعطي ويكون السائل،  
وحكى نحو ذلك صاحب كتاب العين .. " (٣) . وهذا الحشد من اسماء اللغويين  
يصحبه ، ولكن في أحيان قليلة نسيها ، ذكر لاسماء المؤلفات ، كما وجدنا في المثل  
السابق ، وكما يمكن ان نجد في مواضع اخرى . (٤)

(١) الاقتضاب : ١٢٩ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٦ .

(٣) المصدر نفسه : ١١٠ .

(٤) انظر مثلا : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، الخ ..

وتتردد عبارة " بعض اللغويين " (١) ، او " غيره من اللغويين " (٢).

وربما كانت اهم ظاهرة تنتظم هذا الكتاب تلك التي تتعلق بالتحقيقات اللغوية والنحوية والصرفية . فابن السيد لا يترك فرصة تمر دون ان يسجل ملاحظة نحوية او صرفية ، او يسجل او يشرح ظاهرة لغوية . وتبدو لنا هذه الناحية في أول كلمة يقولها : " قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : اما بعد حمد الله بجميع محامده ، اما حرف اخبار يدخل على الجمل المستأنفة ، ويتضمن معنى حرف الشرط والفعل المشروط به ولذلك احتاج الى الجواب بالفاء كما يجاب الشرط . . " (٣) . ومثال ذلك أيضا : " . . . . . معلف بفتح الميم وكسر اللام لانه مكان للاعتلاف وكل فعل على وزن فَعَلَ يَفْعَلُ بفتح العين من الماضي وكسرها من المستقبل فان اسم العكان والزمان منه مفعل بكسر العين كالمضرب والمغروس " (٤) .

ونستطيع ان نجد ، ها هنا أيضا ، مجالا للروايات والاخبار والطرائف . ومع ذلك فان المجال لم يكن واسعا في القسمين الاولين وانما معرض ذلك الصالح له هو القسم الثالث حيث شج الشواهد ، والحديث عن مناسباتها وناظيها ، وما الى ذلك .

(١) الاقتضاب : ١٤٥ ، وغير ذلك من المواضع .

(٢) المصدر نفسه : ١١٠ ، وغير ذلك من المواضع .

(٣) المصدر نفسه : ٢ .

(٤) المصدر نفسه : ١١٦ . وانظر كذلك : ١١٨ ، ١٢٨ ، ومواضع اخرى كثيرة .

(٢) الاتجاه الى التأليف المعجميابن سيده ومعجماء : المخصص والمحكم

أ- سيرة ابن سيده (١)

وبما كان ابن سيده من اكثر علماء اللغة الاندلسيين الذين لا قوا شهرة واسعة ، وانتشرت مؤلفاتهم في الاندلس وخارجها . وسوف يظهر لنا مدى استحقاقه لمثل هذه الشهرة اثناء البحث في حياة هذا العالم الجليل وفي مؤلفاته .  
يكفي ان نلم هنا بقول صاحب المغرب : " لا يعلم بالاندلس اشد اعتناء من هذا الرجل باللغة ، ولا اعظم تواليف ، تفخر مرسية به اعظم فخر ، طرقت به برود الدهر ، وهو عندي فوق ان يوصف بحافظ أو عالم " (٢) .

اوردت المصادر اسم ابيه وجده فحسب فهو علي بن اسماعيل بن سيده ، حتى بالنسبة لاسم جده فليس من الواضح تماما هل هو جده المباشر ام هو احد الاجداد البعيدين ؟

على اية حال فان اسم جده او لقبه يمكن ان يشير الى اصل هذا العالم

وابن سيده لم يكن - في الغالب - من اصل عربي ، بداليتين : الاولى ، انقطاع سلسلة (١) ترجمته في : الصلاة ٢ : ٣٩٦ - ٣٩٧ ، طبقات الامم : ٧٧ ، جذوة العقبس ، ٢٩٣ - ٢٩٤ ، المغرب ٢ : ٢٥٩ ، الديباج المذهب : ٢٠٤ - ٢٠٥ ،  
وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، انباء الرواة ٢ : ٢٢٥ - ٢٢٧ ، مطمح الانفس : ٦٠ ،  
نكت الهميان : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، بخية الوعاة : ٣٢٧ ، نفع الطيب ٤ : ٣٥١ ،  
مرآة الجنان ٣ : ٨٣ ( حوادث سنة ٤٥٨ / ١٠٦٦ ) ، شذرات الذهب ٣ :  
٣٠٥ - ٣٠٦ ، لسان الميزان ٤ : ٢٠٥ - ٢٠٦ ، تاريخ ابي الفدا ٢ : ١٨٦  
( اخبار سنة ٤٥٨ / ١٠٦٦ ) . وانظر : بروكلمان ( ليدين ، ١٩٣٧ ) :  
الملحق ١ : ٥٤٢ .

(٢) المغرب ٢ : ٢٥٩ .

النسب عند ابيه او جده على الاكثر ، والثانية ، هذه الصيغة " سيده " فانها اقرب الى ان تكون اعجمية . " وسيده بكسر السين المهملة ، وسكون الياء العشاء من تحتها وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة " (١) .

ومع ان اكثر المراجع رأيت انه علي بن اسماعيل ، فان مراجع اخرى رأيت بانه علي بن احمد (٢) ، والرأى الاول أشهر . وهناك من ذكر الاسمين (٣) . وذكر آخرون ان اسم ابيه محمد (٤) .

ولم يذكر المؤرخون صراحة البلد الذي ولد فيه ابن سيده ، ولكن اتفق أصحاب التراجم على انه من اهل مرسية . ومن العسير ان نجزم بانه ولد هناك ، غير انه ليس عندنا من الدلائل ما يشير الى ولادته في غير هذا المكان . واكثر من ذلك فان الاخبار عن والد ابن سيده تذكر بانه " من اهل مرسية " (٥) . ثم هناك تلك الحادثة المشهورة بين ابن سيده وابي صر الظلمني التي وقعت في مرسية .

ويمكننا ، بصورة تقريبية ، ان نحدد سنة ميلاد ابن سيده . فلقد توفي ، حسب الرأى الغالب ، عام ٤٥٨ / ١٠٦٦ (٦) ، واتفق اصحاب التراجم الذين ذكروا سني حياته انه عاش ستين سنة او نحوها (٧) . وبذلك نستطيع ان نقول ان مولده كان في حدود عام ٣٩٨ / ١٠٠٨ .

- 
- (١) وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٦ .  
 (٢) مطمح الانفس : ٦٠ ، نفع الطيب ٤ : ٣٥١ ، جذوة العقبس : ٢٩٣ .  
 (٣) انباء الرواة ٢ : ٢٢٥ .  
 (٤) بغية الوعاة : ٣٢٢ ، نكت الهميان : ٢٠٤ .  
 (٥) ابن بشكوال ١ : ١٠٥ .  
 (٦) انباء الرواة ٢ : ٢٢٢ ، نكت الهميان ، الصفدى : ٢٠٤ ، بغية الوعاة : ٣٢٢ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٥ .  
 (٧) انباء الرواة ٢ : ٢٢٢ ، بغية الوعاة : ٣٢٢ ، نكت الهميان : ٢٠٤ .

واما الاخبار عن ابن سيده فانها قليلة للخاية . وهي لا تتناسب قطع  
 الشهرة الواسعة التي نالتها مؤلفاته العظيمة . والواقع ان ابن سيده سليل اسرة  
 مثقفة . فابوه من قبل كان عالما ، وقد تتلمذ الفتى ، اول ما تتلمذ ، على يديه .  
 وهناك خبر او خبران يعطياننا صورة عن ابن سيده بعد ان يكون قد  
 اكتمل علمه وذاع امره . فاول صورة نعرفها عنه ، صورة العالم الحافظ المشهور،  
 الذي يحتز به اهل مدينته ويفخرون به الزائرين من العلماء . والرواية التي  
 رويت على لسان ابي عمر الطلمنكي تبرز هذا الجانب من شخصية ابن سيده : "وقال  
 ابو عمر الطلمنكي : دخلت مرسية فتشبت بي اهلها يسمعون علي الخريب العصف ، فقلت :  
 انظروا من يقرأ لكم ، وأمسكت انا بكتابي ، فأتوني برجل اعى يعرف بابن سيده ،  
 فقرأ علي من أوله الى آخره ، فصجبت من حفظه " (١) . وقد اوردت المراجع هذه  
 الرواية <sup>لتحضر</sup> بصور مختلفة .

وابرز ناحية تميزت بها شخصيته - وكان لها أثر كبير في حياته - ولادته  
 كيف البصر لأب كيف ، فقد كان اعى بن اعى (٢) . وربما كان لهذه الناحية أثر  
 في تكوين ابن سيده العقلي ، وقوة ذاكرته . وتشهد له كتبه بالذكاء والفتنة ،  
 كما ان المؤرخين امتدحوه واطنبوا في امتداحه ، فلقد " كان نادرة وقته " (٣) وهو  
 " احفظهم - احفظ علماء الاندلس - حتى انه يستظهر كثيرا من المصنفات . .  
 كخريب العصف واصلاح المنطق " (٤) .

- 
- (١) نفع الطيب ٤ : ٣٥١ .  
 (٢) المصدر نفسه ، وذكر ذلك أصحاب التراجم الاخرون الذين ترجموا لابن  
 سيده او ترجموا لابييه .  
 (٣) انباء الرواة ٢ : ٢٢٥ .  
 (٤) طبقات الامم : ٧٧ .



وهناك ناحية من شخصيته تعرض لها واحد فقط من المترجمين هو ابن حجر العسقلاني صاحب لسان الميزان ، فإنه ينقل عن اليعاقبة بن حزم قوله : " انه كان يرى رأى الشعوبية فيفضل العجم على العرب " (١) . ولا نعرف بالضبط ما لهذا الكلام من قيمة ، لأن الرواية بهذه الصورة غير وافية بالغرض . وهي رواية لم تتكرر عند غيره من العلماء ، - فيما أعلم - ولكن على كل حال ربما كان مثل هذا التفضيل ، لو وجد ، سببا آخر يدعوننا الى الاعتقاد بأن ابن سيده غير عربي الأصل . ولكن نحن لا نعرف الظروف التي برز فيها مثل هذا التفضيل ، وربما كان الامر لا يتعدى رد فعل لحادثة معينة او لاكثر من حادثة . وهو لا يعني ، بطبيعة الحال ، لصوق تهمة الشعوبية به .

وانا لنلمح في حديث ابن سيده اعجابا شديدا بنفسه ، كما نلمح فيه قليل المحم ، سريع الغضب ، شتام ، هجاء ، لاذع النقد اذا تحدث عن نشأته ، حدة في الحكم على الناس . وذلك واضح في أرجوزته ، فهو امرؤا قال انه نشأ " بين أناس لولا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ولولا الحسن ما حكمت عليهم بالحيوانية " (٢) .

وأوضح مرحلة من مراحل حياته هي تلك التي اتصل فيها بمجاهد العامري منتقلا عن وطنه الأصلي الى دانية . وقد كان المتوقع أن يكون لجوءه الى كنف أمير مثل مجاهد مخفقا لما في نفسه من نقمة على الناس ، ولكنه كان يحس بالقلق الشديد وتفاوت الحظوظ فهو يصف موطنه الجديد بأنه " سبخ زهرة وشطان بحار زهرة ، أوحش بلاد الله غربة وأخبشها غصيرين : هواً وترية " (٣) . ثم نجد انه ينحي على الناس فيها بأنهم شديداو الخصومة " لا تسمع منها الا تسعير كذا

(١) لسان الميزان ٤ : ٢٠٦ .  
 (٢) المحكم ١ : ١٦ .  
 (٣) المصدر نفسه

بكذا . . . يتطرحون على الدرهم والدينار ولا يتوقنون قبح الاحدوثة ولا انتشار العار" (١)، ويفيظه أن يجدهم منعمين بالقيمان والجنان والقصور : كل هذا مع اعترافه بانعام الموفق - مجاهد - الذي أثار بذلك الانعام حسد الحساد وغيظهم . " ولما مات الموفق رآش جناحه ومثبت غرره واوضحه خاف من ابنه اقبال الدولة وأطاف به مكروه بعض من كان حوله للطلب كحيات مساوره ففر الى بعض الاعمال المجاورة" (٢)، وارسل من منفاه قصيدة يستعطفه فيها أولها : (٣)

ألا هل الى تقبيل راحتك اليمنى سبيل فان الامن في ذاك واليمننا

فحفا عنه ، و " وقع له الرضى عنه عند وصولها اليه ، فوجع " . ويبدو ان انقطاعه الى الموفق اناده من الناحية العلمية كثيرا ، اذ اتاح له من التفرغ وكفاية العيش ما جعله يهتم بأمر التاليف . فانه في دانية " ادرك امانيه فأثر تجرده للعلم وفراغه وتفرد بتلك الارافة ولا سيما كتابه المسمى بالمحكم فانه ابدع كتاب في اللغة وأحكم " (٤) .

وقد كان لابن سيده حظ في الشعر، ولكن لم يبق من شعره الا قصيدته التي استعطف فيها اقبال الدولة ، والا أرجوزته .

وقد أدركت ابن سيده منيته بدانية (٤٥٨ / ١٠٦٦) ويبدو أنه مات

مفلوجا : " كان يوم الجمعة صحيحا سويا في صلاة المغرب فدخل العتوشا وأخرج منه وقد سقط لسانه وانقطع كلامه وبقي على تلك الحالة الى عصر يوم الاحد ، ثم قضى نحبه" (٥).

اول ما تتلمذ ابن سيده على ابيه . فلقد كان أبوه " من النحاة ومن

(١) المحكم : ١٧ .

(٢) مطمح الانفس : ٦٠ ، وانظر نكت الهميمان : ٢٠٤ .

(٣) جذوة المقتبس : ٢٩٣ ، مطمح الانفس : ٦٠ ، نكت الهميمان : ٢٠٤ .

(٤) مطمح الانفس : ٦٠ .

(٥) نكت الهميمان : ٢٠٥ ، وبعض المصادر تذكر انه توفي سنة ٤٦٠ .

اهل المعرفة والذكاء" (١). وكان لذلك الأب اتصالات علمية اف " لقي ابا بكر الزهيدى وأخذ عنه مختصر العيين" (٢). وقد اتفق العلماء على ان ابن سيده روى عن ابيه ، وبعض المترجمين يجعلون زمن هذه الرواية أيام نشأة الفتى، فقد كان ابوه أيضا قيعا يحلم اللغة وعليه اشتغل ولده في أول أمره" (٣). ونحن نعلم ان ابن سيده ولد في نهاية القرن الرابع للهجرة ومات ابوه بمرسية بعد الاربعاء بمدة (٤) . فالعدة التي درس فيها على والده ليست طويلة - فيما أرجح - فيمكن القول بأن ابن سيده اخذ عن والده وهو صغير ، ثم تركه ابوه يتلقى الزهيد من العلم على آخوين . ويتكرر في المؤلفات ذكر اثنين من العلماء أخذ ابن سيده عنهما ، وهما : ابو عمر الطلمنكي وصاعد بن الحسن البغدادي . وقد يتوقع المرء ان يكون هناك آخرون أخذ عنهم ، غير ان المؤلفات تصمت ازاء ذلك وتكتفي بأن تقول : وقد روى " عن ابي عمر الطلمنكي وصاعد اللخوى وغيرهما " (٥).

وقد تحدثت عن صاعد في ما مضى ، اما ابو عمر الطلمنكي (٣٤٠-٤٢٩) / (٩٥١-١٠٣٨) فهو محدث مفسر وقارئ . ارتحل الى الشرق ثم عاد الى قرطبة يدرس فيها ، ثم انتقل الى المرية فمرسية فسرقطة . ويبدو ان ابا عمر هذا لم يكن يمتاز بعلم الحديث والتفسير فحسب وانما كان كذلك عالما لغويا مقتدرا ، يدلنا على ذلك طلب الناس لمصنفات اللغة عليه واشتهاره بذلك . وربما ساعد على امتيازه

(١) الصلاة : ١٠٥ ، وقد ذكرته في علماء العصر السابق انظر ص : ١٨٧

(٢) الصلاة : ١٠٥ .

(٣) وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٥ .

(٤) الصلاة : ١٠٥ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٩٦ ، وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٦ ،

نكت البهيمان : ٢٠٤ .

في العلوم الدينية ورعه وشدته على البدع . وقد توفي ابو عمر الطلمنكي في طلمنكة (١). وكان اول اتصال بين ابن سيده والطلمنكي يوم ان دخل ابو عمر مرسية وكانت له تلك المقابلة مع الحافظ الاعشى .

واكثر ما اشتهر به ابن سيده اللغة والنحو ، حتى عد اماما حافظا حجة فيهما . وقد ظهرت هذه المقدرة في معجميه المشهورين : المعكّم ، والمخصص . غير انه كان لابن سيده ضروب اخرى من الاهتمام ، من ذلك الاشعار وأيام العرب (٢) . واهتمامه بالاشعار هو جزء من اهتمام العصر ، وقد برز ذلك في كتابه " السواني في علم القوافي " (٣) وفي شرحه للحماسة . واما أيام العرب فلا تعني انه اهتم بالتاريخ بالمعنى الدقيق ، وانما كانت له معرفة بشيء من اخبار العرب واحداث حياتهم .

وقد وجه ابن سيده شيئا من عنايته الى المنطق ، " كان مع توفره على علوم العربية ، متوافرا على علوم الحكمة والف فيها تواليف كثيرة " (٤) وذلك شيء قد ذكرته في غير هذا الموضع . ويصعب في الواقع البحث في هذا الأمر لأن هذه التواليف الكثيرة لم تصلنا ، وانما

(١) انظر : الديباج المذهب : ٢٩ ، معجم البلدان ٣ : ٥٤٣ - ٥٤٤ .

(٢) بنخبة الوعاة : ٣٢٧ .

(٣) نكت البهيمان : ٢٠٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٠٤ .

(١) من النصوص الهامة التي عثرت عليها هذه القطعة من الارجوزة التي تحدثت عنها في ثمت المؤلفين ومؤلفاتهم لهذا القرن ، وهي تبين لنا ، بلسان ابن سيده ، ثقافة هذا العالم والاساتذة الذين درس عليهم والمصنفات والعلوم التي قرأها :  
(انظر مجلة المشرق العدد ٣٦ : ١٩٠ - ١٩١) .

قرأت بالوحي وسني اربع  
حتى اذا حلقت بالتنزيل  
ولم ادع لعالم تحبيراً  
فلا ابن عباس اضعت وضعه  
ولا كتاب ابن حميد عيد  
حتى اذا استفضلت بالحجاج  
كتب ابي اسحق ذى المعاني  
وكل ما احمله من سند  
ثم قرأت كتب الموطأ  
ثمت اشبعت من البخارى  
ولم اضح كتب ابي عبيد  
ثم قرأت علم سيبويه  
على ابي عثمان شيخي نافع  
ثمت فاوهت ابا العلاء  
روائي الغريب والاصلاح  
ثمت رقباني الى الالفاظ  
وقد قرأت كتب المجاز  
بعد سماعه في الفقيه  
ثم قرأت كتب الرمانى  
كل كتاب لغة وعييت  
ثم تأملت حدود المنطق

وقبل ست تم عندي اجمع  
نظرت في حقائق التأويل  
الا وقد ظلمت بها خبيراً  
ولا ابن سلام تركت جمعه  
الا انخرت كل ذاك عندي  
قرأت ككُتب كل حبر نجاج  
أوضح به لمشكل القرآن  
عن الفقيه الطلمنكي أحمد  
عليه دون كسل مستبطاً  
رواية ، فتم لي فخارى  
جميعها في ربقتي وقيدى  
لب القواد فهما عليه  
وكان فيه جد حبر بارع  
في كتب الصفات والاسماء  
حتى انار فجرها ولا حيا  
رواية ، فعدت في الحفاظ  
عليه ، من قرموطة الشيرازى  
أحمد ذى التفهيم والتفقيه  
والفارسي وابنه عثمان  
وكل شعر لهم روويت  
ومن يرم حقيقة فلينطق

ومن هذه الابيات يظهر لنا اهتمام ابن سيده بمختلف العلوم ، فلقد درس الفقه والحديث واللغة والمنطق ، حتى برع بهذه الامور جميعها ، وعدد لنا شيوخه المباشرين وغير المباشرين من العلماء الاول . وذكر لنا كيف انه بدأ العلم طفلاً في الرابعة فلما اتم السادسة كان قد اتم حفظ القرآن ، ثم تحول الى العلوم الاخرى . وتجدر الاشارة هنا الى ان كتاب سيبويه كان لا يزال ، في هذا القرن ، المعتمد الاول للدارس اللغوى .

وقد خلط المشاركة بين مؤلفاته ومؤلفات ابن سيد الذي عاش في القرن الرابع فعدت في مؤلفاته ما نسبته من قبل الى هذا الثاني ، من ذلك : شرح كتاب الاخفش ، والعالم والمتعلم على المسألة والجواب ، والعالم في اللغة على الاجناس ، وغير ذلك . ولذا كان الاعتقاد في سرد اسماء كتبه على المشاركة كالصفي وابن حجر والسيوطي أمرا مورطا في الخطأ .

### ب - المخصص (١)

#### ١ - الداعي الى التأليف :

اعجب ابن سيده بالمؤلفات اللغوية التي كتبت من قبله غير انه لم يجدها كاملة فقال : " تأملت ما الفه القداماء في هذه اللسان المعربة الفصيحة وصفوه لتقييد هذه اللغة المتشعبة الفسيحة فوجدتهم قد اورثونا بذلك فيها علوما نفيسة جمّة ، واقتروا لنا منها قلبا خفيفة غير زمة الا اني وجدت ذلك نشرا غير ملتئم ونشرا ليس بمننظم ، اذ كان لا كتاب نعلمه الا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه . ثم اني لم ار لهم فيها كتابا مشتغلا على جلبها فضلا عن كلها ، مع اني رأيت جميع من مدّ الى تأليفها يدا وأصل في توطئتها وتصنيفها منهم ذهنا وعلما قد حرموا الا رتياض بصناعة الاعراب ولم يرفع الزمن عنهم ما أسدل عليهم من كثيف ذلك الحجاب " (٢) . ويبدو لنا ابن سيده من هذا النص معجبا بنفسه ، يتتبع سقطات غيره من اللغويين : " فانا نجدهم لا يبينون ما انقلبت فيه الالف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء ولا يحدّدون الموضع الذي انقلب الالف فيه عن

(١) طبع الكتاب بمصر - المطبعة الكبرى الاميرية في ١٧ جزءا : ١٣١٦ / ١٨٩٩ -  
١٩٠٤ / ١٣٢١

(٢) المخصص ١ : ٧ .

الياء أكثر من انقلابها عن الواو مع عكس ذلك ، ولا يميزون مما يخرج على هيئـة  
المقلوب ما هو منه مقلوب وما هو من ذلك لغتان ، وذلك كجذب وجبذ ويئس  
وأيس ورأى وراء ونحوه مما ستره في موضعه مفصلاً مَحَلِّلاً محتجياً عليه . وكذلك  
لا ينبهون على ما يسمعون غير مهموز مما أصله الهمز على ما ينبغي ان يعتقد منه  
تخفيفاً قياسياً وما يعتقد منه بدلاً سماعياً ولا يفرقون بين القلب والابدال ولا بين  
ما هو جمع يكسر عليه الواحد وبين ما هو اسم للجمع وربما استشهدوا على كلمة من  
اللغة بيت ليس فيه شيء من تلك الكلمة . . . (١).

ولما كان أمر الكتب اللغوية والمعجم السابفة على مثل هذه الحال فقد  
أمل ابن سيده في ان يقدم لنا شيئاً يسد النقص : " فاشرايت نفسي عند ذلك الى  
ان اجمع كتاباً مشتملاً على جميع ما سقط الي من اللغة الا ما لا بال به ، وان أضع  
على كل كلمة قابلة للنظر تعليلها وأحكم في ذلك تفريعها وتأصيلها . وان لم تكن  
الكلمة قابلة لذلك وضعتها على ما وضعوه وتركتها على ما ودعوه تحبيراً أتتـه  
وأرفهه وتعبيراً اتقته وأزخره " (٢).

ولتأليف الكتاب داع آخر ، يقول ابن سيده : " ومبين قبل ذلك لم  
ضعته على غير التجنيس بأني لما وضعت كتابي الموسوم بالمحكم مجسماً لأدل الباحث  
على فطنة الكلمة المطلوبة أردت ان أعدل به كتاباً أضعه مبوباً حين رأيت ذلك  
أجدى على الفصح المدور والبليغ المفوه والخطيب المصقع والشاعر المعجيد المدقح ،  
فانه اذا كان للمسمى اسماء كثيرة وللموصوف أوصاف عديدة تنقى الخطيب والشاعر  
منها ما شاء واتسعا فيما يحتاجون اليه من سجع او قافية على مثال ما

(١) المخصص ١ : ٧

(٢) المصدر نفسه ١ : ٨

نجده نحن في الجواهر المحسوسة" (١).

وهذا بطبيعة الحال هو الوازع الاول لتأليف الكتاب . غير ان ابن سيدة يتبع كلامه هذا بحديث يبرز فيه ما يزعم انه فضل مجاهد العامري في التأليف . ويطلب ابن سيدة اطنابا شديدا في وصف ما لمجاهد من شجاعة وتقوى ومروءة ، وعلم أيضا : " لم تنزل العناية بالعلم تصده ومجالسة الصهرة من حملته وكده حتى فاق كل باع فلقة وناطق قوله ، فأخرج العلم من الفساد الى الكون ومن العدم الى الوجود كما فعل ذلك في غيره من أجزاء الفضائل التي اعلقت به القلوب وأصبت اليه النفوس كالكرم والعدل والعفو .. " (٢) . ولا يقف الامر عند حد التشجيع ، كما يزعم ابن سيدة ، وانما يتجاوز ذلك الى التعليم والارشاد " .. هداية سواء السبيل الى علم كيفية التأليف ورأني كيف توضع لوائح التصنيف وعرفني كيف التخلص الى اليقين .. " (٣) . والواقع ان مثل هذا الكلام ، وهو قليل من كثير ، لا يمكننا ان نأخذه مأخذ الجد . فأولا ، ابن سيدة اخبرنا عن السبب الحقيقي للتأليف ، ذلك ان حاجة في نفسه تحركت بعد ما رآه من نقص في الكتب السابقة ، فحاول استكمال هذا النقص . والكتاب نفسه ينسجه على منوال " الخريب المصنف " ليدلنا على انه من عمل ابن سيدة وحده بخير ارشاد ولا نصائح .

(١) المخصص ١ : ١٠ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٩ .

(٣) المصدر نفسه



## ٢- منهج الكتاب :

ينقسم المصنف الى كتب يبحث كل منها في موضوع محدد ، او ، على

الأقل ، كان يفترض ان يبحث في موضوع محدد : " كتاب خلق الانسان " (١) ، " كتاب الفرائض " (٢) ، " كتاب النساء " (٣) ، " كتاب الخيل " (٤) ، " كتاب الابل " (٥) ،  
السخ ..

وتقسم هذه الكتب ، من حيث المبدأ ، الى ابواب . غير ان هذه الابواب قد تتباين طولاً ، فبينما نراها احيانا تقصر الى نصف سطر (٦) ، نراها في احيان اخرى تشغل صفحات كثيرة (٧) . على ان هذا التقسيم ليس دقيقا دائما . فقد يأتي الباب مستقلا عن الكتاب تندرج تحته موضوعات مستقلة (٨) . غير ان مصطلح باب لم يرد في كل حالة ، بل كثيرا ما كانت ترد عناوين كثيرة دون ان تميز ، ثم يميز عنوان لاحق بالمصطلح " باب " او " ابواب " دون ان يكون لهذا العنوان أهمية خاصة تفرده دون ما سبته من عناوين . فـ " كتاب اللباس " مثلا ترد بعده العناوين التالية : " عامة الثياب " ، " الرقيق من الثياب " ، " الكثيف من الثياب " ، " المزابر من الثياب " ، ثم يأتي بعد ذلك " باب المخطط من الثياب " (٩) ، فطبعي

(١)	المخصص	١ : ١٥
(٢)	المصدر نفسه	٢ : ١٤٨
(٣)	المصدر نفسه	٣ : ١٥٤
(٤)	المصدر نفسه	٦ : ١٣٥
(٥)	المصدر نفسه	٢ : ٢
(٦)	المصدر نفسه	٤ : ٦٦ ، ٦ : ١٣٣ ، ١٤ : ٨٤
(٧)	المصدر نفسه	٦ : ١٣٥ ، ٧ : ٩٥
(٨)	باب الفصاحة	٢ : ١١٢ ، ابواب النسب ١٣ : ٢٣٦
(٩)	المخصص	٤ : ٦٣ - ٦٦

ان المصطلح " باب " هنا لا يميز بشيء هذا العنوان مما سبقه . ومن هنا فان هذا المصطلح يحتويه الكثير من التشويش والفوضى ، ويزيده تشويشا ان ابن سيده ربما ترك بابا من غير ان يميزه في حين انه يختلف عما سبقه من أبواب .

وقد جعل ابن سيده المفردات تدور حول فكرة ما او موضوع ما او أسماء متعددة لمسمى واحد . ويورد في هذا المجال المفردات جميعها التي يرى انها تدخل في موضوعه . وبناءً الكتاب على حسب الموضوعات ليس من ابتكار ابن سيده . ولقد لجأ العرب الى هذه الطريقة منذ اول تبهمهم الى ضرورة جمع اللغة . فكان اللغوي منهم يذهب الى البادية ليقابل الاعراب ، او يأتي الاعراب اليه ليقابلوه متاجرون بلغتهم ، وكان حينئذ يلجأ الى جمع الالفاظ والشواهد التي تدور حول موضوع واحد . من هؤلاء اللغويين الأصمعي في " كتاب الخيل " مثلا .

وربما كان كتاب النضر بن شميل ( - ٢٠٣ / ٨١٩ ) من اوائل الكتب العامة، التي لا تختص بموضوع خاص، فقد قيل عنه : " هو كتاب كبير يحتوى على عدة كتب : الجزء الأول يحتوى على خلق الانسان والجود والكرم وصفات النساء . والجزء الثاني يحتوى على الأخيصة والبيوت وصفة الجبال والشعاب والأمتعة . والجزء الثالث للاهل فقط . والجزء الرابع يحتوى على الغنم ، والطير ، والشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار ، والالبان ، والكمأة ، والآبار ، والحياض ، والأرشية ، والدلاء ، وصفة الخمر . والجزء الخامس يحتوى على الزرع ، والكرم ، والحنب ، واسماء البقول ، والاشجار، والرياح ، والسحاب ، والامطار " (١) .

ولعل كتاب " الغريب المصنف " اكثر الكتب تأثيرا بابن سيده في تأليفه

(١) فهرست ابن النديم : ٥٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢١٤ .

للمخصص . وقد رأينا كيف انه كان قادرا على روايته منذ أول عهده بالعلم .  
وتتبعه القديما الى ذلك فقال ابن خيبر : " والكتاب المخصص في اللغة . . مرتب  
كالغريب المصنف " (١) . وقال القاضي صاعد : " كتاب المخصص مرتب على الابواب  
كغريب (٢) المصنف " (٣) .

وقد اعتمد ابن سيده في كل باب من الابواب على ما ألف في ذلك الباب  
لمؤلف او اكثر . وكان من نتيجة ذلك ان كثير ورود اسما بعينها في ابواب، وقلت  
في ابواب اخرى . فثابت مثلا وهو صاحب " كتاب في خلق الانسان " (٤)، يتردد  
ذكره كثيرا في الجزء الأول الذي يدور حول هذا الموضوع، ولكننا سنجد صعوبة  
بالغة في العثور على اسمه في الاجزاء الاخرى من المخصص .

وينبئ المؤلف في مقدمة كتابه الى طريقتيه في التأليف فيلخصها بقوله :  
" تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص، والاتيان بالكليات قبل الجزئيات ،  
والابتداء بالجواهر والتفقيه بالاعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير ، وتقديمناكم  
على كيف ، وشدة المحافظة على التقييد والتحليل . مثال ذلك ما وصفته في  
صدر هذا الكتاب حين شرعت في القول على خلق الانسان فبدأت بتثقله وتكونه شيئا  
فشيئا ثم اردت بكليته جوهره ثم بطوائفه وهي الجواهر التي تألف منها بكليته ثم  
ما يلحقه من العظم والصغر ، ثم الكيفيات كالألوان الى ما يتبعها من الاعراض  
والخصال الحميدة والاميمة " (٥) .

(١) فهرسة ابن خيبر : ٣٥٦ .

(٢) الاصح على الاغلب : كالغريب .

(٣) طبقات الامم ، القاضي صاعد الاندلسي : ٧٧ .

(٤) طبع في الكويت ١٩٦٥ بتحقيق عبد الستار احمد فراج .

(٥) مخصص ١٠٤١

## ٣- خصائص كتاب المخصص (١)

## أ - الاستطراد وتوارد الخواطر :

لم يبدأ ابن سيده في معجمه هذا من آفة ذلك الزمان في الاستطراد وعدم التقيّد بصلب الموضوع . وكان هذا الاستطراد يجره ما يرد على فكر ابن سيده من أمور مجانسة أو أمور مناقضة . وقد يبدأ الحديث عن الطعام (١) وينتهي في آخر الباب بحديث عن المساكن (٢).

غير أن هذا الاستطراد ليس في الموضوعات فحسب وإنما هو في الألفاظ وفي التفصيلات بعامة . فان كلمة ما قد تجذبه الى كلمة مشابهة أو مناقضة ، وان صفة ما قد تذكره بصفة أخرى لمؤخوف آخر .

## ب - ظاهرة الجمع :

من الظواهر البارزة للغاية في تأليف الكتاب جمع التفسير المتعلقة باللفظة الواحدة ووصفها بصورة من الصور . وقد تأتي المادة بهذه الصورة مناقضة بعضها للبعض الآخر وقد تأتي متممة أو مؤيدة ، " والقَطُوطُ الذي يقارب العشي من كل شيء يقطو في مشيه نشاطا ومرحا وبغيا ، ويقطو يقارب الخطو ، والانشى قطوبة فأما وزنه فذهب ابو عبيد الى انه فعولى وأما سيبويه فذهب الى انه فععلل وذهب غيره الى انه فعوعل (٣) ، لقد اختلفت الآراء هنا وتناقضت النتائج ، ولكن قد تأتي الآراء متممة فيكون كل واحد منها جزءا من الحقيقة : " ابن

(١) المخصص ١ : ١٠٠

(٢) المصدر نفسه ٤ : ١١٨ .

(٣) المصدر نفسه ٥ : ٢ .

(٤) المصدر نفسه ١٥ : ٢٠٨ .

دريد : يقال للاحمق مَنْطِبَةٌ وقد نطبت أذن الرجل انطبها نطبا - ضربتها .  
ابن السكيت : رجل ارعن بين الرعونة - احمق . وقد رَعَنُ رَعُونَةً ورعانة  
ورعنا .. " (١) . ومما يؤيد بعضه بعضا : " ابن السكيت : عن الرجل عيناه  
اصبته بحين فهو معين ومعينون ، وأنشد :

قد كان قومك يحسبونك سيدا      واخال أنك سيد معينون

وهذا مطرد وانما ذكرته لتفرقة ، وذكرها الزجاجي وذلك أنه قال : المعين:  
العصاب بالعين . والمعينون : الذي به عين " (٢) .

### ج - التحقيقات اللغوية والصرفية :

يميل ابن سيده الى ابراز الناحية اللغوية في مجمه ، ويجمع

لنا الآراء التي ذكرت في مادة من العواد ، ذاكرا بناء اللفظة وأصلها ومشتقاتها:  
" سادهم يسودهم سيادة . ابن جنى : واستادهم . ابو عبيد : وقد سؤدت  
... والسؤدد : فعل منه ، وقال : ساودني فسدت ، من السيادة ... وليس  
هذا بمطرد عند سيبويه . وقالوا سيّد وسائد . صاحب العين : رئيس القوم ،  
كبيرهم ، والجمع رؤساء وروساء . قال علي : ليس لروساء عندى وجه ألبتة ،  
الا ان تكون الههزة في رؤساء أهدلت واوا ابدالا صحيحا ليس على حد جُون ، ثم  
قلبت الواو لغير علّة الا طلب الخفة ، ثم قلبت الضمة كسرة لكان الياء " (٣)

(١) المخصص ٣ : ٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ١٢١ .

(٣) المصدر نفسه ١ : ١٥٨ - ١٦٠ .

د - صعوبة العثور على اللفظة المطلوبة :

ليس من السهل البحث عن كلمة من الكلمات في هذا المعجم الكبير . والواقع قد يكون ذلك مستحيلا في كثير من الاحيان . اذ ربما عثرت على لفظة في مكان لا تمت الى موضوعه بصلة . وقد زاد المشكلة صعوبة متاعب الاستطراء وعدم وجود منهج دقيق .

غير انه يمكن الاعتذار عن ابن سيده ، بأن الكتاب لم يؤلف لنبحث فيه عن الألفاظ المفردة ، وانما كما ذكره في مقدمة كتابه انه اراد اثراء المادة المتيسرة <sup>للأديب</sup> للشاعر والخطيب وتسهيل الامر عليه بجمع هذه المادة له مبوبة حسب الموضوع الذي ينظم شعره فيه او يديج خطبته .

هـ - شخصية ابن سيده غير واضحة :

كان من نتيجة تراكم المواد وأسلوب الجمع الذي اتبعه ابن سيده ان كان المعجم ناطقا باسماء اللغويين الذين اخذ المؤلف عنهم ، وليس باسم المؤلف نفسه . وربما كان السبب في ذلك ان اللغة ، عند ابن سيده ، تؤخذ عن الاعراب ، وقد كانت الاندلس غير قادرة ، لذلك ، على الادلاء بدلها في هذا المجال ، ولم يكن لعلمائها سوى النقل .

ومع ذلك فقد نستطيع ان نعثر على آراء لابن سيده وخصوصا في المشكلات النحوية والصرفية : " ابو حاتم ، الظمي : قلة دم اللثة ولحمها . رجل أظمي وامرأة ظميا " . علي ( علي بن اسماعيل بن سيده ) : ليس الظمي من لفظ الظم ، ذلك مهموز وهذا محتل ، الا ان يكون تخفيفا بدليا وليس هذا بالواسع والا فهما مختلفا اللفظين كاحْبَنْطَات واحْبَنْطِيَّت " (١) . والواقع ان

(١) المخصص ١ : ١٤٥ .

ملاحظات ابن سيده ليست نادرة (١) ، وانما هي ضائعة في خضم الآراء ، وليس لها  
كيان واضح مجسم .

ومع الضرور الشديد الذي لاحظناه في حديثنا عن مقدمة الكتاب ،  
ومع زعمه انه سيصلح أخطاء من سبقه من العلماء ويقدم عملا نظيفا ، الا انه لم  
يوفق حتى في ازالة التناقض في كثير من مواضع نقله . ولم يكن ابن سيده يلجأ الى  
التعويض او التفضيل بل يوصف الآراء بخير ان يقدم واحدا على واحد . وهذا مما يزيد  
في طمس شخصيته .

ولعل من الاسباب التي زادت في تفكك شخصيته انه كثيرا ما كان يلجأ  
الى عبارات غامضة غير محددة المعالم مثل : غيره ، وغير واحد ، قيل ، وقال  
اناس من العرب . ومصعب حصر مثل هذه العبارات لأنها منتشرة في كل صفحة ، او  
في كل صفحة تقريبا . ومن العدل ان نقر بان هذه التعبيرات ليست من خصائص  
ابن سيده وحده ، ولكن هذا لا يغير من الحقيقة شيئا ، وتبقى شخصيته غير واضحة .

### ج - المحكم (٢)

١- الداعي الى تأليف الكتاب :

يقول ابن سيده في مقدمة كتابه " فلما وضع له - للموفق -

مكان الحاجة الى هذه اللسان الفصيحة ، الزائدة الحسن ، على ما اوتيته سائر  
الامم من اللسان ، أراد جمع الفاظها ، فتأمل لذلك كتب روايتها وحفاظها ، فلم يجد  
منها كتابا مستقلا بنفسه ، مستغنيا عن مثله ، مما ألف في جنسه بل وجد كل

(١) المخصص ١ : ٢٦ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٧٤ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ،  
١٥٣ ، ١٦٥ .

(٢) صدر منه ثلاثة اجزاء حتى اليوم .

كتاب منها يشتغل على ما لا يشتغل عليه صاحبه ، و"شَلَّ" لا تحاندُ عليه ورواه ، وكلاء لا تحاقد في مثله رواده ، لا تشبع فيه ناب ولا فطيمة ، ولا تغنى منه خضراء ولا هشيمة " (١) . من هنا نستطيع ان نتصور ان الهدف الاول الذى قصده ابن سيده من تأليف معجمه كان جمع المواد اللغوية المشتتة في الدراسات والرسائل المختلفة . وطبعي ان دور الموفق هنا لا يعدو التشجيع وتهيئة جو التأليف .

غير ان هذا التوزع في المادة اللغوية لم يكن الداعي الوحيد للتأليف فلقد " لاحظ مناظر تحبيرهم ، ومسافر تحبيرهم ، فما اظبى شيء من ذلك لسه ناظرا ، ولا سلك منه جنانا ولا خاطرا ، وذلك لما اوتيه وما حرموه ، وأوجده وأعدموه ، من ثقابة النظر ، واصابة الفكر ، وكان اكثر ما نقسه - سده الله - عليهم ، عدولهم عن الصواب ، في جميع ما يحتاج اليه من الاعراب ، وما احوجهم من ذلك الى ما منحوه " (٢) . فابن سيده لا يأخذ على السابقين التجزئة وعدم الشمول فحسب ، وانما هو ينحى عليهم " عدولهم عن الصواب " . فهو هنا ، ان ، يعدنا بتغييرين جذويين ، تغيير في المنهج وتحسين في الدقة .

## ٢- منهج الكتاب :

ينقسم معجم ابن سيده الى حروف مرتبة وفق المخارج على النحو

التالي : العين ، الحاء ، الهاء ، الخاء ، الغين ، القاف ، الكاف ، الجيم ، الشين ، الصاد ، السين ، الزاى ، الطاء ، التاء ، الدال ، الظاء ، الذال ، الثاء ، الراء ، اللام ، النون ، الفاء ، الباء ، الميم ، البهزة ، الياء ، الواو ، والالف .

(١) المحكم ١ : ٣٠

(٢) المصدر نفسه ١ : ٣ - ٤ .



وكل حرف من هذه الاحرف ينقسم الى الابواب التالية : الثنائي العضاف الصحيح ،  
 الثاشي الصحيح ، الثنائي العضاف المعتل ، الثلاثي المعتل ، الثلاثي اللفيف ،  
 الرباعي ، الخماسي ، السداسي ، وقد امتلأت هذه الابواب بالتقليب ، وهو النظام  
 الذى اتبعته مدرسة العين ، ورأيناه في كتاب البارح .

ويبدو ان ابن سيده كان واعيا لأمره ، وكان يبغى توخيها والسير عليها .  
 ويضح في مقدمة كتابه خطة محكمة يوسم بها سبيله في التأليف : " ومن غريب  
 ما تضمنه هذا الكتاب ، تمييز اسماء الجموع من الجموع ، والتبويب على الجمع  
 المركب ، وهو الذى يسميه النحويون جمع الجمع ، فان اللغويين جما لا يميزون  
 الجمع من اسم الجمع ، ولا ينيهون على جمع الجمع . ومن الأبنية ما يجوز  
 ان يكون جمعا ، وان يكون جمع جمع ، وذلك ادق ما في هذا الجنس العقنضي  
 للجمع . فاذا مررنا في كتابنا بمثل هذا النوع من الجمع أعلننا أيهما أولى به  
 الجمع أم جمع الجمع " (١) .

وسوف يطول بنا الامر لو نحن حاولنا اقتباس ما قاله ابن سيده في  
 مقدمة كتابه عن خطته في التأليف ، ولقد أطل اطلالة عظيمة واتى بالامثلة  
 الموضحة . ويمكن تلخيص عمله بما يلي :

أ - حذف ما اعتقد انه يزيد في حجم الكتاب بلا مبرر . من ذلك المشتقات  
 القياسية ، وجمع اسم الفاعل من الاجوف على فُعْلَةٌ ، او الناقص على فُعْلَةٌ ، او المؤنث  
 على فواعل ، والمصدر الميمي واسمي المكان والزمان ، وافعال التعجب . ولا يذكر  
 من كل ذلك الا الشاذ .

(١) المحكم ١ : ٨ - ٩ .

ب- وقد نبه على أمور شاذة قد يؤدي اغفال ذكرها الى الالتباس ، ومن ذلك : اسم المفعول الذي لا فعل له او المبني من الفعل اللازم ، والافعال التي لا مصادر او لا ماضي لها ، او لها مصادر من غير لفظها ، والنسب الشاذ ، والمؤنث بغير علامة ، والالفاظ التي يشعر ظاهرها انها للمفرد والجمع ، وما لا يصح .

ج- ويميز بين اسماء الجمع من الجموع وجموع الجمع ، واسم الفاعل الجارى على فعله بحفظه عليه بالفاء من اسم الفاعل غير الجارى عليه بحفظه بالواو ، والمهموز اصلا من المهموز شذونا ، والمعتل الواوى من اليائي .

د- راعى في ترتيب الالفاظ في داخل المواد تقديم المفرد على الجمع ، وجمع القلعة على الكثرة ، والمجرد على المزيد . (١)

ويمكن الاستشهاد على هذا كله بكلام المؤلف من مقدمة كتابه . غير انه ، كما سنلاحظ ، لم يستطع ان يتقيد تماما بهذه الخطة ، وغلبته المادة الهائلة التي أتى بها في احيان كثيرة فتززع ترتيبه .

### ٣- مصادر الكتاب :

يضع ابن سيده في مقدمة كتابه ثبنا بالمؤلفات التي اخذ عنها ، وهو يقسم هذه المؤلفات الى قسمين : لغوية ونحوية ، " وأما ما ضمناه كتابنا هذا من كتب اللغة ، فنصف أبي عبيد ، والاصلاح ، والالفاظ ، والجمهرة ، وتفسير القرآن ، وشرح الحديث ، والكتاب الموسوم بالعين ، ما صح لدينا منه ، وأخذناه بالوثيقة عنه ، وكتب الأصمعي ، والفراء ، وابي زيد ، وابن

(١) راجع فيما يتعلق بهذه الخطة كتاب المعجم العربي : ٣٤٦ - ٣٤٧ .

الاعرابي ، واهي عبدة والشيباني ، واللحياني ، ما سقط اليها من جميع ذلك ، وكتب  
 ابي العباس احمد بن يحيى : المجالس ، والفصح ، والنوادر ، وكتابا ابي حنيفة ،  
 وكتب كراع ، الى غير ذلك من المختصرات ، كالزهرج ، والفكثي ، والمبني ، والمثنى ،  
 والاضداد ، والمبدل ، والمقلوب ، وجميع ما اشتمل عليه كتاب سيبويه من اللغة  
 المعللة العجيبة ، الملخصة الغريبة ، المؤثرة لفضلها ، والمستراد لمثلها ،  
 وهو حلي كتابي هذا وزينه ، وجماله وعينه ، مع ما أضفته اليه من الابنية (١)  
 التي فاتت كتاب سيبويه معللة ، عربية كانت او دخيلة . واما ما نشرت عليه من  
 كتب النحويين المتأخرين ، المتضمنة لتعليل اللغة ، فكتب ابي علي الفارسي :  
 الحلييات ، والبغداديات ، والاهوازيات ، والتذكرة ، والحجة ، والاقبال ،  
 والايضاح ، وكتاب الشعر . وكتب ابي الحسن بن الرمازي ، كالجامع ، والاغراض ،  
 وكتب ابي الفتح عثمان بن جني ، كالمغرب ، والشمس ، وشرحه لشعر المتبني ،  
 والخصائص ، وسر الصناعة ، والتعاقب ، والمحتسب (٢) . وكانت هناك مصادر أخرى  
 لم يستطع ابن سيده حصرها اختارها وجمع موادها من هنا ومن هناك ، وهو يسجل  
 ذلك فيقول : " الى أشياء اقتضتها من الاشعار الفصيحة ، والخطب الغريبة الصحيحة (٣)  
 ويلاحظ انه نسب مادة كتابه كلها الى الاصول الشرقية ، بخير الالتفات الى  
 المؤلفات اللغوية الاندلسية . وقد كان لفتة ممن سبق ابن سيده اصال تشهد  
 لهم بالتقدم والعقدرة ، كما رأينا عند القالي والزبيدي وابن القوطية . وأغلب  
 الظن ان ابن سيده استفاد منهم واطلع على مؤلفاتهم ، وان كان يصعب اثبات  
 (١) لعله استفاد في ذلك من كتاب " الاستدراك على سيبويه " لابي بكر الزبيدي  
 الذي تجده موهوفا في ص : ٦٦ - ١٠٤ من هذه الرسالة .  
 (٢) المحكم ١ : ١٥ .  
 (٣) المصدر نفسه

ذلك ، لأن مصادر القالي والزبيدي وابن القوطية وابن سيده هي في الاساس واحدة ، جاءتهم من المشرق ، وجميعهم طوروا اساليب وطرائق اخذوها عن المشاركة ، لذلك ليس سهلا التأكد هل استفاد ابن سيده من الفرع ام رجح الى الأصل . ولا بد أن ابن سيده عرف أيضا مصادر شفوية عديدة غير انه لا يفرق في معجمه بين مثل هذه المصادر وبين المصادر المكتوبة .

#### ٤ - خصائص كتاب المحكم :

ان اختيار مادة من المواد ودراستها وتحليلها يجعلنا اقرب الى خصائص ابن سيده في هذا المعجم ، واقدر على ابراز الخصائص الهامة . ولتكن مادة " العين والتاف والتاء " (1).

" العتق : خلاف الرق .

عَتَقَ يَعْتِقُ عِتْقًا ، وَعِتْقًا ، وَعِتَاقًا ، وَعِتَاقَةً ، فهو عَتِيقٌ وجمعه

عِتْقَاءٌ " . فقد اعطانا أولا الاسم ومعناه ، ثم الفعل الثلاثي والمجرد ومصادره المختلفة ثم الصفة منه في حالتي الافراد والجمع .

" وأعتقته فهو مُعتقٌ وعتِيقٌ . والجمع كالجمع " فاننتقل اذن من المجرد الى

المزيد . غير انه يذكر اسم المفعول القياسي " معتق " وهو هنا لا يفي بما وعدنا به في المقدمة من حذف المصادر واسماء المفاعيل القياسية .

وبعد ان بدأ بالاسم ثم شئى الى الافعال فأعطانا المجرد منها والمزيد ،

انتقل الى الاسماء والصفات المشتقة من الافعال " عتيق : اسم الصديق .. قيل

(1) المحكم ١ : ١٠٠ - ١٠٢ .

سُمي بذلك ، لأن الله تعالى اعتقه من النار " ، " وفرس عاتق : سابق " ،  
 " ورجل معتاق الوسيقة : اذا طود طريدة سبق بها . وقيل : اذا سبق بها  
 وأنجاهها " ، " والعاتق : الناهض من فراخ القطا ، قال ابو عبيد : ونرى انه  
 من سبق . وقيل : العاتق من الطير : فوق الناهض ، وهو في أول ما ينحسر  
 ريشه الاول ، وينبت له ريش جُلْدِيّ : اى شديد . وقيل : العاتق من الحمام :  
 ما لم يُسَنّ ويستحکم ، والجمع : عَتَقٌ " . ونسجل ها هنا ان ابن سيده وقع  
 فيما وقع فيه القالي من قبل فاورد المعلومات دون ان يوازن بينها ، مما ادى الى  
 وصف معان متناقضة احيانا دون ترجيح .

ثم يعود الاسم مرة أخرى فيذكر ان " العتق الشجر التي تتخذ منها  
 القسي العربية ... والعتيق : فحل من النخل معروف ، لا تنفض نخلته ...  
 وعتيق الطير البازي ، قال لييد :

فانتضلنا وابن سلمى قاعد كعتيق الطير يغضي ويجل

ابن سلمى النعمان ، وانما ذكر مقامته مع الربيع ، بين يدي النعمان " . فهو يلجأ  
 الى تفسير ما هو غامض مما لا علاقة له بالمادة الأصلية .

" والعتيق : القديم من كل شي " ، وقد عَتَقَ عِتْقًا وَعِتَاقَةً . والبيت  
 العتيق : مكة ، لقدمه ، لانه اول بيت وضع للناس . وقيل لانه اعتق من  
 الخرق ايام الطوفان . وقيل سمي عتيقا ، لانه لم يملكه أحد " . فابن سيده  
 يذكر المعاني المختلفة دون ان يرد الآراء الى اصحابها ، ويكثر من استعمال كلمة  
 " قيل " ، او " قال بعض حذاق اللغويين " .

واما ابيات الشعر فانه لا يتبع قاعدة معينة في ذكر اسم الشاعر

او عدم ذكره . ففي هذه المادة " عتق " التي ندرسها سبعة شواهد شعرية  
 ذكر اسما أصحابها ، وهناك شاهدان لم يذكر اسمي قائليهما ، ربما لانه لم  
 يعرفهما . واذ صح ذلك فاننا نستطيع القول بانه يذكر صاحب الشاهد اذا عرفه .  
 " فأما قول الأعشى :

وكان الخمر الحقيق من الاسفط ← معزوجة بعاء زلال

فانه قد يوجه على تذكير الخمر ، فاما ان يكون تذكير الخمر مصروفا ، واما ان  
 يكون وجهها على ارادة الشراب ، ومثله كثير ، أعني الحمل على المعنى . قال ابو  
 حنيفة : وان شئت جعلت فعلا هنا في معنى مفعول كما تقول : عين كحيل ،  
 فتكون الخمر مؤنثة ، على اللفظة المشهورة " . وهذا يدلنا على اهتمام ابن سيده  
 بالمسائل الصرفية وادراجه لها في معجمه . وقد رأينا ان من جملة مصادره  
 مجموعة من كتب النحو والابنية . وهو يدرك ما في كتابه هذا من صعوبة فيقول :  
 " وليست الاحاطة بعلم كتابنا هذا ، الا لمن مهر بصناعة الاعراب " (١) ،

وبعد ان يتحدث عن الاسماء يعود الى الفعل المزيد منه والمجرد بخير  
 ضابط : " عتق بفيه : عض . وعتق المال عتقا : صلح . وأعتقه أصلحه .  
 وعتق بعد استعلاج فهو عتيق : رقق " . ثم يعود مرة اخرى الى الاسماء :  
 " الحقيق اسم للتمر ، علكم ، وأنشد قول عنترة :

كذب العتيق وما شن بارد ان كنت سائلة غهوقا فانهبي

والعائق : ما بين الفئك والعتق " .

(١) المحكم ١ : ١٤٠

وبعد ان يستوفي الكلمة بكل ما فيها من فروع ومعان ينتقل الى  
" مقلوبه ( ق ت ع ) : ق ت ح ي ق ت ح ق ت ح ع : انقمع وذل " .

ويمكننا ، اعتمادا على السادة السابغة وغيرها من المواد ، ايجاز  
الملاحظات التالية :

- أ - لا يعني بما وعدنا به في المقدمة من حذف المصادر واسماء المفاعيل القياسية .  
ب - ولا يعني أيضا بما وعدنا به من انه سيراى في ترتيب الالفاظ داخل  
المواد تقديم المفرد على الجمع ، وتقديم العجود على المزيد ، وترتيب الاعلام  
بما تشويش ، مما جعل العثور على اللفظة المطلوبة امرا عسيرا ، وخاصة اذا  
كان اللفظ مزيدا او مشتقا .  
ج - يلجأ الى طريقة التفسيرات المتراكمة بخير تصنيف بحيث يأتى بعضها ،  
احيانا ، مناقضا لبعض .  
د - قلل كثيرا من الاعتماد على الاشعار بحيث لم تعد مقصودة لذاتها وانما  
لتقوم بعملها في توضيح الدلائل اللغوية . وهو يرد الشاهد الى صاحبه اذا عرفه .  
هـ - فسر الالفاظ الصعبة التي ترد في النصوص حتى ولو لم تكن من العادة  
الاصيلة التي يتعرض لها .  
و - لا يهتم بذكر المصادر ولا يرد الآراء الى اصحابها الا نادرا ، ويكتفى بلفظة  
قيل او ما شابهها .  
ز - ولكنه كان يسجل اسم صاحب الراى اذا كان رأيه قاعدة وليس مجرد تفسير (١) .

(١) انظر المحكم ١ : ٢٦١ ، ٢ : ١٦٥ ، ٣٨٠ .

ح - يهتم بالنواحي الصرفية ويعالجها بانفاضة .

ط - قلل من الاستطراد الى الروايات والاخبار التي تجرها لفظة ما ، ولكنه لم يستطع ان يتخلص من ذلك نهائيا . (١)

وبرغم المآخذ التي سجلناها عليه ، فإنه استطاع ، الى حد ما ، ان يقدم لنا هذه العادة الهائلة بما قدر عليه من تنظيم ، وبشيء من الاختصار أيضا ، وملاً معجمه بتخرجات نحوية وصرفية .

وقد أثار هذا الكتاب نشاطا كبيرا ، واعتمده اصحاب المعجمات المتأخرون كابن منظور والفيروز ابادي ، " وطعن فيه السهيلي في الروض عند الكلام على نقض الصحيفة فقال : وما زال ابن سيده يعثر في هذا الكتاب ، يعني المحكم " (٢) ، " ورد عليه ابن برجان عبد السلام بن عبد الرحمن ناقدا محللاً " (٣) . واثى عليه اصحاب التراجم فوهفوه بالشبهة (٤) ، وقيل فيه " لم ير مثله في فنه ولا يعرف قدره الا من وقف عليه . . . لو حلف الحالف انه لم يصف مثله لم يحث " (٥) .

(١) المحكم ١ : ٢٥٢ - ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢ : ١٧١ .

(٢) لسان الميزان ٤ : ٢٠٥ .

(٣) التكملة : ٥٨٥ ، ٦٤٦ ( الطبعة الاوروبية ) ، وانظر ترجمته أيضا في بغية الوعاة : ٣٠٦ .

(٤) تاريخ ابي الفدا ٢ : ١٨٦ .

(٥) انباء الرواة ٢ : ٢٢٥ .



خاتمة

## خاتمة

الآن وقد بلغت كلمة الختام أرى أن أجمل الصورة العامة لهذه الرسالة ، فلقد درست الحياة اللغوية الاندلسية ، في حقبة تزيد على اربعمائة عام . وكانت تلك الفترة ناشطة منذ بدايتها . وان كان القرن الرابع للهجرة هو ما يمكن ان نسميه بالعصر الذهبي لها ، فان هذا العصر هو نتيجة لما تقدمه من نشاط ، وقمة للتطور الطبيعي في حياة اللغة .

وقد قدمت للبحث بمقدمة عالجت فيها امور اللغة والمجتمع قبل الفتح العربي وتوزع الاجناس العربية بعده ، ووضحت مكانة اللغة عند الاندلسيين والعوامل الفعالة التي كان لها التأثير العظيم المستمر في تطوير اللغة .

وقد تدرجت مع الزمن معالجا منذ الفصل الأول حتى الفصل الخامس والأخير تطور الحياة اللغوية ونموها ، ودعمت ما وضحته من تيارات مختلفة بأمثلة مفصلة من سير المؤلفين الكبار وأهم مؤلفاتهم . وقد تصدت من هذه السير والمؤلفات الى ابراز الصورة وتوضيح ما يمكن ان يكون قد ظل غامضا حين الحديث عن التيارات والاتجاهات والعوامل المؤثرة وألوان النشاط المختلفة .

واعتقد انني حققت أمورا رئيسيين مهمين :

1- كانت هذه الرسالة بناء جديدا ، لم يتوكأ على بناء سابق ، فجاء حركة راعدة ، له ما للريادة من فضل التقدم والاستكشاف . وان تكن

هذه الريادة قد اعطت البحث قيمة ، فانها قد زادت علي صعوبة • فالى جانب عظم الفترة التي تغطيها دراستي فان جودة البحث قد كانت عاملا شاقا يتطلب التقيب الطويل في المصادر ويجعل تصور الموضوع غاية في الصعوبة • والواقع لم استطع ان احيط بالمصادر وان اتصور البحث على صورته الحالية الا بعد اطلاع واسع وبحث دائب وعمل جاد أمين ، لفترة طويلة من الزمن •

٢- والأمر الثاني الذي اعتقد ان له هو الاخر أهمية بالغة ، انني بهذا البحث قد أسهمت في تصور جزء من تراثنا اللغوي ، وقدمت بحثا عن تاريخ اللغة في الاندلس ارجو ان يفيد منه الدارسون • ولعلني لا أبالغ اذا قلت ان اللغة في الاندلس جديرة اعظم الجدارة بالدراسة والوصف والتحليل والبناء • وهناك نواح - منها اللغة العامية الاندلسية - لا تزال بحاجة الى دراسات مفصلة موضحة ، واذا كنت أقدم مثل هذا المجهود فانما ارد شيئا من الحق الى اصحابه • فأهل الاندلس - بمجهوداتهم اللغوية المختلفة - قد أضافوا الى تراثنا ، فحق لهم الاعتراف بالفضل •

ولأول مرة - فيما أعتقد - يتكامل بحث واحد ليبين دور المؤرخين في حياة اللغة بالاندلس ، ويأخذ بعين الجد والاستقصاء جهود المهاجرين من المشاركة والكتب المهاجرة من المشرق والرحلة في طلب اللغة ويتلمس نواحي "النظرية" اللغوية بالاندلس ، ويفصل القول في المؤلفات اللغوية الهامة وأصحابها ويعطي لاندلس في الجانب اللغوي ما تستحقه من اهتمام وتقدير •

ولست أقول : ان هذا هو جهد العقل ، فكل عمل علمي انما هو جهد العقل ، أعني أنه لبننة تتساند مع غيرها في نطاق البناء الكلي •

## مراجع الدراسة

## ١ - المراجع العربية

- ١ - ابو العلاء وما اليه :  
عبد العزيز اليميني  
اعظم كره ١٣٤٤ هـ
- ٢ - احكام صنعة الكلام :  
ابو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي  
مصورة بدار الكتب المصرية مأخوذة عن نسخة خطية بمكتبة الاستاذ  
حسن حسني عبد الوهاب .
- ٣ - الاحكام في أصول الأحكام :  
ابو محمد علي بن حزم الاندلسي  
تحقيق : احمد محمد شاكر  
ط القاهرة ، ١٣٤٥ - ١٣٤٨  
٨ ج
- ٤ - أرجوزة ابن سيده :  
مجلة المشرق ، السنة السادسة والثلاثون
- ٥ - أزهار الرياض في أخبار عياض :  
شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني  
تحقيق : مصطفى السقا ، ابراهيم الايبارى ، عبد الحفيظ شلبي

القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٤٢

٦ - الاستدراك على سيبويه :

ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي

تحقيق : اغناطيوس غويدي

روما ، ١٨٩٠

٧ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى :

ابو العباس أحمد بن خالد الناصري

الدار البيضاء ، ١٩٥٤ - ١٩٥٦

ج ٩

٨ - اعمال الاعلام في من بوسع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام :

لسان الدين ابن الخطيب التلمساني

تحقيق : ليفي بروفنسال

الطبعة الثانية - بيروت ، ١٩٥٦

٩ - الافعال الثلاثة والرباعية :

ابو بكر محمد بن عمر ابن القوطية

تحقيق : اغناطيوس غويدي

ليدن ، برينل ، ١٨٩٤

١٠ - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب :

ابو محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي

تلفاظ وميداني - بيروت ، ١٩٠١

١١- الامالي :

ابو علي القالي

الطبعة الثالثة - القاهرة ، ١٩٥٣ - ١٩٥٤

ج ٢

١٢- انباء الرواة على انباء النحاة :

جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف الققطي

تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم

القاهرة ، ١٩٥٠ - ١٩٥٥

ج ٣

١٣- الانتصار من عدل عن الاستبصار :

ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي

تحقيق : حامد عبد المجيد

القاهرة ، ١٩٥٥

١٤- الانصاف في التبيين على الاسباب التي اوجبت الاختلاف بين المسلمين في

آرائهم :

ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي

مطبعة الموسوعات بمصر ، ١٣١٩ هـ

١٥- البارغ في اللغة :

ابو علي القالي

تحقيق : أ . س . فلستن

لندن ، ١٩٣٣

- ١٦ - بغية الملتصق في تاريخ رجال أهل الاندلس :  
 احمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي  
 ط مجريط ١٨٨٤
- ١٧ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :  
 جلال الدين عبد الرحمن السيوطي  
 الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٣٢٦
- ١٨ - البيان المغرب في أخبار المغرب :  
 ابن عذارى المراكشي  
 تحقيق : ليفي بروفنسال  
 ط باريس ، ١٩٣٠
- ١٩ - تاريخ الادب الاندلسي :  
 عصر سيادة قرطبة  
 الدكتور احسان عباس  
 نشر دار الثقافة - الطبعة الاولى - بيروت ، ١٩٦٠
- ٢٠ - تاريخ الادب الاندلسي :  
 عصر الطوائف والمرابطيين  
 الدكتور احسان عباس  
 نشر دار الثقافة - الطبعة الاولى - بيروت ، ١٩٦٢



٢١ - تاريخ الأدب العربي (١) :

كارل بروكلمان

ترجمة : عبد الحليم النجار

القاهرة ١٩٥٩ - ١٩٦٢

ج ٣

٢٢ - تاريخ افتتاح الاندلس :

محمد بن عمر ابن القوطية

تحقيق : عبد الله انيس الطباع

دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٥٧

٢٣ - تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس :

عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرضي

القاهرة ، ١٩٥٤

ج ٢

٢٤ - تاريخ قضاة الاندلس :

ابو الحسن بن عبد الله النباهي

تحقيق : ليفي بروفنسال

دار الكاتب المصري - ١٩٤٨

(١) حين كت استعين بالأصل الألماني كت أضيف : " طبعة ليدن " ، أو اكتفي  
بلفظة : " الملحق " .

٢٥ - تذكرة الحفاظ :

ابو عبد الله شمس الدين الذهبي

الطبعة الثالثة - مطبعة حيدر آباد ، ١٩٥٥ - ١٩٥٨

٤ ج

٢٦ - تعريف العلماء بأبي العلاء :

اشراف : الدكتور طه حسين

القاهرة ، ١٩٤٤

٢٧ - التقريب لحد المنطق والمدخل اليه :

ابو محمد علي بن حزم الاندلسي

تحقيق : الدكتور احسان عباس

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ، ١٩٥٩

٢٨ - التكملة لكتاب الصلة :

ابو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الابار

القاهرة ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦

٢ ج

٢٩ - التكملة لكتاب الصلة :

ابو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الابار

الطبعة الاوروبية

٣٠ - التبيه على اوهام ابي علي في أماليه :

عبد الله بن عبد العزيز البكري

الطبعة الثالثة - القاهرة ، ١٩٥٤

٣١ - الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره :

محمد سليم الجندي

دمشق ، ١٩٦٢

٢ ج

٣٢ - جذوة العقنيس في ذكر ولاية الاندلس :

محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي

تحقيق : محمد تاويت الطنجي

الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٥٢

٣٣ - الجغرافيا والجغرافيون في الاندلس :

الدكتور حسين مؤنس

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، المجلد ٧ ، ٨

٣٤ - جمهرة أشعار العرب :

محمد بن أبي الخطاب القرشي

دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٣

٣٥ - جمهرة انساب العرب :

ابو محمد علي بن حزم الاندلسي

تحقيق : ليفي بروفنسال ( ١٩٤٨ )

وتحقيق : عبد السلام هارون ( ١٩٦٢ )

دار المعارف بمصر

٣٦ - الحقائق في المطالب العالية الفلسفية :

ابو محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي  
تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوشري  
الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٣٦٥ هـ

٣٧ - حضارة العرب في الاندلس :

ليفى بروفنسال  
ترجمة : ذوقان قرقوط  
منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت

٣٨ - الحلة السيرة :

أبو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الأبار  
تحقيق : الدكتور حسين مؤنس  
القاهرة ، ١٩٦٣

٢ ج

٣٩ - خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب :

عبد القادر بن عمر البغدادي  
الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٢٩٩ هـ

٤ ج

٤٠ - خلق الانسان :

ثابت بن ابي ثابت  
تحقيق : عبد الستار أحمد فراج  
الكويت ، ١٩٦٥

٤١ - دار الطراز في عمل الموشحات ،

ابن سناء الملك

تحقيق : جودة الركابي

دمشق ، ١٩٤٩

٤٢ - دول الطوائف :

محمد عبد الله عنان

الطبعة الاولى - مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٠

٤٣ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب :

برهان الدين ابراهيم بن علي ابن فرحون المالكي

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٣٥١ هـ

٤٤ - ديوان ابن قزمان :

محمد بن عيسى بن عبد الملك ابن قزمان

نشر دافيد جنزبرغ

١٨٩٦

٤٥ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :

ابو الحسن علي ابن بسّام الشنتريني

القسم الأول من الجزء الأول

القسم الثاني من الجزء الأول

القسم الأول من الجزء الرابع

القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٤٢ ، ١٩٥١

٤٦- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :

ابوالحسن علي ابن بسام الشنتوني

القسم الثاني والقسم الثالث ، مخطوطة بخداد

٤٧- ذكر بلاد الاندلس :

مؤلف مجهول

مخطوطة الرباط رقم ٨٥ ج

٤٨- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة :

محمد بن عبد الملك المراكشي

تحقيق : الدكتور احسان عباس

نشر دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ - ١٩٦٥

ج ٤ ، ج ٥

٤٩- الرد على النحاة :

احمد بن عبد الرحمن بن مضاء القرطبي

تحقيق : شوقي ضيف

الطبعة الأولى - دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧

٥٠- رسائل ابن حزم الاندلسي :

تحقيق : الدكتور احسان عباس

مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٥٤

٥١- رسائل في اللغة :

(من بينها جزء من المسائل والاجوبة لأبي محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي)

تحقيق : ابراهيم السامرائي

بغداد ، ١٩٦٤

٥٢ - الروض المعطار في خبر الاقطار :

ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحميري

تحقيق : ليفي بروفنسال

القاهرة ، ١٩٣٧

٥٣ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات :

محمد باقر موسى

الطبعة الثانية ، طهران ، ١٣٤٧

٥٤ - الزجل في الاندلس :

عبد العزيز الأهواني

القاهرة ، ١٩٥٧

٥٥ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب :

عبد الحي ابن العماد الحنبلي

القاهرة ، ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ

٨ ج

٥٦ - شرح سقط الزند :

ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي ( وآخران )

القاهرة ، ١٩٤٥ - ١٩٤٨

٥ ج

٥٧ - الصلوة :

ابو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال

القاهرة ، ١٩٥٥

٢ ج

٥٨ - صورة الارض :

ابو القاسم بن حوئل النصيبي

مشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

٥٩ - طبقات الاطباء والحكماء :

ابو داود سليمان بن حسان الاندلسي ابن جلجل

تحقيق : فؤاد سيد

القاهرة ، ١٩٥٥

٦٠ - طبقات الامم :

ابو القاسم صاعد بن احمد الاندلسي

تحقيق : الأب لويس شيخو

المطبعة الكاثوليكية - بيروت ، ١٩١٢

٦١ - طبقات النحويين واللفويين :

ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي

تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٩٥٤



- ٦٢ - العاطل الحالي والمرخص الغالي :

صفي الدين الحلبي

تحقيق : ولهم هونريخ

فيسبادن ، ١٩٥٥

- ٦٣ - العبر وديوان المبتدأ والخبر ( تاريخ ابن خلدون ) ،

عبد الرحمن ابن خلدون

طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ

٧ ج

- ٦٤ - عيون الانباء في طبقات الاطباء :

موفق الدين احمد بن القاسم ابن ابي اصيبعة

دار الفكر - بيروت ، ١٩٥٦

- ٦٥ - غاية النهاية في طبقات القراء :

شمس الدين ابو الخير محمد ابن الجزري

تحقيق : ج . برجستراسر

القاهرة ، ١٩٣٢

٣ ج

- ٦٦ - فجر الاندلس :

حسين مؤنس

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٩٥٩

٦٧ - الفصل في الملسل والاهواء والنحل :

ابو محمد علي ابن حزم الاندلسي

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٣١٧

ج ٥

٦٨ - فصل المقال في شرح كتاب الامثال :

عبد الله بن عبد العزيز البكري

تحقيق : الدكتور احسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين

الخرطوم ، ١٩٥٨

٦٩ - الفهرست :

ابن النديم

تحقيق : فلوجل

بيروت ، ١٩٦٤

٧٠ - فهرست ابن خير :

ابو بكر محمد ابن خير

تحقيق : كوديرا وهبييرا

بيروت ، ١٩٦٣

٧١ - فوات الوفيات :

محمد بن شاعر الكندي

تحقيق : محيي الدين عبد الحميد

القاهرة ، ١٩٥١

ج ٢

- ٧٢ - قضاة قرطبة :

محمد بن حارث الخشني

نشره عزت العطار الحسيني - القاهرة ، ١٣٧٢ هـ

- ٧٣ - قلائد العتيان :

الفتح بن خاقان

ط بولاق ، ١٢٨٣

- ٧٤ - كتاب سيويه :

أبو بشر عمرو بن قنبر سيويه

الطبعة الاولى - ١٣١٦ - ١٣١٧

٢ ج

- ٧٥ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون :

حاجي خليفة

استانبول ، ١٩٤١ - ١٩٤٣

٢ ج

- ٧٦ - السالك في شرح الأمالي :

عبد الله بن عبد العزيز البكري

تحقيق : عبد العزيز الميمني

القاهرة ، ١٩٣٦

٢ ج

٧٧ - لحن العوام :

ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي

تحقيق : الدكتور رمضان عبد التواب

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٩٦٤

٧٨ - لسان الميزان :

شهاب الدين احمد بن علي ابن حجر المصقلاني

الطبعة الاولى - حيدرآباد الدكن ، ١٣٢٩ - ١٣٣١ هـ

ج ٦

٧٩ - المحكم والمحيط الأعظم في اللغة :

علي بن اسماعيل ابن سيده

نشر مصطفى الباهي الحلبي

القاهرة ، ١٩٥٨ -

ج ٣

٨٠ - المختار من شعر بشار :

اختيار الخالدين

تحقيق : محمد بدر الدين الحلوي

مطبعة الاعتماد - القاهرة ، ١٩٣٤

٨١ - المخصص :

علي بن اسماعيل ابن سيده

طبع بمصر ، المطبعة الاميرية الكبرى ، ١٨٩٩ - ١٩٠٤

ج ١٧

٨٢ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان :

ابو محمد عبد الله بن اسعد الياضي

حيدر آباد ، دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٧ - ١٣٣٩ هـ

ج ٤

٨٣ - الزهر في علوم اللغة وانواعها :

جلال الدين السيوطي

القاهرة ، ١٢٨٢ / ١٨٦٥

٨٤ - المسالك والمعالك :

عبد الله بن عبد العزيز البكري

مخطوطة الرباط ٤٨٨ ق

٨٥ - المطرب من اشعار المغرب :

ابو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية

تحقيق : ابراهيم الايباري ، حامد عبد المجيد ، أحمد أحمد بدوي

القاهرة ، ١٩٥٤

٨٦ - مطح الأنفس ومسح التأنس في ملح أهل الاندلس :

ابو نصر الفتح بن محمد ابن خاقان

الطبعة الاولى ، مطبعة الجوائب - القسطنطينية و ١٣٠٢ هـ

- ٨٧ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب :  
 محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي  
 مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤ هـ
- ٨٨ - معجم الأدباء :  
 شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي  
 مكتبة عيسى البايي الحلبي ، ١٩٣٨  
 ٢٠ ج
- ٨٩ - معجم البلدان :  
 شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي  
 دار صادر - بيروت ، ١٩٥٥  
 ٧ مجلدات
- ٩٠ - المعجم العربي :  
 الدكتور حسين نصّار  
 دار الكاتب العربي بمصر - القاهرة ، ١٩٥٦  
 ٢ ج
- ٩١ - المغرب في حلّ المغرب :  
 علي بن موسى بن سعيد  
 تحقيق : شوقي ضيف  
 دار المعارف - القاهرة ، ١٩٥٣  
 ٢ ج

- ٩٢ - العقبس في تاريخ رجال الاندلس :  
 ابو مروان حيان بن خلف ابن حيان  
 تحقيق : الأب انطونية ملشور  
 باريس ، ١٩٣٢
- ٩٣ - العقبس في تاريخ رجال الاندلس :  
 مخطوطة مدريد
- ٩٤ - مقدمة ابن خلدون :  
 عبد الرحمن ابن خلدون  
 تحقيق : الدكتور علي عبد الواحد وافي  
 القاهرة ، ١٩٥٢ - ١٩٦٠
- ٩٥ - المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية :  
 خوليان ريبيرا  
 مجلة معهد المخطوطات  
 المجلد الرابع ، الجزء الأول : ٧٧  
 المجلد الخامس ، الجزء الأول : ٦٩
- ٩٦ - نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب :  
 أحمد بن محمد المقرئ التلمساني  
 تحقيق : محيي الدين عبد الحميد  
 المكتبة التجارية ، ١٩٤٩

٩٧ - نكت الهيمان :

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى  
ط مصر

٩٨ - نهاية الأرب في فنون الأدب :

أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب النيمى  
دار الكتب المصرية - القاهرة ، ١٩٢٣ - ١٩٥٥  
ج ١٨

٩٩ - الوافى بالوفيات :

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى  
بعناية هلموت روتر وآخرين  
ج ١ - ٤

١٠٠ - الوافى بالوفيات :

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى  
مخطوطة بمكتبة أحمد الثالث رقم ٦٦٠

١٠١ - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان :

شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان  
تحقيق : محيى الدين عبد الحميد  
الطبعة الأولى ، ١٩٤٨

ج ٦



١٠٢ - يتيمة الدهر :

ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي

تحقيق : محيي الدين عبد الحميد

القاهرة ، ١٩٥٦

٤ ج

ب - المراجع الاجنبية

- Geschichte der arabischen litteratur:** - ١٠٣  
**C. Brockelmann**  
**Leiden, 1937 - 1949**  
**5 vols.**
- Hispano-Arabic Poetry:** - ١٠٤  
**Nykl, A.R.**  
**Baltimore, 1948**
- Histoire de l'Espagne Musulmane:** - ١٠٥  
**Levi Provençal, vol. I-III**  
**Paris, 1950 - 1953**
- Islam d'Espagne:** - ١٠٦  
**Henri Terrasse**  
**Paris, 1958**

- Nouvelle Histoire d'Espagne:** - 1.7  
Maurice Legendre  
Paris, 1938
- Origines del Espagnol:** - 1.8  
Ramon Menendez Pidal  
3<sup>d</sup> ed., Madrid, 1950
- Spanish Islam:** - 1.9  
R. Dozy  
London, 1913

## فهرست المحتويات

تمهيد

الكتاب الأول :

الحركة اللغوية بالاندلس حتى اواخر القرن الثالث الهجرى

مقدمة

٢

٣

١- حالة المجتمع واللغة في العهد القوطي

٥

٢- الاجناس المختلفة في الاندلس بعد الفتح العربي

١٢

٣- حال اللغة بين هذه الاجناس المختلفة

٢٢

٤- مقام اللغة بين الاندلسيين

٢٥

٥- عوامل فعالة في تطور العناية باللغة في الاندلس

٢٧

الفصل الأول : بواكير الحركة اللغوية في الاندلس

٢٧

١- نشوء طبقة المؤيدين اللغويين

٣٢

٢- الرحلة ولقاء العلماء المشاركة

٣٥

٣- رحلة لغويين مشاركة الى الاندلس

٣٨

٤- هجرة الكتب المشرقية الى الاندلس

٤٠

٥- النشاط الشفوي في ميدان اللغة

٤٣

٦- حركة التأليف اللغوى حتى اواخر القرن الثالث

٤٧

٧- اشهر المدرسين وتلامذتهم

٨ - هل كان هذا النشاط اللغوي وقتا على العناصر

٥١

العربية في الاندلس

الكتاب الثاني :

الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الرابع الهجري

٥٤

الفصل الثاني : عوامل النهضة اللغوية ومظاهرها في هذا القرن

٥٤

١- العوامل الجديدة

٥٤

أ - تعهيد

٥٦

ب - جهود الحكم في النهضة اللغوية

٦٢

ج - المنصور بن ابي عامر واثره في النهضة اللغوية

٧٠

٢- العوامل التقليدية

٧١

أ - الرحلة الى المشرق

٧٣

ب - التأديب والتدريس

٧٤

٣- المظاهر الكبرى

٧٤

أ - ظهور الدارس اللغوي المتخصص

٧٧

ب - المناظرات اللغوية

٧٨

ج - تنوع حركة التأليف واتساعها

٨٤

٤- انصاف الاندلس في الميدان اللغوي

٨٧

الفصل الثالث : أئمة اللغة ومؤلفاتهم في هذا القرن

٨٧

أولا - ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ومؤلفاته

٩٦

الاستدراك على سيبويه

- ١٠٤ لحن العامة  
 ١٢١ ثانيا - ابن القوطية ومؤلفاته  
 ١٢٥ الافعال  
 ١٣٩ ثالثا - ابو علي القالي ومؤلفاته  
 ١٥٨ البارع  
 ١٦٨ كتاب الأمالي  
 ١٧٧ تذييل على الفصل السابق

## الكتاب الثالث :

الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الخامس الهجري  
 الفصل الرابع : العوامل المؤثرة في توجيه الحركة اللغوية

- ١٨٩ في القرن الخامس  
 ١٨٩ ١- صورة موجزة للاحوال السياسية في هذا العصر  
 ١٩٤ ٢- العوامل الجديدة التي اثرت في الحركة اللغوية :  
 أ - الخصب اللغوي الذي اوجده القالي  
 ١٩٤ وتلامذته  
 ١٩٥ ب - تعدد المراكز الثقافية  
 ١٩٩ ج - الاهتمام بانشاء المكتبات  
 ٢٠٢ د - التسامح النسبي  
 ٢٠٥ ٣- الظاهرة النظرية في حياة اللغة :  
 ٢٠٦ أ - البحث في أصل اللغة

- ٢٠٧ ب - مشكلة الاشتقاق
- ٢٠٧ ج - بطلان الملل النحوية
- ٢٠٨ د - الصلة بين اللغة والشريعة
- ٢١٢ ٤ - صلة اللغة بالواقع العملي
- ٢١٢ أ - وضع معلم اللغة
- ٢١٣ ب - وضع اللغة بين العلوم الاخرى
- ٢١٥ ج - صلة اللغة بالحياة العملية
- ٢٢٣ ٥ - العوامل التقليدية واثرها في الحركة اللغوية
- ٢٢٣ أ - المهجرة الى الاندلس
- ٢٢٨ ب - المهجرة من الاندلس
- ٢٢٨ ج - التدريس واشهر المدرسين

#### الفصل الخامس : حركة التأليف اللغوى ووجهاته في هذا العصر

- ٢٣٧ أ - صورة عامة للمؤلفات
- ٢٤٥ ثانيا - اتجاهان في التأليف كيران
- ٢٤٦ (١) الاتجاه الى الشح
- ١ - ابو عبيد البكرى وكتابه : فصل المقال
- ٢٤٦ واللاكي
- ٢٤٦ أ - شيء من سيرة البكرى
- ٢٤٩ ب - فصل المقال
- ٢٥٢ ج - اللاكي في شح الامالي

## ٢- ابن السيد البطليوسي وكتابه :

- ٢٥٥ شرح السقط والاقضاب
- ٢٥٥ أ - سيرة ابن السيد
- ٢٥٨ ب - شرح سقط الزند
- ٢٦٠ ج - الاقضاب في شرح ادب الكتاب
- ٢٦٧ (٢) الاتجاه الى التأليف المعجمي
- ٢٦٧ ابن سيده ومعجمه : المخصص والمعجم
- ٢٦٧ أ - سيرة ابن سيده
- ٢٧٥ ب - المخصص
- ٢٧٥ ١- الداعي الى التأليف
- ٢٧٨ ٢- منهج الكتاب
- ٢٨١ ٣- خصائص الكتاب المخصص
- ٢٨٤ ج - المعجم
- ٢٨٤ ١- الداعي الى التأليف
- ٢٨٥ ٢- منهج الكتاب
- ٢٨٧ ٣- مصادر الكتاب
- ٢٨٩ ٤- خصائص كتاب المعجم

## خاتمة

- ٢٩٤
- ٢٩٨ مراجع الدراسة
- ٣٢٠ فهرست المحتويات

## تصويبات

<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
٥	٣	افذاذ	افذاذا
ح	١	الدراسة	الدراسة :
٤	٥	عبيد	عبيدا
٢٥	١٣	ثلاثة	ثلاث
٣٩	١٠	الحكم	للحكم
٤١	١٢	معرفة	معرفة
٤٥	٣	عروضا	عروضيا
٦٩	٨	مجلس	مجلس
٦٩	١١	خزابة	خزابة
٧٢	٦	الآمد	الآمدى
٧٧	١٧	بكر الزبيدى	ابو بكر الزبيدى
٨٨	٩	لتاجها	نتاجها
٨٩	٨	فيها	فيه
٨٩	١١	(اضافة هذه الاشارة (?) بعد فيوم)	
٩٥	١٥	وعن	والسى
٩٧	١٦	مستعربة	مستغربة



<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
١٠٤	٩	لكان	لكن
١٢٤	١٨	تأليف	تأليفا
١٤٢	١٤	خمسائة	ثلاثمائة
١٥١	٩	يقدر	يقدر
١٥٤	٥	فاستفاد	" فاستفاد
١٥٦	٧	ولم يصلنا هذا الكتاب،	
		وانما	وقد
١٥٧	٩	وهنا ايضا	( تشطب )
١٥٩	٣	يرى	يروى
١٦٢	١٠	احمد	احمر
١٦٢	١١	خبي	حبي
١٦٧	١	( شطب الكلام المنسوخ بالخط اليدوى )	
١٧٨	٧	والعدة	وتذكرنا العدة
١٧٨	١٣	غير ان	اما
١٩٠	٣	امراء	فتيان
١٩٠	١٠	اصال الاعلام	اعمال الاعلام : ١١٢-٢٤١
١٩٧	١٩	المهية	المهية
١٩٩	١٥	منتقيا	منتقيا
٢٠١	٤	كثيرا	كثير

<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
٢٠٢	٧	الاستقرار	الاستقراء
٢٠٢	٢٠	المقدمة	المقدمة : ٢٣-٢٤
٢٠٥	١	والفلسفة	الفلسفة
٢٠٥	١٩	مجاهد	مجاهدا
٢١٥	١٠	نفرض	نفرض
٢٢٠	١	اخبارهم	مؤلفاتهم
٢٤٤			(يضاف كتاب آخر للجرجاني هو شرح الجميل للزجاجي)
٢٤٦	١٣	حالا	جلالا
٢٤٧	٦	ولكن	ولكني
٢٥٢	٨	منشورها	منشورها
٢٥٦	١٢	روي	روي
٢٦٨	٤	رأت	روت
٢٦٩	٢	سليل اسرة	ابن بيثة
٢٧٤	٢	التي عثرت عليها	(تشطب)
٢٧٧	٢	الوازع	الدافع
٢٧٧	١٤	ليدلنا	يدلنا
٢٧٩	٩	متاجرين بلختهم	(تشطب)

<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
٢٧٩	١٩	بابن	في ابن
٢٨٢	٩	اللفظة	الصرفية
٢٨٤	١٠	في كل صفحة ، او	(تشطب)
٢٨٦	٢	الثاني	الثالثي





المغرب الأقصى والأندلس